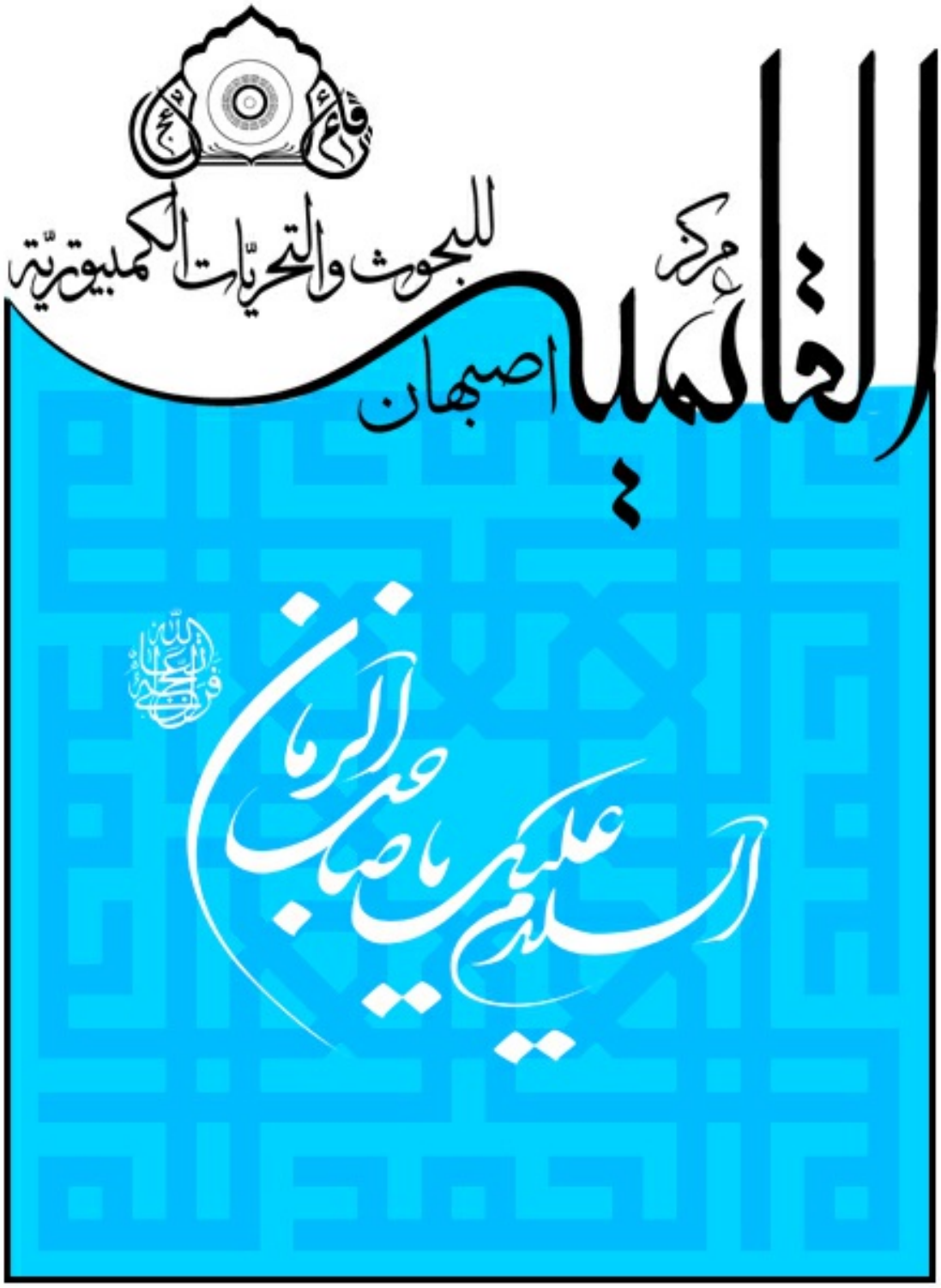

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

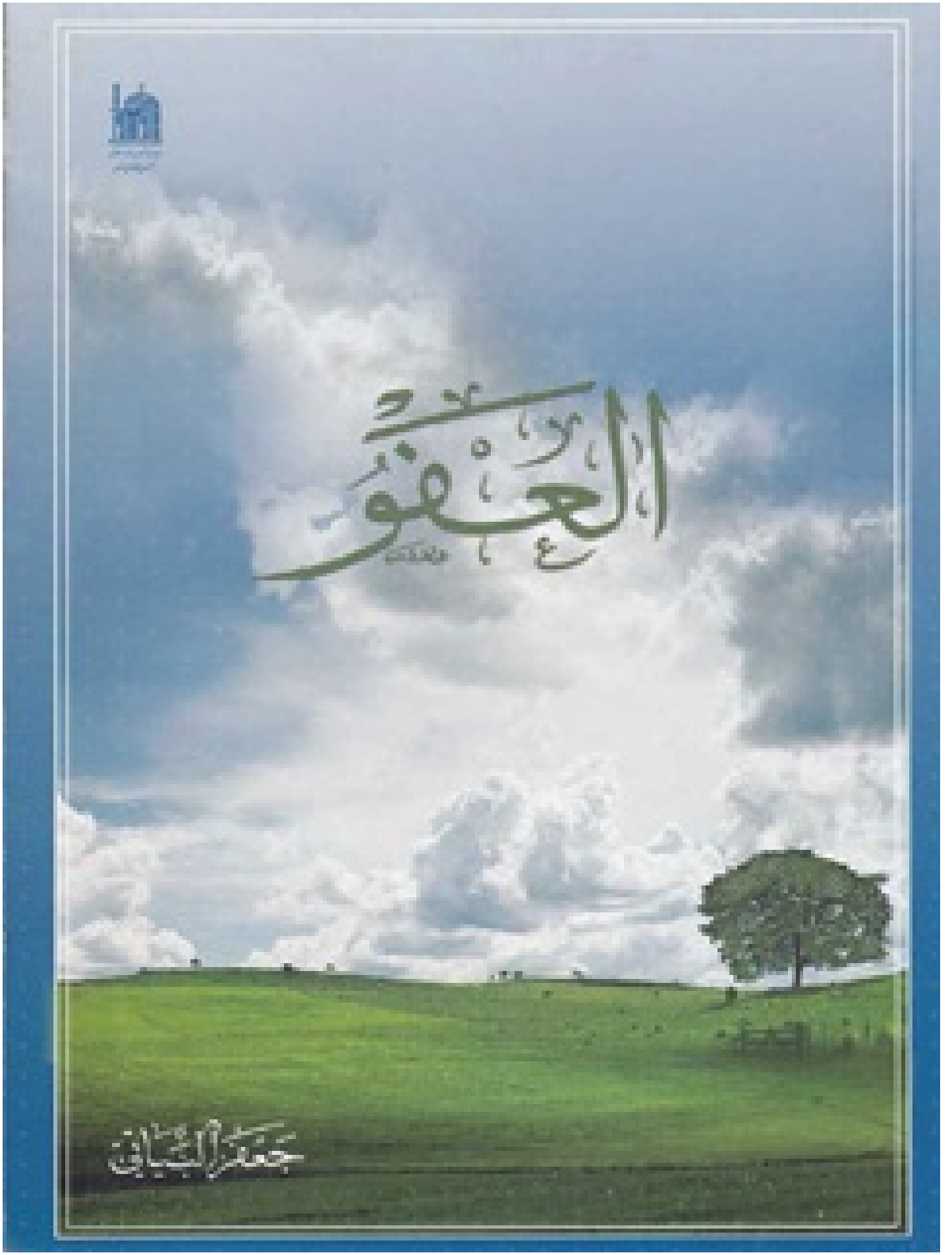

العفو
جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحیم

العفو

كاتب:

جعفر البياتي

نشرت في الطباعة:

بنياد پژوهشهاي اسلامي آستان قدس رضوي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

العفو 9

اشارة 9

اشارة 9

محتويات الكتاب 13

تمهيد 15

حُسن الخُلق، وسوء الخُلق 19

ما هو حُسن الخُلق؟ 19

ثمار مُرّة لسوءالخُلق 21

ماذا أراد الإسلام؟ 23

صور من السيرة المحمّديّة 24

مشكلة.. وعلاج 28

ضرورة العفو 33

حقيقة.. وضرورة 33

افتراض..ونتيجة 35

خصائص العفو 41

العفو الحقيقيّ 41

نفحات.. من السيرة العاطرة 44

روابط العفو 49

فَهْم أعمق 49

لِنقفْ علي الواقع 54

متي يكون العفو؟ 59

تساؤل.. وجواب 59

محاذير 63
شواهد.. من مشاهد 65
شرف العفو 67
اشارة 67
حقيقتان من الواقع 77
الثناء علي العفو 129
أقرب للتقوي 129
آفاق سامية 131
حقوق.. وعوائد 136
الأمر بالعفو 143
بين الأنانيّة والغَيريّة 143
بين التكليف والاقتداء 145
مذمّة ترك العفو 151
اشارة 151
مخاطر معنويّة 151
رُبّ يومٍ نطلب العفو! 154
غفلة.. أو تغافل! 156
ثمار العفو 159
«العفو» في الأدب والحكمة 213
اشارة 213
الحثّ علي العفو مطلقا 213
استطابة العفو ولذّته 214
الحثّ علي درء الحدّ 214
حثّ القادر علي العفو 215
مدح مَن صفح عن قدرة 215

العفو عمّن سلم باطنه ـ 217
ذمّ مَن لا يقيل العثرة ـ 217
عتب مَن يحفظ الذنب بعد تقادمه ـ 217
وجوب العفو عن المعترف ـ 218
الحثّ علي العفو بعد الإقرار ـ 218
مستعفٍ مقرّ بالذنب ـ 218
استعفاء مَن خلط إقرارا بإنكار ـ 219
معتذر مع إنكار ـ 220
مستعفٍ سأل أن ينخدع له ـ 220
المتمدّح بذلك ـ 222
مستعفٍ سأل أن يقوم ويؤدَّب ـ 222
مستعفٍ سأل العفو لفرط خوفه ـ 222
مستعفٍ اتّكل علي سالف حرمته ـ 222
الاستعفاء لمذنب من قوم محسنين ـ 223
مَن توصّل إلي العفو بحيلة ـ 223
مَن هرب خشيةَ العتاب فاعتذر لذلك ـ 224
المتوصّل إلي العفو بمغالظة القول ـ 224
المتوصّل إلي العفو بتذكّر اللّه و مناشدته ـ 224
من استعفي و استوهب جميعا ـ 224
التثبّت في العقوبة نصفُ العفو ـ 225
نهي العافي عن التثريب ـ 225
معاتبة مَن صفح ثمّ نَدِم ـ 226
ذمُّ مَن اعتذر فأساء ـ 226
النهي عن الذنب المفضي إلي الاعتذار ـ 227
نهي من لم يذنب عن العذر ـ 227

الاعتذار مِن ترك الاعتذار 228
تأسّف مَن يُعاتَب مِن غير ذنب 228
الاستخفاف بمن لا يصلحه الإكرام 228
الرخصة في عقاب المجرم والحثّ عليه 229
أخذُ البريء بجرم السقيم 229
الخاتمة 231
المصادر 240
تعريف مركز 249

العفو

اشارة

سرشناسه:بياتي، جعفر، 1332-

عنوان و نام پديدآور:العفو / جعفر البياتي

مشخصات نشر:مشهد: مجمع البحوث الاسلاميه 1427ق.=1385.

مشخصات ظاهري:239ص.

شابك:964-444-953-3

وضعيت فهرست نويسي:فاپا

يادداشت:چاپ قبلي: شرف: 1414ق. = 1372

يادداشت:كتابنامه : ص. 231-239؛ همچنين به صورت زيرنويس

موضوع:گذشت -- جنبه هاي مذهبي -- اسلام

موضوع:اخلاق اسلامي

موضوع:احاديث اخلاقي

شناسه افزوده:بنياد پژوهشهاي اسلامي

رده بندي كنگره:BP250/2/ب 9ع 7 1384

رده بندي ديويي:297/632

شماره كتابشناسي ملي:م 84-37482

ص: 1

اشارة

العفو

جعفر البياتي

ص: 3

محتويات الكتاب

تمهيد ... 7

حُسن الخُلق، وسوء الخُلق ... 11

ما هو حُسن الخُلق؟ ... 11

ثمار مُرّة لسوءالخُلق ... 13

ماذا أراد الإسلام؟ ... 15

صور من السيرة المحمّديّة ... 16

مشكلة.. و علاج ... 20

ضرورة العفو ... 25

حقيقة.. و ضرورة ... 25

افتراض..ونتيجة ... 27

خصائص العفو ... 33

العفو الحقيقيّ ... 33

نفحات.. من السيرة العاطرة ... 36

روابط العفو ... 41

فَهْم أعمق ... 41

لِنقفْ علي الواقع ... 46

متي يكون العفو؟ ... 51

تساؤل.. وجواب ... 51

محاذير ... 55

شواهد.. من مشاهد ... 57

شرف العفو ... 59

حقيقتان من الواقع ... 69

الثناء علي العفو ... 121

أقرب للتقوي ... 121

آفاق سامية ... 123

حقوق.. وعوائد ... 128

الأمر بالعفو ... 135

بين الأنانيّة والغَيريّة ... 135

بين التكليف والاقتداء ... 137

مذمّة ترك العفو ... 143

مخاطر معنويّة ... 143

رُبّ يومٍ نطلب العفو! ... 146

غفلة.. أو تغافل! ... 148

ثمار العفو ... 151

«العفو» في الأدب والحكمة ... 205

الخاتمة ... 223

المصادر ... 231

تمهيد

بِسْمِ اللّه ِ الرَّحمن الرَّحيم: «خُذِ العَفْوَ و أْمُرْ بالعُرْفِ و أعْرِضْ عنِ الْجاهِلين* وإمّا يَنْزَغَنَّك مِنَ الشيطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللّه ِ إنّه سَميعٌ عَليم»(1). صدق اللّه العليّ العظيم.

الأخذ بالشيء هو لزومه، أو عدمُ تركه، فأخذُ العفو هو مُلازمة السَّتر علي إساءةِ مَن أساء، والإغماض عن حقّ الانتقام الذي يعطيه العقل الاجتماعيّ لبعضهم علي بعض.

قوله تعالي: «خُذِ العَفْو» يُراد به السَّتر بالعفو فيما يَرجِع إلي شخص النبيّ صلي الله عليه و آله، و علي ذلك كان يسير رسولُ اللّه صلي الله عليه و آله، فهو لم ينتقم مِن أحدٍ لنفسه قطّ، ولم يَجْزِ بالسيّئةِ السيّئة، ولكن كان يعفو و يصفح(2)، و ما انتصر لنفسه مِن مَظْلَمةٍ حتّي تُنتَهك محارم اللّه، فيكون غضبه حينئذٍ للّه تبارك وتعالي(3).

«وأْمُرْ بالعُرْف» العُرف هو ما يعرفه عقلاءُ الناس، من السنن الحسنة و السِّيَر الجميلة الجارية بينهم، بخلاف ما يُنكره العقل الاجتماعيّ من

1- - الأعراف 7 199 - 200.

2- - مناقب آل أبي طالب 1:191 - فصل في آدابه و مزاحه صلي الله عليه و آله.

3- - مكارم الأخلاق 23.

الأعمال الشاذّة القبيحة.. فمقتضي الآية الكريمة أنْ يأمُرَ بكلّ معروف.

«و أعْرِضْ عنِ الجاهِلين» أمرٌ آخَر بالمداراة، وهو أقرب طريقٍ وأسلمه لإبطال آثار جهل الجاهلين، والحدّ من فساد أعمالهم؛ لأنّ في مقابلة الجاهل بما يعادل جهله إغراءً له بالجهل والتمادي في الغيّ والضلال.

«و إمّا يَنْزَغَنّكَ مِن الشيطانِ نَزْغفاستَعِذْ باللّه ِإنّه سميعٌ عليم» النَّزْغ هو الدخول في أمرٍ لأجل الإفساد، وقيل: هو الإزعاج والإغراء، وأكثرُ مايكون في حالة الغضب، وقيل: هو مِن الشيطان أدني الوسوسة. وهذه المعاني تكاد تكون متقاربة، أمّا أنسبُها للآية الكريمة فهو الإزعاج والإغراء في حالة الغضب؛ لمناسبة ذلك لسياقها.

«و أعْرِضْ عنِ الجاهلين» فإنّ مماسّة الجاهلين بالجهالة نوعُ مداخلةٍ من الشيطان لإثارة الغضب والعداوة، ولسَوق الإنسان إلي جهالة مثله. والمعني أ نّه لو نزغ الشيطان بأعمال الجاهلين المبنيّة علي الجهالة والإساءة إليك، ليؤدّيَ بذلك إلي غضبك والانتقام، فاستعذْ باللّه إنّه سميعٌ عليم. أو قيل: إنْ عرض في قلبك شيء من الغضب والأذي، فاستعذْ باللّه إنّه سميعٌ عليم.

والآية الشريفة عامّة، خُوطِب بها النبيُّ صلي الله عليه و آله و قُصِد بها أُمّته؛ لعصمته صلوات اللّه عليه و آله.

ثمّ قال تعالي: «إنّ الذينَ اتّقَوا إذا مَسَّهُم طائفٌ مِنَ الشيطان تَذكّروا فإذا هُم مُبْصِرون»(1) ، وهذا علي نحوِ تعليلٍ للأمر في الآية المباركة السابقة.والطائف من الشيطان هو الذي يطوف حول القلب ليُلقيَ فيه الوسوسة،

1- - الأعراف 7 201.

أو الطائف هو وسوسة الشيطان التي تطوف حول القلب لتقعَ فيه و تستقرّ عليه. أمّا التذكّر فهو تفكّرُ الإنسان في أُمورٍ تهديه إلي نتيجةٍ مغفولٍ عنها، أو نتيجةٍ مجهولةٍ قبله. والمعني: استعذْ باللّه تعالي عند نزغة الشيطان؛ فإنّ هذا طريق المتّقين، فالمتّقون إذا مسّهم طائفٌ مِن الشيطان تـذكّروا أنّ اللّه تبـارك و تعـالي هو ربّهمُ الـذي يملكهم و يربّيهم، وإليه يَرجِع أمرهم، فـأرجَعُوا إليه الأـمر فكفاهُم مؤونتَه، ودفعَ عنهم كيدَ الشيطان، ورفع عنهم حجابَ الغفلة فإذا هم مُبصِرون، غير مضروبٍ علي أبصارهم بحجابِ الغفلة(1).

* سأل أبوبصـير أبا عبداللّه الصادق عليه السـلام عن قول اللّه عزّوجلّ: «إذا مَسَّهم طائفٌ مِن الشـيطانِ تَذكّروا فإذا هُم مُبْصِرون»، فقال: هو العبدُ يَهِمّ بالذَّنْب، ثمّ يتذكّر فيُمسـك(2). وفي روايـة أخري: هوالرجل يَهمّ بالذنب، فيتذكّر فيَدَعُه(3). و في روايـة ثالثة: هوالذنب يهمّ به العبد، فيتذكّر فيَدعُه(4).

يُستفاد من أشعة نور الآيات الكريمة في سورة الأعراف، أنّ اللّه جلّت رحمته يأمر: بالأخذ بالعفو، والأمرِ بالعُرف، والإعراضِ عن الجاهلين، و إذا حـاول الشـيطان أن يَنزَغَ بيننـا فعلينـا بالاسـتعاذة باللّه تبارك و تعالي؛ إذ صـفة المتّقين أ نّهم يـذكرون اللّه-عزّوجلّ في هـذه المواقف فيرتدعون عنالذنب، ويرجعون عن الهمّة في ارتكاب المعصية.

*عن أبي جعفر الباقر عليه السـلام: ثلاثٌ مِن أشدّ ما عمل العباد: إنصافُ المؤمن مِن نفسه، ومواساة المرء أخاه، و ذِكْر اللّه علي كلّ حال.. وهو أن

1- - معاني الآيات الشريفة مستفادة من كتاب: الميزان في تفسير القرآن 8:379 - 381.

2- - الكافي 2:315 / ح 7 - باب التوبة.

3- - تفسير العيّاشيّ 2:44/ ح130.

4- - تفسير العيّاشيّ 2:43 - 44 / ح128.

يذكر اللّه عزّوجلّ عند المعصـية يهمّ بها، فيَحول ذِكرُ اللّه بينه و بين تلك المعصية، وهو قول اللّه عزّوجلّ: «إنّ الذينَ اتّقَوا إذا مَسّهم طائفٌ مِن الشيطانِ تَذكّروا فإذا هم مُبصِرون»(1).

والمدار في الآيات هو: تركُ الذنبِ و مقدّماتِه، و ترك مُلاحاة الناس لاسيّما الجاهلين، وذلك بالعفو. أمّا مستلزمات العفو فهي: الإيمان باللّه جلّ و علا و تذكّرُه في كلّ حال، والتقوي التي تردع صاحبَها إذا همّ بالذنب و تعيده إلي رُشْده، أو إذا غضب واسـتفزّه الشيطان نحو الانتقام. ثمّ مِن مستلزمات العفو مداراةُ الناس التي تمنع العداوة و تجلب الأُلفة والمحبّة.

وكلُّ ذلك يصبّ في حُسْن الخُلق.. فما هو - يا تُري - حسن الخلق، و كيف السبيل إلي تحصيله؟

1- - الخصال 131/ح138 - باب الثلاثة.

حُسن الخُلق، وسوء الخُلق

ما هو حُسن الخُلق؟

قال الفيض الكاشانيّ: الخُلق الحسن هو صفة سيّد المرسلين، و أفضل أعمال الصدّيقين، وهو علي التحقيق شطرُ الدِّين، وهو ثمرة مجاهدة المتّقين، و رياضةُ المتعبّدين. والأخلاق السيّئة هي السُّموم القاتلة، والمُهلِكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعِّدة مِن جِوار ربّ العالمين، والمنخرطةُ بصاحبها في سلك الشيطان اللّعين، وهي الأبواب المفتوحة من القلب إلي نار اللّه الموقَدة، التي تَطّلع علي الأفئدة.. كما أ نّ الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة مِن القلب إلي نعيم الجِنان، و جِوار الرحمان(1).

وفي بيان فضيلة حُسن الخُلق والترغيب فيه، و مذمّة سوء الخلق والتنفير منه.. قال تبارك و تعالي لنبيّه و حبيبه صلي الله عليه و آله مثنيا عليه، و مُظْهِرا لنعمته لديه: «وإنّكَ لَعلي خُلُقٍ عَظِيم»(2)، و جاء في وصايا المصطفي صلي الله عليه و آله قوله:

*ما يُوضَع في ميزانِ امرئٍيومَ القيامة أفضلُ مِن حُسن الخُلق(3).

1- - المحجّة البيضاء 5:87 - 88.

2- - القلم 68 4.

3- - الكافي 2:81/ح2 - باب حُسن الخُلق.

*إنّ أحبَّكم إليّ، و أقربَكم منّي يومَ القيامة مجلسا، أحسنُكم خُلُقا، وأشدَّكم تواضعا..(1).

*ثلاث مَن لم تكن فيه فليس منّي ولا مِن اللّه عزّوجلّ: حلمٌ يَردّ به جهلَ الجاهل، و حُسن خلقٍ يعيش به في الناس، و ورع يحجزه عن معاصي اللّه عزّوجلّ(2).

*ثلاث مَن لم تكن فيه، أو واحدةٌ منهنّ، فلا يعتدّنّ بشيءٍ مِن عمله: تقوي تحجزه عن معاصي اللّه عزّوجلّ، أو حلمٌ يكفّ به السفيه، أو خُلقٌ يعيش به في الناس(3).

*وفي الرواية: جاء رجلٌ إلي رسول اللّه صلي الله عليه و آله مِن بين يديه فقال: يا رسول اللّه، ما الدِّين؟ قال: حُسن الخُلق. ثمّ أتاه عن يمينه فقال: ما الدِّين؟ قال: حُسن الخُلق. ثمّ أتاه مِن قِبل شماله فقال: ما الدِّين؟ قال: حُسن الخُلق. ثمّ أتاه من ورائه فقال: ما الدِّين؟ فالتفتَ صلي الله عليه و آلهإليه وقال له: أما تَفقهُ الدِّين؟! هو أن لا تَغضَب(4).

* وقال رجلٌ لرسول اللّه صلي الله عليه و آله: أوصِني، فقال: اتَّقِ اللّه حيث كنت. قال: زِدْني، قال: اَتْبِعِ السيّئةَ الحسنةَ تَمحُها. قال: زِدْني، قال صلي الله عليه و آله: خالطِ الناسَ بحُسْن الخُلق(5).* وسُئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ما حدُّ حُسنِ الخُلق؟ فأجاب: تُلين

1- - قرب الإسناد 22 (طبعة مكتبة نينوي الحديثة، طهران - ناصر خسرو).

2- - الخصال 145 / ح172 - باب الثلاثة.

3- - بحارالأنوار 71: 394 / ح63 - عن تنبيه الخواطر لورّام.

4- - بحارالأنوار 71: 393/ح 63 - عن تنبيه الخواطر.

5- - بحارالأنوار 71: 393/ح 63 - عن تنبيه الخواطر.

جانبَك، و تُطيب كلامَك، و تَلقي أخاك بِبِشرٍ حَسَن(1).

أخي القارئ الكريم.. ليس حسن الخلق مظهرا يتباهي به المرء بين الناس، و إنّما هو استجابة لأمر اللّه تعالي وطاعة له عزّ وجلّ إنْ أخلص العبد ونوي بحُسن الخُلق اتّباعا لأوامر ربّه جلّ وعلا، وهو إلي ذلك تقوي تعبّر عن خشية العبد مِن سخط اللّه عزّ وجلّ وعذابه.. قيل لرسول اللّه صلي الله عليه و آله: إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم اللّيل، وهي سيّئة الخُلق، تُؤذي جيرانها بلسانها. فقال صلي الله عليه و آله: لاخيرَ فيها، هيَ مِن أهل النار!(2)

ثمار مُرّة لسوء الخُلق

حُسن الخلق مدعاة للعيش الهنيء، والمعاشرةِ الطيّبة مع الأهل والأقرباء و الإخوان والجيران، و حتّي مع الغرباء. بينما سوء الخُلق تنغيص لحياة المرء، و إحباط لعمله، و إغلاق لباب الرحمة عليه.. قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: أبي اللّهُ لصاحبِ الخُلق السيّئ بالتوبة، فقيل: يا رسول اللّه، و كيف ذلك؟ قال: لأنّه إذا تاب مِن ذنبٍ وقع في أعظمَ مِن الذنب الذي تاب منه(3).

وفي رواية الإمام الصادق عليه السلام قال معلّلاً أيضا: لأنّه لا يخرج مِن ذنبٍ حتّي يقع فيما هو أعظم منه(4).*وسُئل أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام عن أدومِ الناس غمّا، فقال:أسوأُهم خُلُقا(5).

1- - معاني الأخبار 253 / ح 1 - باب معني حُسن الخلق وحدّه.

2- - بحارالأنوار 71: 394 / ح 63 - عن تنبيه الخواطر.

3- - نوادر الراونديّ 18.

4- - علل الشرائع 492/ح1 - الباب 242.

5- - مستدرك الوسائل 2:338.

*وفي غُرر حِكمه، و دُرر كلمه.. قال عليه السلام:

سوء الخُلق نكَدُ العيش، و عذاب النفس(1).

سوء الخُلق يوحش القريب، و يُنفّر البعيد(2).

الخُلق السيّئ أحدُ العذابَين(3).

مَن ساء خُلقُه، مَلّه أهلُه(4).

مَن ضاقت ساحتُه، قلّتْ راحتُه(5).

مَن ساء خُلقُه، ضاق رزقُه(6).

والمرء في حياته يري الناسَ: مختلِفينَ في عقولهم، متباينين في نفوسهم، متعارضين في طباعهم و أمزجتهم، متقلّبين في أهوائهم و رغباتهم، متفاوتين في ضمائرهم و أخلاقهم.. ثمّ إنّه لابدّ من معايشتهم و معاشرتهم! ولكنْ: كيف يكون ذلك ممكنا و الأخلاق فيما بينهم متضاربةمتنافرة، والأجواء مضطربة، فيها ما فيها من سوء الخُلق.. كالحسد والغضب والضغينة؟! و كيف يستطيع أن يتعايش مع أهله و ذوي رحمه و جيرانه و أصدقائه و عامّة الناس، وهو يري الأمزجة والعقول مختلفةً و متعارضة، بل و متنافرةً أحيانا؟! هل يتسنّي له أن يتعايش معهم إذا كان سيّئَ الخُلق، و (السيّئ الخُلق كثير الطَّيش، منغَّصُ العيش) كما يقول أميرالمؤمنين عليه السلام(7).

1- - غرر الحكم 193.

2- - غرر الحكم 192.

3- - غرر الحكم 39.

4- - غرر الحكم 282؛ تحف العقول عن آل الرسول 153.

5- - غرر الحكم 300.

6- - غرر الحكم 300.

7- - غرر الحكم 38.

ماذا أراد الإسلام؟

إنّ أخلاق الإسـلام تَدلّنا علي ما فيه سـلامة ديننا و مرضاة ربّنا، و ضـمانِ سـعادتنا وهناء عيشـنا، و محبة أقراننا.. فهي تقول بضرورة تهذيب طباع النفس و تعويدها علي حسن الخُلق وحميد الصـفات و طيّب السـجايا، و منها: الصبرُ علي الأذي، والصفح عن الآخرين، والعفو عن المسيئين، والتسامح والتغافل عن أخطاء الناس، و حبُّ الخير لهم، و التحلّي بمكارم الإخلاق ومحاسنها.

ولاـ يكفي – أخي القارئ العزيز – أن نحفظ علما في الإخلاق، بل لابـدّ لنا من أن نجاهـد أنفسـنا حتّي نترجم العلم إلي عملٍ و سـلوك، و حتّي نروّض قلوبَنا و نزكّيها. و يُخطئ مَن يظنّ أنّ الأخلاق التي ينشأ عليها المرء لاتقبل التغيير، إذ لو كان ذلك كـذلك إذن لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، و الإرشادات والتوجيهات، و لَما قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: حَسِّنُوا أخلاقَكم.

ثمّ لاـ ينبغي أن نغفل عن أنّ أخلاق الإسـلام تريـد منّا أن نُربّي أبناءَنا و نُرشـدَ ذَوينا وإخواننا.. لا بالموعظـة الحسـنة فحَسْب، بل بالروحيّة الأخلاقيّة الواقعيّة، مِن خلال المعايشات الطيّبة والمواقف الكريمة.. و منها العفو.

* قـال أميرالمؤمنين عليه السـلام:مَن نصَبَ نفسَه للنـاس إماما فَلْيبـدأْ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكنْ تأديبُه بسـيرته قبلَ تأديبه بلسانه؛ و معلّمُ نفسه و مؤدّبها أحقُّ بالإجلال مِن معلِّم الناس ومؤدّبهم(1).

فيتعلّم الناسُ الصبرَ ممّن يصبر علي أذاهم و جهلهم و إساءتهم إليه،ويتعلّمون العفوَ ممّن يعفو عنهم ويصفح.

1- – نهج البلاغة: الحكمة 73.

نسأل اللّه تعالي أن يجعَلَنا مستنيرين بنور القرآن الكريم والسنّة النبويّة الطاهرة، و أن يوفّقنا للتأسّي بالنبيّ و آله الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالي في محكم تنزيله العظيم، مخاطبا نبيَّه الكريم، بسم اللّه الرحمن الرحيم: «ولَو كنتَ فَظّا غليظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِن حَولِك، فاعْفُ عَنْهم و استَغفِرْ لَهُم وشاوِرْهُم في الأمر»(1).

أجل – أخي القارئ الفاضل – إنّ الناس، كما هو بيّن، مختلفو العقول والأمزجة، ومتفاوتو الآداب والأخلاق والمشاعر، فلا بدّ أن يحصل الاختلاف والتعارض، ولا سبيلَ إلي الخلاص من تبعات هذا الاختلاف إلاّ: بالصبر والمداراة، والعفو عن المسيء والتغافل عن إساءته، وغضّ النظر عنه.أمّا الفظاظة وغلظة القلب، فإنّهما مَدْعاةٌ للتنافر والحقد والانتقام، وقد نُفيت هاتان الصفتان عن أخلاق رسول اللّه صلي الله عليه و آله، فخاطبه الباري تعالي: «فَبِما رحمةٍ مِن اللّه ِ لِنْتَ لهم، ولو كنتَ فَظّا غليظَ القلبِ لانْفَضُّوا مِن حَولِك..»(2)، والفظّ هو قاسي القلب، وغلظة القلب كنايةٌ عن عدم الرقّة وعدم الرأفة، أمّا الانفضاض فهو التفرّق والانصراف.

صور من السيرة المحمّديّة

ذكرتْ لنا السِّيَر أنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله كان يحظي بمحبّةٍ عجيبةٍ مِن قِبل أصحابه، و إعجابٍ و إجلال مِن قِبل أعدائه.. لِنفتحْ كتب السيرة ونقرأ ما جاء فيها مِن ذلك:

* عن جرير بن عبداللّه، أنّ النبيّ صلي الله عليه و آله دخل بعض بيوته (أي بعض

1- – آل عمران 3 159.

2- – آل عمران 3 159.

حجراته)، فامتلأ البيت، ودخل جرير فقعد خارج البيت، فأبصره النبيّ صلي الله عليه و آله فأخذ ثوبَه فلفّه و رمي به إليه وقال صلي الله عليه و آله له: اجلسْ علي هذا. فأخذ جرير ثوبَ النبيّ صلي الله عليه و آله فوضعه علي وجهه، فقبّله(1).

* ويوم وقف رسول اللّه صلي الله عليه و آله في خطبة الوداع فقال: ناشدتُكم باللّه.. أيُّ رجلٍ منكم كانت له قِبل محمّدٍ مَظْلمةٌ إلاّ قام فَلْيقتصَّ منه في دار الدنيا؛ فهو أحبُّ إليّ مِن القصاص في دار الآخرة. قام إليه رجلٌ مِن أقصي القوم يُقال له «سوادة بن قيس» قائلاً له: فداك أبي و أمّي يا رسول اللّه، إنّك لمّا أقبلتَ مِن الطائف استقبلتُك و أنت علي ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق، فرفعتَه و أنت تريد الراحلة فأصاب بطني، ولا أدري عمدا أو خطأً. فقال له النبيّ صلي الله عليه و آله: مَعاذَ اللّه أن أكون تعمّدت! ثمّ أرسل صلي الله عليه و آله بلالاً إلي بيت فاطمة عليهاالسلام فأتي بالقضيب و ناوله رسولَ اللّه صلي الله عليه و آله، و قال: أين الشيخ؟ فقال سوادة:ها أنا يا رسول اللّه بأبي أنت و أمّي، قال: فاقتصَّ منّي حتّي ترضي. فقال الشيخ: فاكشفْ لي عن بطنك يا رسول اللّه. فكشف له عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت و أمّي يا رسول اللّه، أتأذن لي أن أضع فمي علي بطنك؟ فأذِن له، فقال سوادة: أعوذ بموضع القصاص مِن بطن رسول اللّه من النار يومَ النار! فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: يا سوادة، أتعفو أم تقتصّ؟ قال:بل أعفو يا رسول اللّه، فقال صلي الله عليه و آله: اللّهمّ اعفُ عن سوادةَ كما عفا عن نبيّك محمّد.

* وبلغ الناس مِن محبّتهم لرسول اللّه المصطفي صلي الله عليه و آله أنِ امتلأت قلوبهم ودّا له، حتّي أنّ امرأةً مؤمنة نُعيَ لها خاصّةُ أهلها بعد إحدي المعارك،فأعرضتْ عن كلّ خبر يبلغها قائلة: أين رسول اللّه؟ حتّي إذا رأته قالت:

1- - مكارم الأخلاق 20.

الحمد للّه، كلّ مصيبةٍ دونك يا رسول اللّه جَلَل – أي هيّنة يسيرة.

* وأقبل علي النبيّ صلي الله عليه و آله رجلٌ فظّ، سمع أنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله ذكر آلهةَ قريشٍ بسوء، وسفّه أحلام الوثنيّين، فحمَلَ الرجل سيفه و عزم علي أن يَقْدم عليه، وكان حديثه مع رسول اللّه صلي الله عليه و آلهحادّا خشنا، لكنّ الرجل لم يرَ من النبيّ صلي الله عليه و آله إلاّ ابتسامةً هادئة، و أخلاقا صافية، فلم يتمالك الرجل نفسه حتّي انكبّ علي يَدَي رسول اللّه صلي الله عليه و آلهيقبّلهما و دموعه تنهال علي خدَّيه، فإذا هدأ قليلاً قال: يا محمّد، واللّه ِ لقد سعيتُ إليك وما علي وجه الأرض أبغضُ إليّ منك، و إنّي لَذاهبٌ الآن عنك و ما علي وجه الأرض أحبُّ إليّ منك.

* ويُروي أنّ رجلاً اسمه «فضالة» كان مشركا، فنوي في نفسه بعد فتح مكّة: لَأَدخلنّ المسجد، ولأطوفنّ بالبيت.. فإذا وقعتْ عينايَ علي محمّدٍ ضربتُه بسيفي هذا وهو يطوف بالبيت.

ودخل فضالة ليطوف، ودخل نبيُّنا صلي الله عليه و آله ليطوف، وأخذ المسلمون يطوفون بالبيت الحرام في تهليلٍ و تكبير.. فلمّا التقي رسول اللّه صلي الله عليه و آله بذلك المشرك وجها لوجه، قال له: يا فضالة، بِمَ كانت تحدّثك نفسُك؟! قال: كانت تحدّثني بذِكْر اللّه، قال صلي الله عليه و آله: بل كانت نفسُك تحدّثك بقتل محمّد بن عبداللّه!

قال فضالة نفسه: فضرب رسول اللّه صلي الله عليه و آله بيده علي صدري، فشعرتُ ببَرْد السَّكينة في قلبي، فما رفع يدَه عن صدري إلاّ كان أحبَّ الناس إليّ محمّدُ بن عبداللّه !

* وذاك زيد بن الدثنّة يُؤسَر، فيشتريه صفوانُ بن أُميّة ليقتله حقدا، و ينصبه للقتل، فيمرّ به أبو سفيان حينها فيسأله مستهزئا: أنشدك اللّه َ يا

زيد.. أ تُحبّ أنّ محمّدا الآن عندنا في مكانك تُضرَب عنقه، وأنت في أهلك؟ فيجيبه زيد: واللّه ِ ما أحبّ أنّ محمّدا الآنَ في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه.. و أنا جالس في أهلي! فما كان مِن أبي سفيان إلاّ أن يصيح دَهِشا: ما رأيتُ مِن الناس أحدا يُحبّه أصحابه.. ما يُحبّ أصحابُ محمّدٍ محمّدا!

* وقد وصف عروةُ بن مسعود الثقفيّ شدّة حبّ المسلمين لرسول اللّه صلي الله عليه و آله، و تفانيهم فيه وطاعتهم له، حين أوفدَتْه قريشٌ إلي النبيّ الأكرم صلي الله عليه و آله في صلح الحديبيّة، فقال مخاطبا قريشا بعد عودته:

أيْ قوم! واللّه ِ لقد وفدتُ علي الملوك، وفدتُ علي قيصرَ و كسري والنجاشيّ.. واللّه ِ ما رأيتُ مَلِكا يُعظّمه أصحابُه ما يُعظّم أصحابُ محمّدٍ محمّدا! إذا أمَرَهم ابتدروا أمرَه، و إذا توضّأ كادوا يقتتلون علي وضوئه، و إذا تكلّموا خفضوا أصواتَهم عنده، و ما يَحُدّون إليه النظر؛ تعظيما له(1).

والي هذه الحقيقة.. يشير «هيل» أحد المستشرقين والباحثين في

شؤون التاريخ، حيث يقول: لا نعرف في تاريخ دعوة، كان صاحبها سيّدا مالكا لزمانه و لقومه، كما كان محمّد. و ذاك «لورد هدلي» يقول في رسالة له بمناسبة مولد النبيّ محمّد صلي الله عليه و آله و قد أعلن إسلامه: لقد نال محمّد نبيّ الاسلام عليه السلام حبَّ العالم أجمع، و حبَّ أعدائه بوجهٍ خاصّ، وذلك عندما ضرب مثلاً في مكارم الأخلاق بإطلاق سراح عشرة آلاف أسير كانوا في يومٍ مِن الأيّام يعملون علي قتلِه والفتك به، و إيرادِه وأصحابهمواردَ الهلاك..(2).

1- - يجد القارئ الكريم هذه الروايات ونظيرها في كتب السيرة النبويّة الشريفة.

2- - محمّد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب و مشاهير علمائه و كتّابه - سلسلة شباب محمّد صلي الله عليه و آلهالحلقة 8، ص 38- 39.

أجَل، فلم ينفضَّ الناس عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله، بل زحفوا نحوه و تعلّقوا بشخصه الشريف، و أحبّوه و ودّوه؛ لأنّه لانَ لهم برحمة اللّه عزّوجـلّ، ولم يكن – حاشاه – فظّا ولا غليظَ القلب، حاشاه صـلي الله عليه و آله، فهو الـذي أدّبه ربُّه جلّ و علا فأحسنَ تأديبه، و توَّجَه بخطابه الكريم: «وإنّكَ لَعلي خُلُقٍ عَظيم».

مشكلة.. و علاج

إنّ الحياة – أخي القارئ العزيز – بلا صبرٍ ولا تَرَوٍّ و لا حِلْم، وبلا تسامحٍ و مداراة، وبلا عفوٍ وصـفح.. حياةٌ ضيّقة خانقة مكدَّرة، لاتخلو من الأحقـاد والخصومات، ولا تُعقّب إلاّ المعاصـي والآثام.. فسوء الخُلق الـذي يُعرَّف بالتضـجّر وانقباض الوجه والنفس و سوء الكلام، يخلق أجواءً منغِّصـة للمرء نفسه ولمَن يعيش معه، حتّي يُبعـدَه عن الخالق وعن الخَلْق، والتجارب شاهدة علي أنّ الطباع متنفّرةٌ عن سـيّئ الخُلق، وأنّ سـيّئ الخُلق في حالٍ وخيمـة، وكأ نّه يحارب نفسَه ويأتي لها بما يؤذيها؛ ولـذا يقول الإمام الصادق عليه السـلام: مَن ساء خُلقُه، عـذّبَ نفسَه(1).

ورُبّ ساعٍ في إصلاح خُلقه يتساءل: كيف يُدفَع سوء الخُلق عن طبع المرء، و كيف يُكتسب حُسن الخُلق؟ ولأهل الأخلاق جوابهم:

إنّ طرق العلاج في إزالـة سوء الخُلق: أن يتـذكّر المرءُ أوّلاً أنّ سوء الخُلق يُفسـد دنياه و آخرته، و يجعله ممقوتا عند الخالق والخَلق، فينبغي أن يجـدّ في إزالته عن نفسه، فيُقدّمَ التروّيَ والتفكّر عند كلّ عملٍ أو كلام، فيحفظقلبه و لسانه معا – ولو علي نحو التكلّف والتحمّل – مِن أن يصدر عنه سوء

1– – تحف العقول 267.

خُلق، متذكّرا ماورد في مدح حسن الخلق و شرفه، ومواظبا علي التحلّي به في منطقه و سلوكه، و متشوقّا إلي التعرّف علي رواياته، مِن ذلك:

* قول النبيّ صلي الله عليه و آله:

- حُسن الخُلق نصف الدِّين(1).

- ما يُوضَع في ميزان امرئٍ يومَ القيامة أفضلُ مِن حُسن الخُلق(2).

- أكثر ما تلج به أُمّتي الجنّة: تقوي اللّه، و حُسن الخُلق(3).

* و قول أميرالمؤمنين عليه السلام:

- حُسن الخُلق أفضلُ الدِّين(4).

- حُسن الخُلق مِن أفضل القِسَم، و أحسنِ الشِّيَم(5).

- مَن حَسُنتْ خليقتُه، طابت عشرتُه(6).

* وقول الإمام الحسن المجتبي عليه السلام:

- إنّ أحسن الحسن، الخُلقُ الحسن(7).* وقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

- إنّ اللّه تبارك و تعالي لَيُعطي العبدَ مِن الثواب علي حُسن الخُلق، كما يُعطي المجاهدَ في سبيل اللّه، يغدو عليه و يروح(8).

- ما يَقْدمُ المؤمنُ علي اللّه عزّوجلّ بعملٍ بعد الفرائض أحبَّ إلي اللّه تعالي مِن أن يَسعَ الناسَ بخُلُقِه(9).

1- - الخصال 30 / ح 106 - باب الواحد.
2- - الكافي 2:81 /ح2 - باب حُسن الخُلق.
3- - الكافي 2:82/ ح6 - باب حُسن الخُلق.
4- - غرر الحكم 166.
5- - غررالحكم 167.
6- - غرر الحكم 273.
7- - الخصال 29 / ح102 - باب الواحد.
8- - الكافي 2: 83 / ح12 - باب حسن الخُلق.
9- - الكافي 2: 82 / ح4 - باب حُسن الخُلق.

- البِرُّ و حسن الخلق: يَعْمرانِ الديار، و يَزيدانِ في الأعمار(1).

إنّ كلّ امرئٍحَسنِ الخُلق محبوبٌ عنداللّه تعالي وعند الناس، ولايزال محلاً لرحمة الباري الرحيم تبارك شأنه، و مرجعا للمؤمنين ينتظرون خيره و لطفه، و يتوقّعون منه أن يُنجِح مطالبهم، فتُفتَح عليه أبواب الأجر و منافذ الثواب.. قيل للإمام الحسن عليه السلام: لأيّ شيءٍ نراك لا تَردّ سائلاً و إن كنتَ علي فاقة؟ فقال:

إنّي للّه سائل، و فيه راغب، و أنا أستحيي أن أكون سائلاً و أردّ سائلاً، و إنّ اللّه تعالي عوّدني عادة.. عوّدني أن يُفيضَ نِعمَه علَيّ، و عوّدتُه أن أُفيضَ نِعمَه علي الناس، فأخشي إنْ قطعتُ العادة، أن يمنعني العادة. و أنشأ عليه السلام يقول:

إذا ما أتاني سائلٌ قلتُ: مرحبا***بمَن فضلُه فرضٌ علَيّ مُعجَّلُ

ومَن فضلُه فضلٌ علي كلّ فاضلٍ ***وأفضلُ أيّام الفتي حين يُسألُ(2)

والحسن المجتبي صلوات اللّه عليه هو وريث جدّه المصطفي صلي الله عليه و آله المبعوث ليتمّم مكارم الأخلاق، وقد بلغ فيها ما بلغ من الشرف الأسمي، حتّي ورد في سيرته المباركة أ نّه صلي الله عليه و آله كان ذات يوم جالسا فيالمسجد، إذ جاءته جارية لبعض الأنصار، فأخذت بطرف ثوبه صلي الله عليه و آله، فقام لها النبيّ صلي الله عليه و آله

فلم تقل شيئا ولم يقل لها النبيُّ صلي الله عليه و آله شيئا.. حتّي فعلتْ ذلك ثلاث مرّات، فقام لها النبيّ صلي الله عليه و آله في الرابعة و هي خلفَه، فأخذت هُدْبةً مِن ثوبه، ثمّرجعت.

فقال لها الناس: فعَلَ اللّه ُبك و فعل (توبيخا)، حَبستِ رسولَ اللّه صلي الله عليه و آله

1- - الكافي 2: 82 / ح8 - باب حسن الخُلق.

2- - نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار 247 - 248.

ثلاث مرّات لا تقولين له شيئا ولا هو يقول لكِ شيئا ! ما كانت حاجتك إليه؟ قالت: إنّ لنا مريضا، فأرسلني أهلي لآخذَ هُدبةً من ثوبه؛ ليستشفيَ بها، فلمّا أردتُ أخْذَها رآني فقام، فاستحييتُ منه أن آخذَها وهو يراني، و أكره أن أستأمره في أخذِها، فأخذتُها(1).

وفي كتاب اللّه العزيز نقرأ قوله تعالي: «لَقَدْ كانَ لكُم في رسولِ اللّه ِ أُسْوةٌ حَسَنةٌ لِمَن كانَ يَرجُو اللّه َ واليومَ الآخِرَ وذَكَرَ اللّه َ كثيرا»(2).

1- - الكافي 2 : 83 / ح 15 - باب حُسن الخُلق. و هُدْبة الثوب طرفُه الذي لم يُنسَج.

2- - الأحزاب 33 21.

ضرورة العفو

حقيقة.. و ضرورة

مَن يَعشْ بين الناس يَجِدْ: أفهاما متغايرة، و أمزجةً متباينة، و طباعا متضادّة. هنا نسأل أنفسَنا: كيف لنا أن نعيش في وسطٍ كهذا ما لم نمتلك حُسن الخُلق والمداراة؟ و كيف تمضي الحياة بلا صبرٍ ولا حلم ولا عفوٍ ولا صفحٍ عن الآخرين إذا أساءوا؟ أبالعتاب؟ والشاعر يقول:

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعاتِبا***صديقَك.. لم تَلقَ الذي لا تُعاتبُهْ

فعِشْ واحدا، أو صِلْ أخاك فإنّه***مُقارفُ ذَنْبٍ مَرّةً، و مُجانبُهْ

ثمّ لنسألْ أنفسنا مصارحين، غير مخادعين: مَن منّا مَن يخلو من المساوئ والعيوب، ولم تصدر منه قبال الآخرين إساءات وذنوب؟ أليس يقول الشاعر:

إذا أُخبِرتَ عن رجلٍ بريءٍ***مِن الأخطاء.. ظاهرُه صحيحُ

فسَلْهم عنه: هل هو آدميٌّ؟***فإن قالوا: نعم، فالقولُ ريح

ولكنْ بعضُنا أهلُ استتارٍ***وعند اللّه ِ أجمعُنا جريحُ

ومِن إنعامِ بارئِنا علينا***بأنّ ذنوبَنا ليستْ تفوحُ

فلو فاحتْ لَولّينا فرارا***فُرادي في الفَلا ما نستريحُ

ثمّ مَن منّا يحبّ العتاب، ولا يُحبّ السَّتر علي معايبه و عثراته؟ و ربّما

جرّ العتاب إلي افتراق الأحبّة و الأصحاب! وتلك كلمات أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام:

- كثرةُ العتاب، تُؤْذِن بالارتياب(1).

- الإفراطُ في المَلامة، يَشُبُّ نارَ اللَّجاجة(2).

- لا تُكْثِرنّ العِتاب؛ فإنّه يورث الضَّغينة، ويدعو إلي البغضاء..(3).

ثمّ مَن منّا مَن لم يُؤذِ الآخرين، ولا يُحبّ أن يُعفي عنه؟ ومَن منّا مَن لم يُسـئْ ولا يريد أن يُصفَح عنه؟ كلُّنا نُخطئ، و كلّنا نحتاج إلي الحلم والعفو؛ لتعود إخوّتنا عزيزةً لا يُفرَّط بها لزلّةٍ صدرت، أو نزغٍ شـيطانيٍّ طرأ.. و كذا لتستمرّ الحياة في إنسانيّةٍ يُتعامَل بها مع الجار والغريب و رفيق السفر، و كلّ مَن يلتقي بنا أو نلتقي به.

* عن الإمام أبي الحسن عليّ بن موسي الرضا صلوات اللّه عليه، أنّ المأمون العبّاسيّ قال له: هل رويتَ مِن الشعر شيئا ؟ قال: قد رويتُ منه الكثير، فقال: أنشِدْني أحسنَ ما رويتَه في الحِلْم، فقال عليه السلام:

إذا كان دوني مَن بُليتُ بجهلِهِ***أبَيتُ لنفسي أن تُقابِلَ بالجهلِ

وإن كان مِثْلي في محلّي مِن النُّهي***أخذتُ بحلمي، كي أُجَلَّ عنِ المِثْلِ

وإن كنتُ أدني منه في الفضل والحجي***عَرَفتُ له حقَّ التقدّمِ والفضلِ

فقال له المأمون: ما أحسنَ هذا ! مَن قاله؟ فقال: بعض فتياننا. قال: فأنشِدْني أحسنَ مارويته في السـكوت عن الجاهل و ترك عتاب الصديق، فقال عليه السلام:

إنّي لَيهجرُني الصديقُ تجنُّبا***فأُريه أنّ لهجرِه أسبابا

1- - غرر الحكم 244.

2- - غرر الحكم 41.

3- - غرر الحكم 342.

وأراه إن عاتبتُه أغريتُه***فأري له تركَ العتابِ عتابا

و إذا بُليتُ بجاهلٍ متحكِّمٍ***يجدُ المَحالَ مِن الأمور صوابا

أولَيتُه منّي السكوت.. وربّما***كان السكوتُ عن الجوابِ جوابا

فقال المأمون: ما أحسنَ هـذا ! مَن قاله؟ قال: لبعض فتياننا. قال: فأنشدْني عن أحسنِ ما رويتَه في اسـتجلاب العدوّ حتّي يكون صديقا، فقال عليه السلام:

و ذي غِلّة سالمتُه فقهرتُه***فأوقرتُه منّي لعفوِ التحمّلِ

ومَن لا يُدافعْ سيّئاتِ عدوِّهِ***بإحسانه لم يأخذ الطَّول مِن عَلِ

ولـم أرَ في الأشـياء أسرعَ مَهْلَكا***لغَمْرٍ قديمٍ مِن ودادٍ مُعجَّلِ(1)ثمّ نعود فنتسـاءل: مَن منّـا مَن لم يعصِ اللّه تبارك و تعالي، ولا يُحبّ أن يغفر اللّهُ جلّتْ رحمتُه معاصـيه؟ إذن كيف السبيـل؟ لِنعفُ عن إخواننـا كمـا نُحبّ أن يعفوا هم عنّـا، ولْنُغضِ عن أخطـائهم كما نحبّ أن يُغضي عن أخطائنا، ولنغفرْ لهم كما نحبّ أن يغفر اللّهُ لنا، وهو القائل عزّ مِن قائل: «ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحوا، ألاَ تُحبّونَ أن يَغفرَ اللّهُ لكم، واللّه غفورٌ رحيم»(2).

افتراض.. ونتيجة

لو فرضـنا – أيّهـا الإخوة الأعزّة – أ نّنا لانصبر علي إساءات الآخرين، ولا نصـفح عنهم ولا نعفو عن أحـد، فماذا سـيكون؟ لا بـدّ أنّ الحال سيؤول إلي: الخرق.. بدلَ الرِّفق، و إلي الأحقاد.. بدل المحبّة والوداد، و إلي الانتقام.. بدل الأُلفة والوئام، أليس كذلك؟

1- – عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 174 – 175 / ح 1 – الباب 43.

2- – النور 24 22.

دَعُونا نتأملْ ما سيجرّنا إليه عدمُ العفو، و تركُ كظم الغيظ، والبعدُ عن الصبر علي الآخرين.. أليس الأمر سيؤول إلي: الغضب والحقد والسَّفه والطيش والخَرْق؟! وهذه معالم و آثار تلك المساوئ:

* قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان تتوقّد في قلب ابن آدم، و إنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه و دخل الشيطان فيه(1).

* وقال الإمام عليّ عليه السلام: بكثرة الغضب يكون الطيش(2). إيّاك و الغضب؛فأوّله جنون وآخِرُه ندم(3).

* وعن الإمام الباقر عليه السلام: أيُّ شيءٍ أشدُّ مِن الغضب! إنّ الرجل لَيغضب فيقتل النفسَ التي حرّم اللّه و يَقذف المُحصَنة!(4)

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: الغضبُ مفتاحُ كلِّ شرّ(5).

* وعن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال: الغضب يُفسِد الإيمان، كما يُفسِد الخَلُّ العسلَ(6).* وقال أميرالمؤمنين سلام اللّه عليه: رأسُ العيوب الحقد(7). الحقد مَثارالغضب(8). سببُ الفتن الحقد(9). سلاحُ الشرّ الحقد(10). الحقودُ معذَّب النفس،

1- - بحارالأنوار 5: 267 - عن مُنية المريد؛ والكافي 2: 231/ ح12 - باب الغضب، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام.

2- - غرر الحكم 146.

3- - غررالحكم 75.

4- - الكافي 2: 229 / ح 4 - باب الغضب.

5- - الكافي 2: 229 / ح3 - باب الغضب.

6- - الكافي 2: 229 / ح 1 - باب الغضب.

7- - غرر الحكم 182.

8- - غررالحكم 32.

9- - غررالحكم 190.

10- - عيون الحِكم 6: 212.

متضاعِف الهمّ(1). أشدُّ القلوب غِلاًّ، قلب الحقود(2).

* وعن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: أقلُّ الناس راحةً الحقود(3).

* وفي غرر حِكمه و دُرر كلمه، قال الإمام عليّ عليه السلام: السَّفَهُ خُرْق(4). السَّفهُ مفتاح السِّباب(5). السَّفهُ يجلب الشرّ.(6) دع السَّفه؛ فإنّه يُزْري بالمرء و يَشينُه(7).

* وعن الإمام عليٍّ الهادي عليه السلام قال: إنّ المُحِقّ السفيه يكاد يُطفئ نورَ حقّه بسفهه!(8)

* و رُويَ عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قولُه: لو كان الخُرْقُ خَلْقا يُري، ما كان شيءٌ ممّا خَلَق اللّه ُأقبحَ منه!(9)

{وعن الإمام محمّد الباقر عليه السلام رُويَ أ نّه قال: مَن قُسِم له الخُرْق، حُجِب عنه الإيمان(10).

* وجاء عن الإمام موسي الكاظم عليه السلام قوله في رجلين يتسابّان: البادي منهما أظلم، و وِزْرُه و وِزْر صاحبِهِ عليه ما لم يتعدَّ المظلوم(11).أما الانتقام – إخوتنا الأكارم – فأمرٌ مذموم، فهو إفرازٌ عن الحقد، و مآله إلي العداوات و مالا تُحمد عُقباه. وللتعرّف علي هذا الخُلق السيّئ تعالوا نذهب إلي الشيخ محمّد مهديّ النراقيّ؛ ليحدّثنا حوله قائلاً:

الانتقام بِمثْل ما فُعِل به، أو بالأزيد منه، و إن كان محرَّما ممنوعا في

1- – غرر الحكم 50.

2- – غررالحكم 87.

3- – تحف العقول 363.

4- – غرر الحكم 13.

5- – غررالحكم 16.

6- – غررالحكم 21.

7- – غررالحكم 178.

8- – تحف العقول 358.

9- – الكافي 2:242 / ح2- باب الخُرْق.

10- – الكافي¨ 2:242 / ح 1 – باب الخُرْق.

11- – الكافي 2:243 / ح3 – باب السَّفَه.

الشـريعة، هو مِن نتائج الغضب؛ إذ ليس كلَّ انتقامٍ جائزا، فلا يجوز مقابلة الغِيبة بالغيبة، والفُحشِ بالفحش، والبهتان بالبهتان، والسـعاية إلي الظَّلَمـة بمِثْلها.. و هكذا في سائر المحرَّمات. قال سـيّدُ الرُّسل صـلي الله عليه و آله : إنِ امرؤٌ عيّرك بما فيك، فلا تُعيّره بما فيه. و قال صـلي الله عليه و آله: المسـتبّانِ(1) شـيطانانِ يتهاتران. و قـد ورد أنّ رجلاً شـتم أبابكر بحضـرة النبيّ صـلي الله عليه و آله وهو ساكت، فلمّا ابتدأ (أبوبكر) لينتصـر منه، قـام رسول صـلي الله عليه و آلهو قـال مخاطبـا له: إنّ المَلَـك كـان يُجيب عنـك، فلمّـا تكلّمتَ ذهب المَلَك و جاء الشيطان، فلم أكن لأجلس في مجلسٍ فيه الشيطان.

(2).

فكلُّ فعلٍ أو قول يصدر مِن شـخص بالنسـبة إلي غيره ظلما، إن كان له في الشـرع قِصاصٌ و غرامة، فيجب ألاّ يتعدّي عنه (أي عن الشـرع أو القصاص)، و إن كان العفو عن الجائر أيضا أفضلَ و أولي، و أقربَ إلي الورع والتقوي. و إن لم يرد بخصوصه في الشـرع حكمٌ معيّن، وجب أن يقتصر في الانتقام و ما يحصل به التشفّي علي ماليس فيه حُرمةٌ ولا كذب،مثل أن يقابل الفحشَ والذمّ وغيرهما من الإيذاء الذي لم يُقَدَّر له في الشرع حكم معيّن، بقوله: يا قليلَ الحياء، و يا سيّئَ الخُلق.. و أمثال ذلك إذا كان متّصفا بذلك. ومثل قوله: جزاك اللّه و انتقم منك!

إلي أن يقول الشيخ النراقي: ولاريب في أنّ الاقتصار علي مجرّد

1- - هكذا في المصدر، و ربّما هي: المتسابّان.

2- -عن الإمـام أبي عبـداللّه الصادق عليه السـلام قال: إذا وقع بين رجلينِ منازعـة، نزل مَلَكان، فيقولان للسَّفيه منهما: قلتَ و قلت، و أنت أهـلٌ لمـا قلت، سـتُجزي بمـا قلت! و يقولانِ للحليم منهما: صَبرتَ و حَلُمت، سـيغفر اللّه ُلك إن أتممتَ ذلك. قال عليه السـلام: فإنْ ردَّ الحليمُ عليه ارتفع المَلَكان الكافي 2: 92 / ح9 - باب الحِلْم.

ماوردت به الرخصةُ بعد الشروع في الجواب مُشْكِل![1]، ولعلّ السكوت

عن أصل الجواب، و إحالة الانتقام إلي ربّ الأرباب أيسر و أفضل، ما لم يُؤدِّ إلي فتور الحميّة والغَيرة؛ إذ أكثرُ الناس لا يَقْدر علي ضبط نفسه عند فورة الغضب؛ لاختلاف حالهم في حدوث الغضب و زواله..

إلي أن يقول: ثمّ طريق العلاج في ترك الانتقام: أن يتنبّه المرء إلي سوء عاقبة الانتقام في العاجل و الآجل، و يتذكّرَ فوائد تركه، و يعلم أنّ الإحالة إلي المنتقم الحقيقي (تبارك و تعالي) أحسنُ و أَولي، و أنّ انتقامه (سبحانه) أشدُّ و أقوي، ثمّ يتأمّل في فوائد العفو و فضيلته[2].

وهنا - إخوتنا الأعزّة - نصل إلي أهميّة العفو و ضرورته في معايشاتنا

اليوميّة مع الناس، باعتباره ضامنا للمعاشرة السليمة والروابط الإنسانيّة الطيّبة، فإذا رُفع العفو والتسامح والتغافل عن الإساءة و إعذار الآخرين.. هُدّدت علاقات الناس بالقطيعة والعداوة والانتقام، و حلّ الغضب والحقد والخُرق بدلَ الأُخوّة والمحبّة والوئام، و انجرّت الأمور إلي البغضاء والخصام، وجرّت علي المتخاصمين الآثام، و ما يُحرِج العبادَ يومَ القيام.

فالحلّ الأسلم.. وفيه خيرُ الدنيا و الآخرة، هو العفو، و كفي هدايةً في ذلك قولُ المصطفي صلي الله عليه و آلهو هو متمّم مكارم الأخلاق و مجسّدها في سيرته العاطرة: إذا عنّتْ لكم غضبة، فأدْرأوها بالعفو.. إنّه ينادي مُنادٍ يومَ القيامة:مَن كان له علي اللّه أجرٌ فَلْيَقُم. فلايقوم إلاّ العافون، ألم تسمعوا قولَه تعالي: «فمَن عَفا و أصْلَحَ فأجْرُه علَي اللّه»؟![3]

1- - أي صعب؛ إذ لا يُطيق المتشاجر في حالة غضبه أن يقتصر علي ماورد، أو يمسك لسانه عن كلمات انتقاميّة خارجة عن الحدّ، استجابة لانفعالاته.

2- - جامع السعادات 1: 299 - 301، باب الانتقام.

3- - أعلام الدين في صفات المؤمنين 337 / ح 16 من أربعين حديثا عن ابن ودعان الموصليّ، والآية في سورة الشوري 42 40.

خصائص العفو

العفو الحقيقيّ

في تعريف العفو.. قال علماء الأخلاق:

العفو هو أن تستحقّ حقّا فتُسقطه و تبرأ عنه، مِن قصاصٍ أو غرامة(1). وهو ضدّ الانتقام(2)، وقيل: هو تركُ عقوبةِ الذنب(3).

وأمّا العفو الحقيقيّ الكامل والصادق.. فله خصائصه، وهي:

أوّلاً: أن يكون عند التمكّن والمقدرة، فإنّما يعفو المرء عن أخيه إذا كان قادرا علي عقوبته و الانتقام منه والاقتصاص لنفسه، وليس حينما يعجز عن ذلك.. يقول النبيّ المصطفي صلي الله عليه و آله: أَولي الناس بالعفو، أقدرُهم علي العقوبة(4).

أجل.. عند ذلك يكون للعفو فضلُه، وبذلك أوصي أميرالمؤمنين عليه السلام

قائلاً: كُنْ عَفُوّا في قدرتِك، جوادا في عُسرتِك، مُؤثِرا في فاقتك.. تكمُلْ

1- - المحجّة البيضاء 5: 318 - باب فضيلة العفو.

2- - جامع السعادات 1: 301 - باب العفو.

3- - بحارالأنوار 71: 398 - في بيان قوله تعالي: «فاعْفُوا و اصْفَحوا» البقرة 2 109.

4- - معاني الأخبار 196 / ح 1 - باب معني الغايات.

لك الفضائل(1). و قال عليه السلام: عندَ كمالِ القدرة، تظهر فضيلةُ العفو(2).

و هكـذا تكون خصـيصة العفو أنّ العافي يعفو وهو مقتدر، ترفّعا عن الانتقام، أو حفاظا علي الرابطة الأخويّة أو الإنسانيّة، أو طمعا في الأجر والثواب، أو شـكرا للّه تعالي و أداءً لزكاةِ القـدرة علي الآخرين، أو تخلّقا بأخلاق بارئه جلّت رحمته.. و هو بـذلك يتحلّي بمكرمةٍ رفيعة مِن مكارم الأخلاق و معاليها. تعالوا نقف – أيّها الإخوة – علي هذه المعاني السامقة في كلمات أميرالمؤمنين عليه السـلام وهو يعرّف لنا العفو في صورته الفاخرة، حيث يقول:

العفوُ زَينُ القُدرة(3). العفو زكاةُ القدرة(4). العفو زكاة الظَّفَر(5). العفو مع القدرة جُنّةٌ مِن عذابِ اللّه سبحانه(6).

* و يقول أيضا – و ما أحلي أقواله صلوات اللّه عليه – :

أحسنُ أفعالِ المُقتدر، العفو(7). أحسنُ العفو ماكان عند قدرة(8).أحسنُ المكارم: عفوُ المُقتدِر، وجُود المُفتقِر(9). إذا قدَرتَ علي عدوِّك، فاجعلِ العفوَ عنه شكرا للقدرةِ عليه(10).

* وأمّا الإمام الحسين عليه السلام فيقول: إنّ أعفي الناس مَن عفا عند قدرته(11).

1- - غرر الحكم 247.

2- - غرر الحكم 216.

3- - غررالحكم 20.

4- - غررالحكم 22.

5- - غررالحكم 16.

6- - غررالحكم 36.

7- - غررالحكم 89.

8- - غررالحكم 93.

9- - غرر الحكم 93.

10- - نهج البلاغة: الحكمة 11.

11- - الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة 24.

ثانيـا: من خصـائص العفو الرفيع.. أن يترك المسـتحقّ حقّه في تـأنيب المسـيء إليه؛ لأـنّ التأنيب نوعٌ من التوبيـخ أحيانا، كما أ نّ الملامة الشديـدة والعتاب المُرّ من أنواع القِصاص المعنويّ والعقوبـة الأدبيّة، لاسـيّما إذا كان ذلك أمام الناس و إن كان علي نحو النصـيحة.. يقول الشاعر:

تَعمّدْني بنُصْحِك في انفرادي***وجنِّبْني النصيحةَ في الجماعةْ

فإنّ النُّصْحَ بين الناس نوعٌ***مِن التوبيخ.. لا أرضَي استماعَه

فإن خالفتَني و عصَيتَ أمري***فلا تغضبْ إذا لم تُعْطَ طاعة!

و قد أمر اللّه جلّ و علا في شأن الصَّفْح أن يكون جميلاً، فقال عزّ و جلّ: «فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجميل»(1)، قال الإمام الرضا عليه السلام في بيانه: عَفْوا مِن غيرِ: عقوبـةٍ، ولا تعنيفٍ، ولا عَتَب(2). وقال الإمام الرضا عليه السـلام أيضا في ظلّ الآية المباركة: العفو مِن غير عتاب(3). ولذا يقول الإمام عليّ عليه السلام: ما عفا عن الذَّنْب مَن قرّعَ به(4). التقريع أحد العقوبتَين!(5).

ثالثا: قد يتسامي المؤمن في عفوه.. فلا يكتفي بترك الملامة والعتاب والتقريع، إنّما يقابل إساءة الآخرين وظلمهم إيّاه بالدعاء لهم والإحسان إليهم. وهذا هو الذي كان في أخلاق المصـطفي صلي الله عليه و آله.. فقد آذاه المشركون و كذّبوه و شرّدوه، وحصبوه، فأوحي اللّه تبارك و تعـالي إلي «جابيل» مَلَك الجبال أن شُقَّ الجبالَ وانتَهِ إلي أمر محمّـد. فأتاه فقال: إنّي أُمِرتُ لك بالطاعـة، فإن أمرتَ أن أطبقَ عليهم الجبالَ فأهلكتُهم بها، قال صلي الله عليه و آله: إنّما

1- – الحِجر 15 85.

2- – أعلام الدّين في صفات المؤمنين 307.

3- – عيون أخبارالرضا عليه السلام 1:294/ح 50 – الباب 28؛ و أمالي الصدوق 68/ح4 – المجلس 17؛ و معاني الأخبار 374/ح1 – باب معني الصفح الجميل.

4- – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 20:342 / الحكمة 55؛ و غرر الحكم 309.

5- – غرر الحكم 39. والتقريع: الإيجاع باللّوم، وقَرَعْتَ الرجل: إذا وبّختَه.

بُعِثتُ رحمة، ربِّ اهدِ أمّتي؛ فإنّهم لايعلمون(1).

نفحات.. من السيرة العاطرة

كتب لين بول: إنّنا إذا رجعنا إلي التاريخ و حكّمناه في مسألة القسوة، لَتبيّن أنّها لم تكن قطُّ مِن أخلاق محمّد صلي الله عليه و آله ؛ و ذلك بدليل معاملتِه للأسري بعد غزوة بدر و تسامحه مع أعدائه، و صبرِه علي أذاهم، و عطفه علي الأطفال والمرضي، و حقنه للدماء، وعفوِه عن أولئك الذين قَضَوا في محاربته ثمانية عشر عاما و أظهروا له فيها كلَّ صنوف العداء، وأذاقوه مِن خلالها كلَّ أنواع الجور والاضطهاد والظلم(2).

و كتب لورد هدلي: لقد نال محمّد نبيّ الاسلام عليه السلام حبَّ العالم أجمع، وحبَّ أعدائه بوجهٍ خاصّ، وذلك عندما ضرب مثلاً في مكارم الأخلاق بإطلاق سراح عشرة آلاف أسير (أي بعد فتح مكّة) كانوا في يومٍ من الأيّام يعملون علي قتله والفتك به، و إيرادِه و أصحابه موارد الهلكة..(3).

أجل.. كان الفتح المظفّر لرسول اللّه صلي الله عليه و آله في مكّة، وقد دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنّون أنّ السيف لا يُرفَع عنهم، فأتي رسولُ صلي الله عليه و آله البيتَ الحرام وأخذ بعُضادَتَي الباب،(4) ثمّ قال: لا إله إلاّ اللّه، أنجز وعدَه، و نصَرَ عبدَه، وغلب الأحزابَ وحده. ثمّ قال: ما تظنّون؟ و ما أنتم قائلون؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيرا ونظنّ خيرا، أخٌ كريم وابن عمّ، قال صلي الله عليه و آله: فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف: «لا تَثريبَ عليكمُ اليومَ يَغفِرُ اللّه لَكُم، و هو

1- - الاحتجاج 212.

2- - محمّد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب و مشاهير علمائه و كتّابه 38.

3- - محمّد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب و مشاهير علمائه و كتّابه 38 - 39.

4- - خشبتاه مِن جانبيه.

أرحمُ الراحمين»، ألا ـ إنّ كـلَّ دمٍ و مـالٍ ومـأثرةٍ كان في الجاهليّـة فإنّه موضوعٌ تحت قـدمي، إلاّ سدانـةَ الكعبة(1) و سـقايةَ الحاجّ؛ فإنّهما مردودتانِ

إلي أهليهما. ألا إنّ مكّـة محرّمـة بتحريم اللّه، لم تَحلَّ لأحدٍ كان قبلي، ولم تحلّ لي إلاّ ساعةً مِن نهار، فهي محرّمةٌ إلي أن تقوم الساعة، لا يُختلي خلاها، ولا يُقطع شجرها، ولا يُنفَّر صيدها، ولا تحلّ لُقطتُها إلاّ لمُنشد. ثمّ قال:

ألا لَبئس جيرانُ النبيِّ كنتم! لقـد كَذّبتم وطَردتم، وأَخرجتم و فللتم، ثمّ مارضـيتُم حتّي جئتموني في بلادي تقاتلونني، فاذهبوا فأنتمُ الطُّلَقاء ! فخرج القوم كأ نّما أُنشِروا من القبور، و دخلوا في الإسلام(2).

* و علي سـيرته الرحيمة سار أهل بيته و أوصـياؤه صلوات اللّه عليهم.. فقد جاء رجلٌ إلي الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقال له: إنّ فلانا قـد وقع فيك بحضوري، فقال عليه السـلامله: انطلقْ بنا إليه.. فانطلق معه والرجل يظنّ أ نّه عليه السلامسينتصـر لنفسه منه، فلمّا أتاه قال عليه السلام لذلك الرجل الذي وقع فيه: يا هذا ! إنْ كان ما قلتَه فِيّ حقّا، فأنا أسأل اللّه ـ أن يغفرَ لي،

و إن كان ما قلتَ فِيّ باطلاً، فاللّه ُ تعالي يغفره لك. ثمّ ذهب عنه(3).

{و يُروي أنّ رجلاً مِن نسل عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يُؤذي أباالحسن موسـي الكاظم عليه السلام و يسبّه إذا رآه ويشتم الإمامَ عليّا عليه السـلام، فقال لهبعض جلسائه يوما: دَعْنا نقتلْ هـذا الفاجر! فنهاهم عليه السـلام عن ذلك أشـدَّ النهي، و زجرهم أشـدّ الزجر، ثمّ سأل عليه السلام عن العُمَريّ فذُكر له أ نّه يزرع بناحية من

1- - سدانة الكعبة: خدمتها.

2- - إعلام الوري بأعلام الهدي 1: 225 - 226.

3- - نورالأبصار 281؛ و كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام 198؛ و مَطالب السَّؤول في مناقب آل الرسول 2: 23.

نواحي المدينة.

فركب عليه السلام إليه.. فوجده في مزرعةٍ له، فدخل المزرعةَ بحماره، فصاح به العمريّ: لا تَطَأ زرعَنا. فتوطّأه أبوالحسن عليه السلامبالحمار.. حتّي وصل إليه، فنزل وجلس عنده وباسَطَه وضاحكه، ثمّ سأله:

- كم غرمتَ في زرعك هذا؟

- مائة دينار.

- وكم ترجو أن تصيب؟

- لستُ أعلم الغيب!

- إنّما قلتُ لك: كم ترجو؟

- أرجو أن يجيئني مائتا دينار.

فأخرج أبوالحسن الكاظم عليه السلام صُرّةً فيها ثلاثمائة دينار وقال له:

- هذا زرعك علي حاله، واللّه ُ يرزقك فيه ما ترجو.

فقام العُمَريّ فقبّل رأس الإمام موسي الكاظم عليه السلام، و سأله أن يصفح عن فارطه(1)، فتبسّم أبوالحسن عليه السلام و انصرف. ثمّ راح إلي المسجد فوجد

العمريَّ جالسا، فلمّا نظر إلي الإمام قال: اللّه ُ أعلمُ حيث يجعل رسالته. فوثب إليه أصحاب الإمام وقالوا له: ما قصّتُك؟! فقد كنتَ تقول غيرَ هذا ! فقال لهم: قد سمعتم ماقلتُ الآن.. وجعل يدعو لأبي الحسن الكاظم عليه السلام، فخاصموه وخاصمهم.

فلمّا رجع أبو الحسن عليه السلام إلي داره، قال لمن سألوه قتلَ العُمريّ: أيُّما كان خيرا.. ما أردتُم أو ما أردت؟ إنّني أصلحتُ أمرَه بالمقدار الذي عرفتم،

1- - الفَرْط: تجاوزُ الحدّ.

و كُفيتُ به شرَّه(1).

رابعا: من خصائص العفو أيضا.. أ نّه يضمّ إلي صدره جملةً من مكارم الأخلاق و محاسنها و فضائلها: كالرحمة والشفقة والرأفة، والصبر والحلم والأناة، والرفق وكظم الغيظ.. و كلّ هذه السجايا تترابط فتأتي بالعفو خُلقا كريما لاينفكّ عنها في سببٍ أو نسبة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ خصال المكارم، بعضُها مقيَّد ببعض..(2).

من هنا.. فَلْننتقلْ معا - إخوتنا الأكارم - إلي روابط العفو.

1- - الإرشاد 297؛ إعلام الوري 2:26 - 27؛ مناقب آل أبي طالب 4: 344 - فصل في معالي أُموره عليه السلام؛ تاريخ بغداد 13:28؛ دلائل الإمامة 150؛ سير أعلام النبلاء 6:271.

2- - أمالي لطوسيّ 1: 308.

روابط العفو

فَهْم أعمق

الأخلاق في الدين، ليست مجرّدَ تعامل أدبيّ ظاهريٍّ مع الناس، وليست صيغا كماليّة من الارتباطات مع الإخوان والمقرّبين.. إنّما هي سلوك مسبوق بنيّة صالحة، يتجسّد فيها: الإيمان، والتقوي، وطاعة اللّه تبارك و تعالي، والاقتداء بسيرة الأنبياء والأوصياء صلوات اللّه عليهم أجمعين. والأخلاق الدينيّة – إضافة إلي ذلك – أحكام شرعيّة، عناوينها: الحرام والواجب والمكروه والمستحبّ.. وبعد، هي تلبيةٌ لأوامراللّه عزّوجلّ، وطلبٌ لمرضاته، وسلوك إلي سعادة الدارَين. ومن أجل ذلك لابدّ من نيّة الائتمار بما أمر الباري جلّ وعلا، والانتهاء عمّا نهي سبحانه و تعالي، والقربة إلي وجهه عزّ شأنه. ومِن هنا عبّرت الأخلاق عن الإيمان بما جاء في كتاب اللّه العزيز، و بما جاء في سيرة النبيّ الهادي الكريم وسنّته الشريفة صلي الله عليه و آله، و بما جسّده أهل البيت عليهم السلام من نصوص القرآن الكريم وسُنّة المصطفي صلي الله عليه و آلهو ترجموه إلي واقع الحياة الإنسانيّة.

وفي بيان معني العفو، والتعريف بهذا الخُلق الفاضل الكريم، لانستطيع أن نكتفي بالقول: إنّ العفو هو إسقاط مايستحقّه مِن قصاصٍ أو غرامة.. فهذا ظاهر الأمر، و أمّا باطنه فهو ينطوي علي معانٍ سامية، ونوازع شريفة،

ودواعٍ نبيلة، و خصال حميدة..

* عن الإمام أبي عبداللّه الصادق عليه السلام قال: ثلاثُ خصال مَن كُنّ فيه استكمل خصال الإيمان: مَن صبر علي الظلم، وكظَمَ غيظَه واحتسب، و عفا وغفر.. كان ممّن يُدخله اللّهءعزّوجلّ الجنّةَ بغير حساب، و يشفّعه في مِثْل ربيعةَ و مُضَر(1).

* و عن الإمام الصادق عليه السلام أيضا في بيان العفو، قال:

العفو عند القدرة مِن سنن المرسلين والمتّقين، و تفسيرالعفو أن لا تُلزِم صاحبك فيما أجرم ظاهرا، و تنسي مِن الأصل ما أُصِبتَ منه باطنا، و تزيد علي الاختيارات إحسانا، ولن يجدَ إلي ذلك سبيلاً إلاّ مَن قد عفا اللّه عنه، و غفر له ما تقدّم مِن ذنبه و ما تأخّر، و زيّنَه بكرامته، و ألبسه مِن نور بهائه..

والعفو سرُّ اللّه في القلوب، قلوبِ خواصّه ممّن يُسرّ له سرَّه..(2).

وبعد.. فللعفو علاقاته و وشائجه العديدة مع خصال أخري: كالحِلم وكظم الغيظ مِن جهة، والصبرِ والشكر من جهة أخري، والرِّفق والمداراة مِن جهةٍ ثالثة.. وله روابطه مع الصفح و حُسن البِشْر، وله لوازمه: كالترفّعِ عن الغضب والحقد، والاتّصافِ بالصفاء والطِّيبة، و تجنّب الانتقام والوقيعة، و بذل العطف والإحسان إلي المسيء حتّي ينصرفَ عن خطأه ويؤوبَ تائبا إلي بارئه.

هذا هو العفو، لانستطيع أن نُفرِده عن الأخلاق الأخري، وقد جاء عن أميرالمؤمنين عليٍّ عليه السلامقوله: إذا كان في رجلٍ خَلّةٌ رائقة، فانتظرواأخواتِها(3). فمَن تصدّق علي مسكين، توقّعنا منه الرحمة والعطف والكرم..

1- - الخصال 104 /ح 63 - باب الثلاثة.

2- - مصباح الشريعة 39.

3- - نهج البلاغة: الحكمة 445.

و مَن عفا عن إخوانه إذا أساءوا إليه أو ظلموه، توقّعنا منه الحلمَ والطيبة وحسنَ المعاشرة و الإخاء..

و مِن هنا، كان للعفو صِلاته و و شائجه مع خصال عديدة، و إن افترق معها في بعض الخواصّ، فهو غيرالحلم – مع علاقته معه – و هو غيرُ كظم الغيظ – مع صلته به – كما أنّ الحِلْم غيرُ الصبر، قيل:

إنّ الحِلْم هو الإمهال بتأخير العقاب المستحقّ، والحِلْم مِن اللّه تعالي عن العصاة في الدنيا فعلٌ ينافي تعجيلَ العقوبة.. من النعمة والعافية. وليس الحلم هو الترك لتعجيل العقاب، لأنّ الترك لايجوز علي اللّه تعالي؛ لأنّه فعلٌ يقع في محلّ القدرة يُضادّ المتروك، ولا يصحّ الحلم إلاّ ممّن يَقْدر علي العقوبة وما يجري مجراها مِن التأديب. وقال بعضهم: ضدُّ الحِلْم، السَّفَه؛ لأنّ السفه خِفّةٌ و عجلة، وفي الحلم أناةٌ و إمهال(1).

وقيل: الفرق بين الصبر والاحتمال (أي التحمّل)، أنّ الاحتمال للشيء يفيد كظمَ الغيظ فيه، و الصبر علي الشدّة يفيد حبسَ النفس عن المقابلة عليه بالقول والفعل. والصبر عن الشيء يفيد حبس النفس عن فعله، و صبرتُ علي خطوب الدهر: أي حبستُ النفس عن الجزع عندها. ولا يُستعمل الاحتمال في ذلك؛ لأنّك لاتغتاظ منه. والفرق بين الحِلْم والإمهال، أنّ كلَّ حِلْمٍ إمهال، وليس كلُّ إمهالٍ حِلْما..(2).

ومن هنا يتبين لنا – أيّها الإخوة – أنّ العفو غيرُ الحلم، فالحلمُ تأجيلالعقوبة، والعفو إسقاط العقوبة، وهما (العفو والحلم) غيرُ الصبر؛ إذ قد يصبر المرء علي أمرٍ لايقدر علي دفعه، أمّا العفو فهو صبرٌ مع إبراءٍ للمسيء و إسقاطِ عقوبته في وقت تتوفّر القدرة للعافي علي معاقبة المسيء أو

1- – الفروق اللّغويّة 164.

2- – الفروق اللّغويّة 165.

الانتقام منه.

وقـد يكظم المرء غيظه، و لكنّ ذلـك لايعني بالضـرورة أ نّه سـيعفو، بل قـد يؤجّل العقوبـة إلي وقتٍ آخر، أو موقعٍ آخر. أمّا العفو فهو إلغاء الغرامة تماما؛ لذا يُعرَّف العفو بأنّه ضدُّ الانتقام، و أ نّه إسقاط القصاص. بينما الحِلم هو طمأنينة النفس بحيث لايحرّكها الغضب بسهولة، ولا يستفزّها المكروه بسرعة، فالحلم هو ضدُّ الغضب، وكظمُ الغيظ هو الآخر ضدُّ الغضب مِن جهةٍ أخري؛ لأنّه يضعفه و يدفعه أو يكبته.

نعم.. يكون الحِلْم من مسـتلزمات العفو، ولكنْ ليس كـلُّ حِلمٍ عفوا؛ لأـنّ الحِلْم وكظم الغيـظ كلاهمـا حالـةٌ من الهـدوء والتماسـك عن الغضب و آثاره، وليسا بالضـرورة أنّهما سـيُعْقِبان عفوا عن المسـيء، فقـد يكون التماسك في حينها صبرا إلي وقتٍ آخر تُنفَّذ فيه العقوبة، أو يُفرَغ فيه الانتقام! أمّا العفو فهو إسقاط الحقّ عن المسيء تماما، حاضرا و مستقبلاً..

مثال ذلك أن يسرق سارقٌ من رجلٍ حليمٍ مبلغا من المال، فيحلم عليه الرجل، فلا يغضب و لايتهوّر و لا يُخاصِم، و قد يصبر عليه إلي مدّة لعلّ ذاك السارق يؤوب إلي رشده فيُرجِع المال، و إلاّ أمسكه و اقتصّ منه. بينما العفو يعني غضَّ النظر عن فعل السارق، و هبةَ ما سرقه إليه.

رُويَ أنَّ سارقا دخل علي خبأ عمّار بن ياسر (خيمته)، فقيل له:اقطعْه، فقال: بل أستر عليه؛ لعلّ اللّه أن يستر علَيّ يومَ القيامة(1).

فالحلم فيه صبر و أناة، و فيه ضـبط النفس عن هيجان الغضب، و فيه تثبّت في الأمور و اعتدال في القوّه الغضبيّة، و لكنّه لا يعني أ نّه سيؤدّي إلي عفوٍ عن المسيء، بل هو حالة تمنع النفس في حينها من الانفعال عن

1- - المحجّة البيضاء 5:321-322.

الواردات المكروهة المؤذية. و من آثار الحلم: عدمُ جزع النفس عند الأمور الهائلة، و عدم طيشـها في المؤاخذة، و عدم صدور حركاتٍ غير منتظمـة منها، و عدم إظهار المزيّة علي الغير، و عدم التهوّر في الأمور. و هو ضدّ السَّفه و ضدّ الغضب في موقع الغضب؛ و لذا يقول الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليهماالسلام: إنّه لَيُعجبني الرجلُ أن يُدرِكَه حِلْمُه عند غضبه(1).

والحلم هو صبر في بعض جهـاته، و قـد يصبر الحليم.. ولكنّ صبره لاـ يعني بالضـرورة أ نّه تنازلَ عن حقّه أو عفا، إنّما قـد يحلم مترفّعا عن مسيئه أو مُمْهِلاً إيّاه إلي وقتٍ آخر حتّي يلزمه الحُجّة، أو يُرجئه إلي موقعٍ آخر ليعاقبه. بينما العفو صبر و حلم و تنازل عن العقوبة في الوقت ذاته، وقد يضيف العفوُ إلي ذلك كظمَ الغيظ، مع أنّ كظم الغيظ لوحده لايعني العفو، فقد يكون صبرا موقّتا يعقبه ردٌّ بعد حين.

ولا شكّ أ نّ هنالك صـلةً وثيقةً بين العفو وكظم الغيظ، و كلاهما يجمعهما الصبر علي إساءة الآخرين وجهلهم، لكنّ كظم الغيظ من لوازم العفو غالبـا، وليس العفو من لوازم كظم الغيـظ. كـذا هنالـك صـلةٌ وثيقـة بين الحلم و كظم الغيـظ، فكلاهمـا إمسـاك النفس عن الهيجان والغضب، و همـا مِن الكمالات النفسـيّة، والصـفات الفاضـلة التي يتّصف بها العبـد بعـد ترويضٍ لنفسه وتهـذيبٍ لطباعه و تربيـةٍ لقلبه و ضميره.. لكنّ كظم الغيظ تحلّم، أي تمثّل للحِلْم و تكلّف له، إذا واظب عليه العبد صار فيه مَلَكةً ثمّ صار صفةً طبيعيّة، بحيث لايهيج الغيظُ عنده كي يحتاج إلي كظمه.. قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إنّما العِلْم بالتعلّم، والحِلْم بالتحلّم(2).

1- - الكافي 2:91/ح3- باب الحلم.

2- - يراجع: جامع السعادات 1: 295 - 297.

وهنـاك – إخواتنـا الأـعزّة – تلاـزم بين الحلم وكظم الغيـظ، و بينهمـا و بين الصـبر، و بين ثلاـثتِهم جميعـا و بين العفو.. حيث هو سـبيل الإحسان، قال الإمام جعفر الصادق عليه السـلام: ما مِن عبـدٍ كظَمَ غَيظا إلاّ زاده اللّهُ عزّوجلّ عِزّا في الـدنيا والآخرة، وقد قال اللّه عزّوجلّ: «والكاظمينَ الغَيظَ والعافينَ عن الناسِ واللّهُ يُحبّ المحسـنين»، و أثابه اللّهُ مكانَ غيظه ذلك(1). وقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إنّ العفو يزيـد صاحبَه عِزّا، فاعفوا يُعزَّكمُ اللّه (2). وقال الإمام الصادق عليه السـلام أيضا: ما مِن جُرعـةٍ يتجرّعها العبدُ أحبُّ إلي اللّه عزّوجلّ مِن جرعةِ غَيظٍ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه: إمّا بصبر، و إمّا بحِلْم(3).

فالغيـظ – مِن أجـل أن يُكظَم – يُراد له صـبرٌ أو حلم، و العفـو – مِن أجـل أن يتحقّق – يُراد له حلم وكظم غيـظ.. وإلاـّ تحكّم الغضب في الموقف وانجرّ الأمر إلي الانتقام، أو تغلّب الجزع و تحكّم الإصـرار علي العقوبـة، فلا بـدّ من الصبر حتّي يكون العفو، وقـد قال تعالي: «وَ لَمَنْ صَبَر وغفَرَ إنّ ذلك لَمِنْ عَزمِ

الأُمور»(4).

لِنقفْ علي الواقع

إذن هناك صلةٌ واضحة بين العفو وكظم الغيظ والحلْم، ولكنْ ليس كلُّ كظمٍ للغيظ عفوا، و كذا الحِلم.. و بيان ذلك في هاتين الروايتين:

الأولي: سـمع أميرُالمؤمنين عليه السـلام رجلاً يشـتم قنبرا (خادمَه)، و قد رام قنبر أن يردّ عليه، فناداه أميرالمؤمنين عليه السلام: مَهْلاً يا قنبر! دَعْ شاتمَك مُهانا تُرضي

1– – الكافي 2: 90 / ح5 – باب كظم الغيظ، والآية في سورة آل عمران 3 134.
2– – أمالي الطوسيّ 14:1.
3– – الكافي 2: 91/ح 13 – باب كظم الغيظ.
4– – الشوري 42 43.

الرحمان، و تُسخط الشيطان، و تعاقب عدوّك.. فوَالذي فلَقَ الحبّة و برأ النَّسَمة، ما أرضي المؤمنُ ربَّه بمِثْل الحِلْم، ولا أسخط الشيطانَ بمِثْل الصمت، ولا عُوقِب الأحمق بمِثْل السكوت عنه(1).

الثانية: عن الإمام أبي عبداللّه الصادق عليه السلامقال: كان بالمدينة رجلٌ بطّال يضحك أهل المدينة مِن كلامه، فقال يوما لهم: قد أعياني هذا الرجل – يعني عليَّ بن الحسين عليهماالسلام – فما يُضحكه منّي شيء! ولا بدّ أن أحتال في أن أُضحكه.

قال: فمرّ عليُّ بن الحسين عليهماالسلام ذات يوم ومعه مَوليان له، فجاء ذلك البطّال حتّي انتزع رداءَه مِن ظهره، واتّبعه المولييانِ فاسترجعا الرداء منه و ألقياه عليه وهو مُحْتبٍ لايرفع طَرْفَه من الأرض، ثمّ قال عليه السلام لمَولييه: ما هذا؟! فقالا له: رجلٌ بطّال يُضحِك أهلَ المدينة ويستطعم منهم بذلك، قال: فقولا له: ياوَيْحك! إنّ للّه ِ يوما يخسر فيه البطّالون!(2)

ونشعر هنا – أيُّها الإخوة – أ نّ كظم الغيظ والحِلْم – وكلاهما في موقعه، لم يُشيرا إلي العفو، لأنّ المسيء لم يكن يستحقّه، فقُوبل بالحِلْم والصمت أو التوبيخ لا ـ العفو، و أُرجئ إلي عقوبة اللّه تعالي لا ـ إلي المغفرة. و هنالك حالة أخري يكون العبد فيها بالاختيار، فعن أميرالمؤمنين عليه السلام ورد أ نّه قال:

و أمّا الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار؛ فإنّ اللّه تبارك و تعالي رخّص أن يعاقبَ العبد علي ظلمه، فقال اللّه تعالي: «وجزاءُ سيّئةٍ سيّئةٌ مِثْلُها، فمَن عفا و أصلَحَ فأجرُه علَي اللّه»، وهذا هو فيه بالخيار: إنْ شاء عفا، و إن شاء

1- – أمالي الشيخ المفيد 77/ المجلس الرابع عشر.

2- – أمالي الشيخ المفيد 136-137 / المجلس الخامس والعشرون.

عاقب(1).

اعتـذر.. قال الإمام جعفر بن محمّـد الصادق عليه السـلام: ألا و إنّ مكارم الـدنيا والآخرة في ثلاثة أحرفٍ مِن كتاب اللّه: «خُذِ العفو، و أْمُرْ بالعُرْف، و أعرِضْ عنِ الجاهلين».. و تفسيرُه: أن تَصِلَ مَن قطَعَك، و تعفوَ عمّن ظلَمَك، و تُعطيَ مَن حرَمَك.(2)

وهنالك صـلةٌ وثيقة بين العفو والصـفح، و إن تفاوتا قليلاً؛ ولذا قال تعالي: «فاعْفُوا و اصّفَحوا»(3)، إذن فكـلٌّ غير الآخر.. قيل: العفو ترك عقوبـة الـذنب، والصـفح ترك الملامـة عليه فضـلاً عن العقوبة، وفي اللّغة: ثرّب عليه: لامه و عيّره بذنبه و ذكّره به علي نحو الإخزاء والتقبيح والاستهانة والتحقير(4).

و في التنزيل الحكيم علي لسان يوسف عليه السلام: «قالَ لا تَثْريبَ عليكمُ اليومَ»(5).. يُقال: ثرّب عليهم فعلَهم، أي قبّحه. وقال تعالي في الصـفح: «وإنْ تَعفُّوا و تَصـفحوا وتَغفِروا فـإنّ اللّه غفورٌ رحيم»(6)، وقـال جلّ وعلا: «فاصّفَحِالصَّفْحَ الجميل»(7).. قيل. الصـفح ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو وأعليو أسـمي إذا جاء في موقعه، فربّما اقتضت الحكمـة العفو دون الصـفح إذا كان أنسبَ للمقابل، بأن يُلام أو يعاتب أو يقرّع ثمّ يُعفي عنه و يكون في ذلك ردعه عن الإساءة، و قد تقتضـي الحكمة أن يكون الأنسبُ هو الصفح، بما يتلاءم مع شخصيّة المقابل، إذ الصفح يردعه و يُخجله فيتراجع عن

1- - بحارالأنوار 71: 425 / ح 69 - عن تفسير النعمانيّ، والآية في سورة الشوري 42 40.

2- - أمالي الطوسيّ 2: 258.

3- - البقرة 2 109.

4- - يراجع: لسان العرب - مادّة ثرب.

5- - يوسف 12 92.

6- - التغابن 64 14.

7- - الحجر 15 85.

الإساءة دون ملامة أو تقريع، بل ربّما كان التقريع في بعض المواقع يجرّ إلي أن تأخذَ المقرَّعَ العزّةُ بالإثم والمعاندة و المكابرة، فيكون الصفح إشارةً مِن بعيد لأنّ المقابل ذكيّ و عزيز نفس، و قد قال الشاعر:

أشِرْ للحرِّ عن بُعْدٍ وسلِّمْ***فإنّ الحرَّ تكفيه الإشارةْ

وقد يصحب الصفحَ لطفٌ يُربّي في المقابل تنبّها إلي الأمور.. تعالوا – أيّها الإخوة الأكارم – نقف عند هاتين الروايتين:

الأولي: بعث أبو عبداللّه الصادق عليه السلام غلاما له في حاجة.. فأبطأ، فخرج عليه السلامعلي أثَره لمّا أبطأ، فوجده نائما، فجلس عند رأسه يروّحه حتّي انتبه، فلمّا انتبه قال له أبو عبداللّه عليه السلام: يا فلان! واللّه ِ ما ذلك لك، تنام الليلَ والنهار! لك اللّيل ولنا منك النهار.(1)

الثانية: عن معتِّب: كان أبو الحسن موسي الكاظم عليه السلام في حائط له (أي بستان) يَصرم (أي يجزّ الزرع)، فنظرتُ إلي غلامٍ له قد أخذ كارةً مِن تمر (مقدار ما يُحمَل علي الظهر) فرمي بها وراء الحائط، فأتيتُه و أخذته، و ذهبتُ به إليه عليه السلام، فقلت: جُعِلتُ فداك، إنّي وجدتُ هذا وهذه الكارة،فقال للغلام: يا فلان! قال: لبّيك، قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيّدي، قال: فتَعري؟ قال: لا يا سيّدي، قال: فلأيّ شيءٍ أخذتَ هذه؟ قال: اشتهيتُ ذلك، قال: اذهبْ فهي لك، وقال: خَلُّوا عنه.(2)

إذن، فالصفح من ضروراته العفو،و من مستلزماته الرفق والرحمه والستر.

1- – الكافي 2: 92 / ح 7 – باب الحلم.
2- – الكافي 2: 88 / ح 7 – باب العفو.

متي يكون العفو؟

تساؤل.. وجواب

«وأنْ تَعْفوا أقربُ لِلتَّقوي»

رُبّ سائل يقول: أيَصحّ العفو علي كلّ حال؟ و هل يُتسامَح مع المسيء بلا شرطٍ ولا اعتبار؟ و متي يكون العفو و متي لا يكون؟

إنّ الشريعة المقدّسة لم تضع الأخلاق للتشريفات الاجتماعيّة، أو لمظاهر جوفاءَ خاليةٍ من المحتوي أو مقتصرةٍ علي الشكل دون المضمون أو منحصرةٍ في المجاملات و المباهاة والرياء. إنّما الأخلاق في الدِّين سلوك مبنيٌّ علي نيّة الطاعة للّه جلّ و علا، والتزامٌ ينمّ عن الإيمان والتقوي والخشية من اللّه تبارك وتعالي.. والأخلاق - بعد ذلك - تهذيب للنفس وإصلاح لها، و تربية للناس و تحذير لهم من المُهلكات، و أخذٌ بأيديهم نحو المنجيات، و هي - إضافة إلي كلّ ذلك - أحكامٌ شرعيّة فقهيّة مقدّسة، تُعَنْون ب- : الحلال والحرام، والواجب والمستحبّ والمكروه، و تُقيَّد ب- : يجوز ولا يجوز، و ينبغي ولا ينبغي.. و تُراعي فيها الضوابط الشرعيّة، من الآداب القرآنيّة والسنن النبويّة الشريفة.

إذن، فالأخلاق ليست مزاجاتٍ ولا أهواءَ يتبنّاها المرء و يصوغها كيفما يشاء و يشتهي، ولا هي أذواق أو أمزجة أو حالات شخصيّة

واجتماعيّة يسايرها المرء و يستجيب لها، بل هي - كسائر الأحكام الشرعيّة - فيها الالتزامات مشفوعةً بالعواطف والمشاعر والجوانب النفسيّة والروحيّة المائلة باتّجاه طاعة اللّه تعالي وطلب مرضاته.

و «العفو» هو الآخر من الأخلاق المقيَّدة بالشرع، ففيه ما يجوز و مالا يجوز، فليس الأمر تابعا للهوي، فإذا كان المرء في حالةٍ من الارتياح والانبساط عفا عن كلّ أحد و عن كل خطأ بلا قيدٍ ولا شرط ولاضابطة، أمّا إذا كان في حالة غضب لم يَعفُ عن أيّ أحد ولا عن أيّ سيّئة و إن كانت لمَما!

بعد هذا نجد أنّ العفو يكون علي ثلاثة مواقع تقريبا، هي:

أوّلاً: يجوز العفو إذا كان الأمر خارجا عن إطار الحد الشرعيّ والقصاص علي الجرائم الكبري، فيجوز في حالات كأنْ يسيء شخص إلي أحدٍ بكلمة نابية، أمّا حين يكون الأمر سرقةً هاتكة أو قتلاً عامدا، أو هتكا للحُرمات والمقدّسات؛ فإنّ العفو يقع في موقعٍ مضرٍّ لا يُتجاوَز عنه؛ لقول رسول اللّه صلي الله عليه و آله: تجاوزوا عن الذَّنْب ما لم يكن حَدّا(1). وقول أميرالمؤمنين عليه السلام: جازِ بالحسنة، و تَجاوزْ عن السيّئةِ ما لم يكن ثَلْما في الدِّين، أو وَهْنا في سلطانِ الإسلام(2).

و يتبيّن هنا أنّ الشرع المقدّس حدّد لنا العفو في إطار الإساءات التي لا تُخلّف في الدين ثلمة، ولا تترك في سلطان الإسلام ضَعفا.

ثانيا: يجوز العفو منّا إذا كان الأمر متعلّقا بنا، لا بالآخرين، كأنْ يعفو

1- - تنبيه الخواطر 360.

2- - غرر الحكم 165.

المؤمن عن إساءة أخيه معه و ظلمه له، وليس مخوّلاً أن يعفوَ عن إساءة الظالمين و الجائرين والمسيئين إلي غيره، خاصّة عن المتجاوزين علي كرامة المسلمين و حقوقهم. وصف الإمام عليٌّ عليه السلام يوما جملةً من أحوال النبيّ صلي الله عليه و آله و أخلاقه الشريفة فقال:

ما فاوضه أحدٌ قطُّ في حاجةٍ أو حديثٍ فانصرف، حتّي يكون الرجل هو الذي ينصرف، و ما نازعه أحدٌ الحديثَ فيسكت، حتّي يكون هو الذي يسكت.. و ما انتصر لنفسه مِن مَظْلمةٍ حتّي يُنتهَك محارمُ اللّه، فيكون حينئذ غضَبُه للّه تبارك و تعالي..(1)

وفي سيرته صلي الله عليه و آله نقرأ أنّه كان يتنازل عن حقوق نفسه المقدّسة، ويصفح عن جفاوة الآخرين و إساءتهم وتقصيرهم معه، ما لم يُؤدِّ ذلك إلي الإساءة للدين، و ما لم يكن فيه غَبْنٌ لحقوق الناس والمظلومين.

* عن أبي الحميساء قال: تابعتُ النبيَّ صلي الله عليه و آله قبل أن يُبعَث، فواعدتُه مكانا فنسيتُه يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث، فقال عليه السلام: يافتي! لقد شقَقْتَ علَيّ، أنا هاهنا منذ ثلاثة أيّام.(2)

* و عن أنس بن مالك قال: خدمتُ النبيَّ صلي الله عليه و آله تسعَ سنين، فما أعلمُه قال لي قطّ: هلاّ فعلتَ كذا و كذا، ولا عابَ علَيّ شيئا قطّ.(3)

فهل من المعقول أنّ أنسا لم يقصّر في خدمته لرسول اللّه صلي الله عليه و آله خلال تسع سنوات - أو عشر سنوات كما في بعض الأخبار -؟! إنّما لم يكن منه صلي الله عليه و آلهعتاب لأنّه كان عَفُوّا يصفح و يُغضي، بل ويستر، وقد شمل أنَسا ذلك كلُّه.

1- - مكارم الأخلاق 23 - في جملة أحواله و أخلاقه صلي الله عليه و آله.

2- - مكارم الأخلاق 21 - في الرفق بأمّته صلي الله عليه و آله.

3- - مكارم الأخلاق 16 - في نبذ من أحواله وأخلاقه..

وليس أنسٌ وحده الذي قصّر أو أساء مع رسول اللّه صلي الله عليه و آله، بل غيره كثير، إلاّ أ نّه صلي الله عليه و آله كان يغمر المسيئين بعطفه، و عفوه ولطفه.. و يحنو عليهم، و يعفو عنهم، ويطيّب بالمغفرة قلوبهم، و يُنير بالحكمة والموعظة الحسنة عقولهم، ولا يعاقبهم، ولا يوبّخهم و إن بدرَتْ منهم عباراتٌ جافّة؛ لأنّه صلي الله عليه و آلهلم يرَ في ذلك ثُلمةً في الدين، و لا هضما لحقوق المسلمين.

* عن أنس بن مالك، قال: إنّ النبيّ صلي الله عليه و آله أدركه أعرابيّ فأخذ بردائه فجبذه (أي جذبه) جبذةً شديدة، حتّي نظرتُ إلي صفحة عنق رسول اللّه صلي الله عليه و آله و قد أثّرت بها حاشية الرداء مِن شدّة جبذته، ثمّ قال له: يا محمّد، مُرْ لي مِن مال اللّه الذي عندك. فالتفت إليه رسول اللّه صلي الله عليه و آله فضحك، و أمر له بعطاء.(1)

وهكذا يكون العفو قبالَ إساءة الغير مع المُساء إليه، لا مع غيره.. و في الخطاب الإلهيّ: «خُذِ العفو، و أْمُرْ بالعُرف، و أعرِضْ عن الجاهلين»(2)، قال بعض المفسّرين: الأخذ بالشيء هو لزومه و عدمُ تركه، فأخذُ العفو ملازمة السَّتر علي إساءةِ مَن أساء إليه، و غضّ النظر عن حقّ الانتقام الذي يُعطيه العقل الاجتماعيّ لبعضهم علي بعض. هذا بالنسبة إلي إساءة الغير إلي نفسه، والتضييعِ لحقّ شخصه، أمّا ما أُضيع فيه حقُّ الغير بالإساءةِ إليه فليس ممّا يسوغ العفوُ فيه؛ لأنّه إغراءٌ بالإثم، و تضييعٌ لحقّ الغير بنحوٍ أشدّ، و إبطال للنواميس الحافظة للمجتمع، و تمنع عنه جميعُ الآيات الناهية عن الظلم والإفساد و إعانة الظالمين و الركون إليهم، بل جميعالآيات المعطية لأصول الشرائع والقوانين. فالمراد بقوله تعالي: «خُذِ العفو»

1- - مكارم الأخلاق 17 - في نبذ من أحواله و أخلاقه..

2- - الأعراف 7 199.

هو الستر بالعفو فيما يرجع إلي شخصه صلي الله عليه و آله، و علي ذلك كان يسير صلي الله عليه و آله.(1)

وقـد وُصف صـلي الله عليه و آله بأنّه كان أرأفَ الناس بالناس، وكان رقيق القلب، رحيما بكلّ مسـلم، ولم ينتقمْ لنفسه مِن أحدٍ قطّ، بل كان يعفو ويصـفح. قال أنس: والـذي بعثه بالحقّ، ما قال لي في شـيءٍ قطُّ كَرِهه: لِمَ فعلتَه؟ ولا لامَني نساؤُه إلاّ قال: دَعُوه؛ إنّما كان هـذا بكتابٍ وقَدَر.(2)

ثالثـا: يكون العفو جـائزا إذا لم يُؤدِّ إلي مفسـدة، كأن يُغري المتجاوزَ في تكرار تجاوزه، و المسـيءَ في ارتكاب إساءةٍ أكبر و أفظع، ويفسـح المجال للظالمين أن يعمّ ظلمُهم ساحة الآخرين..

محاذير

الناس أصناف: منهم مَن يردعه ذِكْرُ اللّه جلّ وعلا، و تردّه التقوي والخشية مِن سخط اللّه سبحانه و تعالي، الذي يقول: «ونعلمُ ماتوسوسُ به نفسُه»(3).

ومنهم مَن يردعه العُرف الاجتماعيّ و رقابة الناس؛ إذ يمنعه الحياء من الإساءة اتّقاءَ ملامة الناس وسوء نظرتهم إليه.

ومنهم لايصـدّه عن العدوان إلاّ وجود الحكم والقضاء، والمحاكم والقضاة، وحضور الجزاء العادل، فيرتدع و ينصـرف عن تجاوزه، متناسـيا أنّ للّه عزّ وجلّ جزاءً لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة، حين يأتي الخَلْق غدا في

1- - الميزان في تفسير القرآن 8: 379.

2- - يراجع كتب السيرة النبويّة، وقد أورد هذا: السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ في كتابيه: المنتقي، والميزان 6: 315.

3- - سورة ق 50 16.

عرصات القيامة و كلّ كتابه في يمينه أو شماله.

* عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: كُلُّ محاسَبٌ معذَّب. قيل: يارسول اللّه، فأين قول اللّه عزّوجلّ: «فَسَوفَ يُحاسَبُ حسابايسيرا»(1)؟ قال: ذلك العَرض - يعني التصفّح(2).

ومنهم مَن يُصلحه العفو و يُخجله، ويعطيه فرصةً غنيمةً للتراجع عن الخطأ و استدراك ما فات، بعد حفظ كرامته من العقوبة والتوبيخ، فيكون الصفح عنه سببا لإصلاحه و أوبته إلي الحقّ، و عذرا يرجع به عن خطيئته.

ولكن.. مِن الناس مَن يُغريه العفو، و يستغلّ الصفحَ عنه فيكرّر إساءته ويتمادي في تجاوزه، ويزداد في اعتدائه، مغترّا بقدرته، و مطمئنّا أن لا عقوبة - و مَن أمِنَ العقوبة أساء الأدب - ، ثمّ لايكتفي بمَن عفا عنه أن أساء المغترّ إليه ولم يعتذر منه، بل يحاول التجاوز علي غيره، فيكون الذي عفا عنه قد أغراه بالتمادي، وكان سببا في إفساده..

* يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: العفو يُفسد مِن اللئيم، بقَدْر ما يُصلح مِن الكريم(3).

* وفي رسالة الحقوق للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: وحقُّ مَن ساءك أن تعفوَ عنه، و إن علمتَ أنّ العفوَ يضرّ انتصَرْتَ، قال اللّه تبارك وتعالي:

«ولَمَنِ انتصَرَ مِن بَعدِ ظُلمِه فأُولئك ما عليهِم مِن سبيل * إنّما السبيلُ علي الذين يظلمونَ النّاسَ و يَبغُونَ في الأرضِ بغيرِ الحقّ، أولئك لهم عذابٌأليم»(4). فربّما أدّبَ العفوُ المسيء، و ربّما أدّبته العقوبة.. كيف؟

1- - الانشقاق 84 8.

2- - معاني الأخبار 262 / ح1.

3- - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 20 :270 / الحكمة 15. الإرشاد 158، و فيه: بقدر إصلاحه من الكريم.

4- - أمالي الصدوق 306، المجلس 59/ح1، والآيتان في سورة الشوري 4241-42.

شواهد.. من مشاهد

بعد إحدي المعارك خرج رسول اللّه صلي الله عليه و آله و قد وضع سلاحه، فأتي السيل في الوادي فحال بينه و بين أصحابه، و جلس في ظلّ شجرة، فبصر به «غورث بن الحارث المحاربيّ» فقال له أصحابه: يا غورث، هذا محمّدٌ قد انقطع من أصحابه، فقال: قتلني اللّه إن لم أقتله.

و انحدر غورث من الجبل ومعه سيفه، فلم يَرَ رسولُ اللّه صلي الله عليه و آله إلاّ و غورث قائمٌ علي رأسه ومعه السيف قد سلّه من غمده، و هو يقول: يا محمّد، مَن يمنعك منّي الآن؟ فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: اللّه. فانكبّ غورث لوجهه، فقام رسول اللّه صلي الله عليه و آلهفأخذ سيف غورث و قال له: يا غورث! مَن يمنعك منّي الآن؟ قال: لا أحد. قال: أتشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّي عبد اللّه

ورسوله؟ قال: لا، و لكنّي أعهد أن لا أُقاتلَك أبدا، و لا أُعين عليك عدوّا.

فأعطاه رسول اللّه صلي الله عليه و آلهسيفَه، فقال له غورث: و اللّه ِ لأنت خيرٌ منّي.(1)

* و عن الإمام أبي عبداللّه الصادق عليه السلام، قال:

نزل رسول اللّه صلي الله عليه و آلهفي غزوة ذات الرقاع تحت شجرةٍ علي شفير وادٍ، فأقبل سيل فحال بينه و بين أصحابه، فرآه رجلٌ من المشركين و المسلمون قيام علي شفير الوادي ينتظرون متي ينقطع السيل، فقال رجلٌ من المشركين لقومه: أنا أقتل محمّدا !

فجاء و شدّ علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله بالسيف، ثمّ قال: مَن يُنجيك منّي يامحمّد؟! فقال: ربّي و ربُّك. فنسفه جبرئيل عليه السلامعن فرسه، فسقط علي

1- - مجمع البيان في تفسير القرآن 3:103- في ظلّ الآيتين 102، 103 من سورة النساء4.

ظهره، فقام رسول اللّه صلي الله عليه و آله و أخذ السيفَ وجلس علي صدره وقال: مَن يُنجيك منّي يا غورث؟ فقال: جودُك و كرمك يا محمّد.

فتركه، فقام (أي غورث) وهو يقول: واللّه ِ لَأنت خيرٌ منّي وأكرم !(1)

* وكان أبو عزّة الشاعر قد حضر مع قريشٍ يوم بدر يحرّض قريشا بشِعْره علي القتال، فأُسِر في السبعين الذين أُسِروا، فلّما وقع الفداء علي القوم قال أبو عزّة: يا أبا القاسم، تعلم أنّي رجلٌ فقير، فامنُنْ علي بناتي. فقال صلي الله عليه و آله: أُطلقك بغير فداء ألاّ تُكثر علينا بعدها (أي لا تحرّض الناس و تحشّدهم ضدّنا)، قال أبو عزّة: لا واللّه. فعاهده علي أن لايعود.

فلمّا كانت حرب أُحد، دعَتْه قريشٌ إلي الخروج معها ليحرّض الناس بشعره علي القتال، فقال: إنّي عاهدت محمّدا أن لا أُكثر عليه بعدَ ما مَنّ علَيّ، قالوا: ليس هذا من ذلك؛ إنّ محمّدا لايَسْلم مِنّا في هذه الدفعة. فغلبوه علي رأيه.

فلم يُؤسَر يومَ أُحد مِن قريش غيرُ أبي عزّة، قال له رسول اللّه صلي الله عليه و آله: ألم تعاهدني؟! قال: إنّهم غلبوني علي رأيي، فامنُنْ علي بناتي. قال صلي الله عليه و آله: لا، تمشي بمكّة و تُحرك كَتِفَيك و تقول: سَخِرتُ مِن محمّدٍ مرّتين! المؤمن لا يُلسَع مِن جُحْرٍ مرّتين، يا عليّ، اضربْ عُنقَه.(2)

1- - الكافي 8 : 127 / ح 97.

2- - بحار الأنوار20: /79 ح16 - عن الخرائج و الجرائح، ولم يُعثر علي هذه الرواية في الخرائج المطبوع.

شرف العفو

اشارة

إذا كانت الأخلاق التي دعا اللّه تبارك و تعالي إليها.. كلُّها تحمل حِكَما و مصالـح للإنسان، ولا تعود عليه إلاّ بالخيرات و المنافع، ثمّ هي تدرأ عنه الشـرور و المضـرّات، و تخلّف له سعادة الدنيا والآخرة، فإنّ «العفو» مِن بين تلك الأخلاق التي تحظي بخصائص كريمة، و تمتاز بميّزاتٍ شريفةٍ جليلة.. منها :

أوّلاً: العفو من أخلاـق اللّه تبارك و تعالي: فهو العَفُوّ الغفور، البَرّ الرحيم، الرؤوف العطوف.. وكان الإمام زين العابـدين وسـيّد الساجـدين عليّ بن الحسين عليه السلاميناجي ربَّه عزّوجلّ فيقول له: «أنتَ الذي سمّيتَ نفسَك ب «العَفْو»؛ فاعفُ عنّي».(1)

وفي بيانٍ لمعاني العفو، قال الإمام الصادق عليه السلام:.. لأنّ العفوَ والغفران صفتانِ مِن صفات اللّه عزّ وجلّ..».(2)

أمّا في كتاب اللّه العزيز، فإنّ الآيات الكريمة وافرة في ذِكْر أنّ اللّه جلّ وعلا عفوٌّ غفور، منها:

1- - جامع السعادات 1: 302 - باب العفو، عن الصحيفة السجّاديّة الكاملة - الدعاء السادس عشر في طلب العفو.

2- - مصباح الشريعة 39.

* قوله عزّوجلّ: «..إنّ اللّه ـ كانَ عَفُوّا غَفُورا»(1)، بعد آية التيمّم.

* وقوله جلّ شأنه: «فأولئك عسى اللّه أن يَعفوَ عنهم، وكان اللّه عَفُوّا غَفُورا»(2)، في شأن المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً.

* وقوله سبحانه: «إن تُبدوا خيرا أو تُخْفوه أو تَعفُوا عن سُوءٍ فإنّ اللّه ـ كانَ عَفُوّا قديرا»(3)، بعد قوله تعالي: «لا يُحبّ اللّه الجَهْرَ بالسُّوءِ مِن القولِ إلاّ ـ مَن ظُلِم، و كان اللّه سميعا عليما».(4) والعفو عن السوء هو السَّتر عليه قولاً بأن لايذكرَ المرءُ ظالمَه بظُلمه، ولا يَذهبَ بماء وجهه عند الناس، ولا ـ يجهرَ عليه بالسوء من القول. أمّا السَّتر عليه عملاً فأن لا يُواجِهَه بما يُقابل ما أساء به، ولا ينتقمَ منه فيما يجوز له ذلك، لذا جاء في تتمّة الآية المباركة قولُ الحقّ تبارك و تعالي: «أو تَعفُوا عن سُوءٍ فإنّ اللّه كانَ عَفُوّا قديرا» ،فعَنتِ الآية: إن تعفوا عن سوءٍ فقد اتّصفتم بصفةٍ من صفات اللّه الكمالية، وهي العفو مع القدرة علي الانتقام ؛ فإنّ اللّه عزّ شأنه هو العفوّ مع قدرته.(5)وقد رُوي أنّ في العرش تمثالاً لكلّ عبد، فإذا اشتغل العبد بالعبادة رأت الملائكة تمثاله، و اذا اشتغل العبد بالمعصية أمرَ اللّه بعض الملائكة حتّي يحجبوه بأجنحتهم؛ لئلاّ تراه الملائكة، فذلك معني قوله صلي الله عليه و آله: «يا مَن أظْهرَالجميل، و سَتَر القبيح».(6)

* وقال تعالي: «و إنّهم لَيقولونَ مُنكَرا مِن القولِ و زُورا، و إنّ اللّه ـ لَعَفُوٌّ

1- – النساء 4 43.

2- –النساء 4 99.

3- – النساء 4 149.

4- – النساء 4 148.

5- – يراجع: الميزان في تفسير القرآن 5: 124.

6- – بحارالأنوار 6:7 – عن نوادر الراونديّ.

غَفُور»(1)، في آية الظِّهار، والذين يقولون لزوجاتهم – تحريما عليهم – : أنتِ علَيّ كظَهْر أمّي. ثمّ بيّن سبحانه كفّارةَ الظِّهار في الآية التالية، فيتجلّي في ذلك عفوُ اللّه جلّ وعلا و غفرانه في تشريع سُبل التوبة والاستغفار.

واللّه تبارك وتعالي غفُور.. يغفر ذنوب عباده، و يُسقط عنهم كثيرا من ذنوبهم برحمته وعطفه ولطفه، وهوالقائل عزّ مِن قائل: «والذينَ إذا فَعلُوافاحشةً أو ظَلَموا أنفسَهم ذكروا اللّه فاستغفروا لِذُنوبِهم و مَن يَغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ اللّه ولم يُصِرُّوا علي ما فعلوا وهُم يَعلمون * أولئك جَزاؤُهم مَغفرةٌ مِن ربِّهم وجنّاتٌ تجري مِن تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها، و نِعْمَ أجرُ العاملين».(2)

وفي ذلك تشويق للعبد بأن يؤوبَ إلي ربِّه الغفور الرحيم، ويتوب إلي ربِّه الرؤوف الكريم، و إنّما ينال العبد مُناه في توبته و استغفاره وعفو اللّه تعالي عنه إذا كان من العاملين حقّا في طريق التوبة، وكان من المحسنين إلي الناس.. و مِن إحسانه أن يتخلّق معهم بأخلاق اللّه جلّت رحمته، فيعفو عنهم ويغفر لهم.

* يُروي أنّ جاريةً لعليّ بن الحسين عليه السلام جعلَتْ تسكب الماء له، فسقط الإبريق مِن يدها علي وجهه فشجّه، فرفع عليه السلامرأسه إليها فقالت: إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: «والكاظمينَ الغيظ»، فقال لها: قد كظمتُ غيظي. قالت: «والعافينَ عنِ الناس»، قال: قد عفا اللّه عنكِ. قالت: «واللّه يُحبُّالمحسنين»، قال: إذهبي؛ فأنتِ حُرّة.(3)

* وقال جلّت عظمتُه، و وسعتْ كلَّ شيءٍ رحمتُه: «و ربُّك الغفورُ ذو

1- – المجادلة 58 2.

2- – آل عمران 3 135 – 136.

3- – أمالي الصدوق 168، المجلس 36/ ح12.

الرحمةِ لو يُؤاخِذُهم بما كَسَبوا لَعَجّلَ لهمُ العذاب..»(1)، فلم يُعجّل لهم العـذاب.. لماذا؟ لأنّه الغفور ذو الرحمـة، أي كثيرالمغفرة، وقد شملتْ رحمتُه كلَّ شيء، وسبقت انتقامَه و نقمتَه.. نقرأ في دعاء الجوشن الكبير:

«يا مَن لا يُرجي إلاّ فضـلُه، يا مَن لا يُسأل إلاّ عفوُه، يا مَن لا يُنظَر إلاّ بِرُّه، يامَن لا يُخاف إلاّ عدلُه، يا مَن لا يدومُ إلاّ مُلْكُه، يا مَن لا سـلطانَ إلاّ سلطانُه، يامَن وَسِعتْ كلَّ شيءٍ رحمتُه، يا مَن سبقَتْ رحمتُه غضبَه..»(2).

* وقـال جلّت قـدرته: «قُـلْ يـا عِبـادِيَ الـذينَ أسـرَفُوا علي أنفُسِـهِم لاـ تَقْنَطوا مِن رحمـة اللّه ِإنّ اللّه َيَغفِرُ الـذُّنوبَ جَميعا، إنّهُ هو الغَفورُ الرحيم»(3)، و قال تعالي: «إنّ اللّه َلا يَغفِرُ أن يُشـرَكَ بهِ ويَغفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَن يشاء..»(4). في الرواية: عن أبي عبيدة قال: قلت له (لعلّه للإمام الباقر عليه السلام): جُعِلتُ فداك،

ادعُ اللّه َلي؛ فإنّ لي ذنوبا كثيرة! فقال: مَه يا أبا عبيدة، لايكون الشيطانعونا علي نفسِك؛ إنّ عفو اللّه لا يُشبهه شيء !(5)

* وقال عزّ اسـمه: «عسَي اللّه ُأن يَجعلَ بينَكُم و بينَ الذينَ عادَيتُم مِنهُم مَودَّة، واللّه ُقدير، واللّه ُغفورٌ رحيم»(6)، الضمير في «منهم» عائد علي الكفّارالذين أُمِر المؤمنون بمعاداتهم، و هم كفّار مكة، والمراد بجعل المودّة بين المؤمنين وبين الكفّار جعلُها بتوفيقهم للإسـلام، كما وقع ذلك لمّا فتحَ اللّه ُلهم مكّة، وليس المراد به نَسخَ حكم المعاداة والتبرّي. والمعني: مَرْجوٌّ مِن

1- - الكهف 18 58.

2- - نزل بهذا الدعاء الشريف جبرئيل عليه السلام للنبيّ صلي الله عليه و آله في إحدي غزواته - يراجع كتب الأدعية ترويه عن الإمام عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله: البد الأمين 402.

3- - الزمر 39 53.

4- - النساء 4 48.

5- - بحارالأنوار 6: 5 / ح6 - عن كتابَي الحسين بن سعيد، أو كتابه والنوادر.

6- - المُمتحِنة 60 7.

اللّه تعالي أن يجعل بينكم – معشرَ المؤمنين – و بين الـذين عاديتُم من الكفّار، وهم كفّار مكّـة، مودّةً بتوفيقهم للإسـلام، فتنقلب المعاداة إلي مودّة، واللّه ُقـدير، واللّه غفورٌ لـذنوب عبـاده، رحيمٌ بهم إذا تـابوا و أسـلموا، فعلي المؤمنين أن يرجوا من اللّه أن يبـدّل معاداتَهم مودةً؛ بقدرته و مغفرته ورحمته.(1)

* وقـال جـلّ جلاله: «يا أيُّها الـذينَ آمَنُوا إنّ مِن أزواجِكم و أولادِكم عَـدُوّا لكم فاحـذَرُوهم، و إن تَعفوا و تَصـفحوا و تغفروا فإنّ اللّه غفورٌ رحيم»(2)، «من» هنـا للتبعيض، فبعض أزواج المؤمنين و بعض أولاـدهم يُعادونهم بما أنّهم مؤمنون، بأن يحاولوا صَـرفَهم عن الإيمان أو عن الأعمال الصالحـة، و قد ندب الباري سـبحانه و تعالي المؤمنين إلي كمال الإغماض عن الأزواج والأولاد إذا ظهر منهم شـيءٌ مِن آثار المعاداة، مع الحـذر من الافتتان بهم «فإنّ اللّه َغَفورٌ رحيم»، فالمغفرة والرحمـة مِن صـفات اللّه عزّوجلّ، فإن عَفَوا وصـفحوا و غفروا؛ فقد تخلّقوا بأخلاق اللّه جلّ وعلا.(3)

تساؤلاـت إذا كان اللّه سـبحانه و تعالي – مع قـدرته العظيمـة – يعفو عنعباده مع ذنوبهم العظيمـة، فلماذا نحن – مع ضـعفنا – لا نعفو عن أخطاء إخواننا و إن كانت بسيطة؟!

وإذا كـان اللّه عزّ شـأنه يغفر ذنوبَ عبـاده – وإن كـانت كبيرةً و كثيرة – وهو المنعم عليهم و بـارئهم، فلماذا لا نعفو عن إساءات الآخرين – وهي صغيرة وقليلة – ونحن عبيدٌ مثلُهم؟!

وإذا كان اللّه عزّوجلّ يعلم بكلّ شيء، ولا يخفي عليه شيء: لا مِن

1– – الميزان في تفسير القرآن 19:233.

2– – التغابن 64 14.

3– – الميزان في تفسير القرآن 19: 307.

الظواهر، ولا من السرائر.. و مع ذلك يستر العيوب، و يتجاوز عن الذنوب، فلماذا لانستر شيئا عَلِمناه - ربّما له عذرُه - فنلوم عليه، و نوبّخ عليه؟!

لماذا لانتأمّل في ستر اللّه علينا، و غفرانه لذنوبنا، و تأخير عقوبته علينا.. فنتعلّم منه تعالي هذا الخُلق مع الناس؟

لماذا لا نحبُّ لهم من العفو عنهم كما نحبّ العفو لأنفسنا؟ و قد خاطب الباري عباده بقوله: «ولْيَعفُوا ولْيَصْفَحوا، ألا تُحبّون أن يَغفرَ اللّه لكُم، واللّه ُغفورٌ رحيم»(1). ولم يكن اللّه تبارك و تعالي ليعفوَ عن أُمورٍ هيّنة، بل هو سبحانه يعفو عن: أمورٍ عظيمة، و عن ذنوب كثيرة، وسيّئاتٍ غفيرة، وعيوبٍ خطيرة!

* وقال عزّ اسمه: «وهُوَ الذي يَقبلُ التوبةَ عن عبادِه ويَعفُو عنِ السيّئاتِ و يعلمُ ما تفعلون»(2)، فهو عزّوجلّ يعزل عن عباده ذنوبهم، و يحثّهم علي التوبة، ويحذّرهم من اقتراف السيّئات، و يعفو عمّا صدر منهم.

* و قال عزّ مِن قائل: «و ما أصابَكم مِن مُصيبةٍ فبِما كسبتْ أيديكُم و يَعفُو عن كثير»(3)، فيذكّرنا اللّه تعالي و ينبّهنا إلي مصائب كسبَتْها أيدينا، و لكنّه يعفو عن الكثير من السيّئات؛ برحتمه، و لطف عنايته، فيصفح ويعفو، فلايُؤاخذُنا بها. جاء عن أميرالمؤمنين عليه السلامقوله: ما مِن مسلمٍ يُذنب ذنبا فيعفو اللّه ُعنه في الدنيا، إلاّكان أجَلَّ و أكرم مِن أن يعود عليه بعقوبةٍ في

الآخرة وقد أجّلَه في الدنيا. ثمّ تلا عليه السلام هذه الآية المباركة: «و ما أصابَكممِن مُصيبةٍ فبِما كسبَتْ أيديكُم ويَعفُو عن كثير».(4)

1- - النور 24 22.

2- - الشوري 42 25.

3- - الشوري 42 30.

4- - كتاب الزهد للحسين بن سعيد الكوفيّ الأهوازيّ 98.

* وقال عزّوجلّ: «و مِن آياتِه الجَوارِ في البحرِ كالأعلام * إن يَشَأْ يُسكنِ الريحَ فيَظْلَلْنَ رواكِدَ علي ظَهْرِه، إنّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صَبّارٍ شَكُور *أو يُوبِقْهُنّ بما كسَبُوا و يَعْفُ عن كثير»(1)، الإيباق هو الإهلاك، والضمير في

«يُوبقْهنّ» عائدٌ علي الجواري – و هي السفن – ، فيكون المعني: إن يشأ اللّه ُيُهلِكِ الجواري بإغراقها، بسبب ماكسبَ أهلها من السيّئات، ويعفو عن كثيرٍ منها.

وهكذا يتبيّن أنّ العفو يحظي بشرفٍ عظيم؛ لأنّه خُلقٌ مِن أخلاق اللّه تبارك وتعالي، وقد قرأنا في ذلك آياتٍ بيّنات، والآن نذهب إلي الأحاديث؛ لنري كيف تنسب العفوَ إلي اللّه جلّ جلاله، حتّي لَتُحْيي النفوسَ بالأمل والرجاء؛ فالعباد قادمون علي عَفوٍّ غفور، رحيمٍ ودود، يُغدق عليهم فيوضات رحمته، ويُعدّ لهم نِعَم جنّته، بعد أن يدعوَهم إلي طاعته، و التعجيل بطلب مغفرته.. فأعظِمْ به مِن أملٍ نرجوه.

* رُويَ أنّ أعرابيّا سأل النبيّ صلي الله عليه و آله: يا رسول اللّه، مَن يحاسب الخَلْقَ يوم القيامة؟ قال: اللّه ُعزّوجلّ، فقال الأعرابيّ: نَجَونا و ربِّ الكعبة! سأله صلي الله عليه و آله:و كيف ذلك؟! قال الأعرابيّ: لأنّ الكريم إذا قدر عفا.(2)

* وجاء عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قوله: واللّه عفُوّ، يُحبّ العفو. ثمّ قرأ: «وَلْيَعفُوا ولْيَصْفَحوا»الآية.(3)

وهذا الحديث الشريف يخبرنا برحمة اللّه تعالي بعباده، و عفوه عنسيّئاتهم إذا تابوا و أصلحوا و استغفروا لسانا وقلبا. و يُخبرنا بأنّ اللّه تعالي يحبّ عباده، فإذا كنّا نُحبّه حقّا أحبَبْنا ما يُحبّه، و تخلّقْنا بأخلاقه تعالي

1- – الشوري 42 32 – 34.

2- – تنبيه الخواطر 7.

3- – المحجّة البيضاء 5: 320 – باب فضيلة العفو، والآية في سورة النور 24 22.

و بما يرتضيه منّا.. و من أخلاقه جلّ و علا: «يقضي بعِلْم، و يَعفو بحِلْم» كما يقول الإمام عليّ عليه السلام.(1)

وهو القادر العليم، والغفور الحليم، يعفو عن سيّئات عباده وهم يعيشون برحمته، ويسعدون بنعمته، وهو سبحانه يُمهلهم، ويدعوهم إلي خيره، و يواصل عليهم خيراته، و يرغّبهُم في أسباب عفوه و توبته.

يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام لابن جندب: صِلْ مَن قطَعَك، وأعطِ مَن حرَمَك، و أحسِنْ إلي مَن أساء إليك، و سَلِّمْ علي مَن سبّك، و أنصِفْ مَن خاصَمَك، واعفُ عمّن ظلَمَك كما أنّك تحبّ أن يُعفي عنك، فاعتبِرْ بعفو اللّه عنك، ألا تري أنّ شمسَه أشرقَتْ علي الأبرار والفُجّار، و أنّ مطرَه يَنزل علي الصالحين والخاطئين؟!(2)

وقال عليه السلام أيضا: .. ليتخلّقوا مع الخَلْق بأخلاق خالقهم، و جعَلَهم كذلك، قال اللّه عزّ و جلّ: «و لْيَعفُوا و لْيَصفحوا، ألا تُحبّونَ أن يَغفر اللّه ُلكم و اللّه ُغفورٌ رحيم»، و مَن لا يعفو عن بَشرٍ مِثْلِه كيف يرجو عفوَ مَلِكٍ جبّار؟!(3)

إذن.. لعفو اللّه تعالي موجباتُه، منها: الطاعات، و من الطاعات الموجبة لعفو الباري عزّ و جلّ: العفو عن الناس، فإذا أحببنا أن يعفوَ اللّه عنّا، وسّ عَينا نحو ذلك بالاستغفار، كان علينا أن نحبَّ العفو عن الناس، فنكون بذلك قد استجبنا لقوله تعالي: «و لْيَعفُوا و لْيَصفحُوا، ألا تُحبّون أن يغفرَ اللّه ُلكم، و اللّه ُغفورٌ رحيم»، و نكون قد امتثَلْنا لوصيّة أمير المؤمنين عليه السلامفي رسالتهالشريفة إلي ولده وحبيبه الحسن المجتبي عليه السلام، حيث كتب إليه:

يا بُنَيَّ اجعَلْ نفسَك ميزانا فيما بينَك و بينَ غيرِك، فأحْبِبْ لِغيرِك ما

1- - نهج البلاغة: الخطبة 160.

2- - تحف العقول 225.

3- - مصباح الشريعة 39.

تُحبّ لنفسِك، و اكْرَهْ له ما تكرهُ لها، و لا تَظلِمْ كما لا تُحبّ أن تُظلَم، و أحسِنْ كما تُحبّ أن يُحسَنَ إليك..(1).

إنّ أخلاق اللّه جلّ و علا: الغفران، و الرحمة و الاحسان، و العفو و الصفح.. فهنيئا لمَن تخلّق بأخلاق ربّه تعالي، فعفا عن إخوانه كما يُحبّ أن يعفو اللّه عنه، و قَبِل اعتذارهم كما يُحبّ أن يستجيب اللّه له دعاءه و استغفاره:

«ربَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أو أخطَأْنا، ربَّنا و لا تَحْمِلْ علينا إصْرا كما حَمَلْتَه

عَلَي الذينَ مِن قَبلِنا، ربَّنا و لا تُحمِّلْنا ما لا طاقةَ لنا به، و اعْفُ عنّا، و اغْفِرْ لنا، و ارحَمْنا، أنتَ مَوْلانا..»(2).

وهكذا يدعو المؤمنون ربَّهم تبارك و تعالي ألاّ يُؤخِذَهم إن نَسَوا أو أخطأوا؛ استدراكا لما عليه وجودُهم من الضَّعف والفتور، والتفاتا إلي ما آلَ إليه أمرُ الذين مِن قَبلِهم! ثمّ قالوا: «واعفُ عنّا، واغفِرْ لنا، و ارحَمْنا»،

والعفو: هو مَحو أثر الشيء، والمغفرة: هي السَّتر، والرحمة أمرٌ معروف.. فتدرّجوا من الفرع إلي الأصل، أو مِن الأخصّ إلي الأعمّ، فأرادوا: أن يُذهِبَ اللّه أثرَ الذنب و يمحوَه؛ فلا يعاقبهم عليه، و هذا هو العفو. و أرادوا منه تبارك و تعالي أن يُذهِب ما في نفوسهم من هيئة الذنب، و هذه هي المغفرة. ثمّ أرادوا منه جلّ وعلا أن يَهبَهم عطاءَه الساترَ علي الذَّنْب و هيئته، و تلك هي الرحمة.(3)

ويدعو المؤمنون ربَّهم عزّ وجلّ لحُسنِ ظنّهم به و رجائهم فيه،فيقولون: «ربَّنا إنّنا سَمِعنا مُناديا يُنادي للإيمانِ أن آمِنُوا بِربِّكم فامَنّا، ربَّنا

1- - نهج البلاغة: الكتاب 31.

2- - البقرة2 286.

3- - الميزان في تفسير القرآن 2: 445 - 446.

فاغفِرْ لنا ذُنوبَنا، و كفِّرْ عنّا سيّئاتِنا، و تَوَفَّنا معَ الأبرار * ربَّنا وآتِنا ما وعَدْتَنا علي رُسُلِكَ، ولا تُخْزِنا يومَ القيامةِ إنّك لا تُخْلِفُ الميعاد»(1). لقد سألوا ربَّهم سبحانه: أن يغفر لهم، و يكفّر عنهم سيّئاتهم، ويتوفّاهم مع الأبرار. وسألوه أن يُنجزَهم ما وعَدَهم من الجنّة والرحمة علي ما ضَمِنَه لهم رسلُ اللّه صلوات اللّه عليهم بإذن اللّه تبارك شأنه. كما سألوه ألاّ يُخزيَهم في ذلك الموقف الصعب العصيب.(2)الدرس هو أنّ اللّه القادر العليم يعفو عن خَلْقه العصاة الضعفاء، و قد دَعَوه مستغفرين، فأجابهم ليكونوا مطمئنّين مسرورين: «فاستجابَ لَهُم ربُّهم أنّي لا أُضِيعُ عملَ عاملٍ مِنكم مِن ذَكَرٍ أو أُنثي، بعضُكم مِن بعض..»(3)، إذن لماذا لانعفو عن إخواننا و نحن خطّاؤن مثلُهم؟ ولماذا نطلب العفوَ من اللّه عزّ شأنه و نرجوه منه، و نحن نحرمه الناسَ فلا يصدر العفوُ منّا عنهم؟ ولماذا نتوسّلُ إلي اللّه جلّ وعزّ بأن يغفرَ لنا ذنوبَنا ويسترَ علينا عيوبَنا ويقبل منا توبتَنا واستغفارنا، ثمّ لا نحبّ أن نغفرَ للمؤمنين ولا نعفو عنهم ولا نسترَ علي أخطائهم ولا نقبل أعذارهم؟ ولعلّنا إلي أن نَعفوَ عنهم، أحوجُ منهم إلي عفونا عنهم! كيف؟

يقول الإمام محمّد الجوادعليه الصلاة والسلام: أهلُ المعروف إلي اصطناعه أحوجُ مِن أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم: أجْرَه، و فَخْرَه، و ذِكْرَه.. فمهما اصطنع الرجلُ من معروفٍ فإنمّا يبتدئ فيه بنفسه(4).وما يُدرينا - أيّها الإخوة الأحبّة - فلعلّ عفوا، و هو من المعروف، يقع

1- - آل عمران 3 193 - 194.

2- - مستفاد من: الميزان في تفسير القرآن 4: 88.

3- - آل عمران 3 195.

4- - نور الأبصار 331.

في موقعٍ يُحسَب في صحيفة العبد من المنجيات، أو من أعماله الصالحات، و طاعاته المقبولات !

جاء عن الإمام عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

إنّ اللّه تبارك و تعالي أخفي أربعةً في أربعة: أخفي رِضاه في طاعته، فلا تستَصْغِرنّ شيئا مِن طاعتِه؛ فربّما وافق رضاه و أنت لاتعلم!..(1)

والمؤمنون – إلي عفوهم عن إخوانهم – يتمنّون أن يُغفَر لهم كما يتمنّون أن يُغفَر لأنفسهم، بل و يدعون لهم بذلك مِن قلوبهم: «والذين جاؤوا مِن بَعدهِم يقولونَ ربَّنا اغفرْ لنا و لإخوانِنا الذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ، ولا تَجعَلْ في قلوبِنا غِلاًّ للذينَ آمَنُوا، ربَّنا إنّك رؤوفٌ رحيم»(2).. و أيّ خاتمةٍ أنسبُ مِن قوله تعالي: «ربَّنا إنّك رؤوفٌ رحيم»؟! إنّه الدرس الذي ينبغي أن نحظي بالتأمّل و التفكّر فيه، فنتعلّم الرأفة والرحمة من اللّه تعالي، تخلّقا بأخلاقه، و مِن ثمار ذلك يكون العفو.. وهو مسبوق بحبّ الناس والعطف عليهم و تمنّي المغفرة لهم.

في دعائه المبارك.. يقول الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهاالسلام:

اللّهمّ صَلِّ علي محمّدٍ و آلِ محمّد، واغفرْ لي ولِوالِدَيَّ و ما وَلدا، و مَن وَلَدْتُ و ما تَوالَدوا، ولأهلي و وُلْدي و أقاربي، و إخواني فيك، و جيراني، من المؤمنين والمؤمنات، الأحياءِ منهم والأموات، و لإخوانِنا الذينَ سبقونا بالإيمان، و لا تجعلْ في قلوبِنا غِلاًّ للذين آمَنُوا، ربَّنا إنّك رؤوفٌ رحيم»(3).

حقيقتان من الواقع

1- – الخصال 209 / ح 31 – باب الأربعة. و معاني الأخبار 112 / ح1.

2- – الحشر 59 10.

3- – الصحيفة السجّاديّة الخامسة 228/ الدعاء 66.

إذا عَلِمْنا أنّ اللّه تعالي عفوٌّ غفور، ورؤوفٌ رحيم، أصبحنا أمام هاتين الحقيقتين:

الأولي: حقيقة الرجاء بعفو اللّه سبحانه و مغفرته، و قد وسعتْ رحمتُه كلَّ شيء.. قيل للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ الحسن البصريّ قال: ليس العجَبُ مِمّن هلك كيف هلك، و إنّما العَجَب ممّن نجا كيف نجا! فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العَجَبُ ممّن نجا كيف نجا، و إنّما العَجَب ممّن هلك كيف هلَك مع سعة رحمة اللّه تعالي!(1)

الحقيقة الثانية: أنّ عفو اللّه تعالي إنّما يُنال بالتقوي والطاعة والتوبة، والرحمة بالناس، و منها العفو عن مسيئيهم، وهو القائل عزّ مِن قائل: «و رحمتي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ فسأكتبُها للذينَ يَتّقون..»(2)، والقائل:«إنّ رحمةَ اللّه ِقريبٌ مِن المحسنين»(3).

وقد رُويَ أنّ رجلاً جاء إلي رسول اللّه صلي الله عليه و آله فقال له: أُحبُّ أن يرحمَني ربّي، فقال صلي الله عليه و آله: ارحمْ نفسَك، وارحمْ خَلْقَ اللّه، يَرحمْك اللّه (4).

وجاء عن أميرالمؤمنين عليه السلام في غرر حكمه و درر كلمه، قوله:

ببذلِ الرحمة، تُستنزَل الرحمة(5).أبلغُ ما تُستَدرُّ به الرحمة، أن تُضْمر لجميع الناسِ الرحمة(6). بالعفو، تَنْزلُ الرحمة(7).

و بديهيّ – أيّها الإخوة الأعزّة – أنّ من الرحمة واللُّطف والعطف، أن

1– – إعلام الوري بأعلام الهدي 1: 489، الفصل الرابع في ذكر بعض مناقبه و فضائله عليه السلام.

2– – الأعراف 7 156.

3– – الأعراف 7 56.

4– – كنزالعمّال / خ 44154.

5– – غرر الحكم 148.

6– – غررالحكم 99.

7– – غرر الحكم 148.

يعفوَ المؤمن عن إخوانه، و لا ينتقم منهم إذا أساؤوا، بل يحفظ لهم كرامتهم، ولا يبخل عن نصيحتهم والدعاء لهم..

{يُروي أ نّه كان بين الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام و بين ابن عمّه حسن بن الحسن شيء من المنافرة، فجاء حسنٌ إلي عليّ بن الحسين عليه السلاموهو في المسجد مع أصحابه، فما ترك شيئا إلاّ قاله من الأذي، والإمام ساكت. ثمّ انصرف حسن.

فلمّا كان اللّيل، أتاه في منزله فقرع عليه الباب، فخرج حسنٌ إليه، فقال له الإمام عليه السلام: يا أخي، إن كنتَ صادقا فيما قلتَ لي فغَفرَ اللّه ُ لي، و إن كنتَ كاذبا فغَفَراللّه ُ لك، والسلام عليك و رحمة اللّه و بركاته.

ثمّ ذهب عليه السلام، فأتبعه حسن والتزمه مِن خلفه و بكي.. حتّي رقّ له الإمام، ثمّ قال حسن: واللّه ِ لا عُدتُ إلي أمرٍ تكرهه. فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: وأنت في حِلٍّ ممّا قُلتَه(1).

وهذا هو الخلُق الذي يحبّه اللّه تعالي و يرتضيه، ويدعو عباده إليه، و هو مِن أخلاقه تبارك شأنه.. حتّي أنّ عائشة سألت رسولَ اللّه صلي الله عليه و آله عمّا تدعو في ليلة القدر، فأجابها صلي الله عليه و آله: تقولين: اللّهمّ إنّك عفوٌّ تُحبّ العفو، فاعفُ عنّي(2).

وفي مناجاةٍ للإمام أمير المؤمنين عليه السلاميقول فيها: «إلهي، أفكّرُ في عفوِك فتهون علَيّ خطيئتي..»(3).وهذا الخلُق الإلهيّ باعثٌ علي الرجاء والأمل، فنسارع بالتوبة

1- - صفة الصفوة 2: 53؛ مطالب السَّؤول 2: 43.

2- - سنن ابن ماجة 2: 1265 / ح 3850، الباب 5 - الدعاء بالعفو والعافية.

3- - أمالي الصدوق 48.

والاستغفار وطلب العفو ممّن يُرجي منه العفو، وهو اللّه العفوّ الغفور الرحيم. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في إحدي مناجاته:

«إلهي، إن كان صَغُر في جَنْب طاعتك عملي، فقد كَبُر في جَنْب رجائك أملي. إلهي، كيف أنقلب بالخيبة مِن عندك محروما، و كان ظنّي بك و بجودك أن تُقلبي بالنجاة مرحوما. إلهي، لم أُسلِّط علي حُسنِ ظنّي قنوط الآيسين، فلا تُبطلْ صدقَ رجائي لك بين الآملين. الهي عَظُم جُرمي إذ كنتَ المبارَزَ به، و كَبُر ذنبي إذ كنتَ المطالِبَ به، إلاّ أنّي إذا ذكرتُ كبيرَ

جرمي و عظيمَ غفرانك، و جدتُ الحاصلَ لي مِن بينهما عفوَ رضوانك..»(1). وكان من دعاء الإمام السجّاد عليه السلام إذا استقال من ذنوبه، أو تضرّع في طلب العفو عن عيوبه.. قوله:

«سبحانك ما أعجبَ ما أشهدُ به علي نفسي، و أُعدّده مِن مكتومِ أمري! و أعجَبُ مِن ذلك أناتُك عنّي، و إبطاؤك عن معاجلتي! وليس ذلك مِن كرمي عليك، بل تأنّيا منك لي، و تفضّلاً منك علَيّ؛ لأنْ أرتدعَ عن معصيتك المُسخِطة، و أُقلعَ عن سيّئاتي المُخلِقة؛ ولأنّ عفوك عنّي أحبُّ إليك مِن عقوبتي. بل أنا ياإلهي أكثرُ ذنوبا، و أقبحُ آثارا، و أشنعُ أفعالاً، و أشدُّ في الباطل تهوّرا، و أضعفُ عند طاعتك تيقّظا، و أقلُّ لوعيدك انتباها و ارتقابا مِن أن أُحصيَ لك عيوبي، أو أقدرَ علي ذِكْرِ ذنوبي، و إنّما أُوبِّخ بهذا نفسي؛ طمعا في رأفتك التي بها صلاحُ أمر المذنبين، و رجاءً لرحمتك التي بها فَكاكُ رِقابِ الخاطئين.

اللّهمّ وهذه رقبتي قد أرّقَتْها الذنوب، فصَلِّ علي محمّدٍ و آله وأعتقْهابعفوِك، و هذا ظهري قد أثقلَتْه الخطايا، فصلِّ علي محمّدٍ و آله و خفِّفْ عنه

1- - البلد الأمين 312، مرويّة عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام.

بمَنّك..»(1).

و هكـذا تنتعش الآمال في قلوب العباد إذا أحسّوا أنّ الربّ الذي يرجونه عفوٌّ كريم، غفورٌ رحيم، تُرجي رحمتُه، و تتأخّر عن رأفته نقمتُه.. فإذا حَسُن الظنّ تفتّحتْ آفاق الرجاء. يناجي الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ربَّه تبارك وتعالي فيقول له:

«إذا رأيتُ – مولاـيَ – ذنوبي فَزِعتُ، و إذا رأيتُ كرمَـك طمِعتُ، فإنْ عفوتَ فخيرُ راحم، و إن عـذّبتَ فغيرُ ظالم. حُجّتي يا ألله ُفي جُرأتي علي مسألتك – مع إتياني ما تكره – جودُك و كرمك، و عُـدّتي في شدّتي – مع قلّة حيائي – رأفتُك و رحمتك، و قد رجوتُ أن لا تَخيبَ بينَ ذَينِ وذَينِ مُنْيتي، فحقِّقْ رجائي، و اسمعْ دعائي، يا خيرَ مَن دَعاه داعٍ، و أفضلَ مَن رجاه راجٍ.

عَظُم – يا سـيّدي – أملي، و ساء عملي، فأعطِني مِن عفوِك بمقدارِ أملي، ولا تُؤاخذْني بأسوأ عملي؛ فإنّ كرمك يَجِلُّ عن مُجازاةِ المذنبين، و حِلْمَك يَكبُر عن مكافاةِ المقصّـرين. و أنا – يا سيّدي – عائذٌ بفضلِك، هاربٌ منك إليك، مُتنجِّزٌ ما وعَدْتَ مِن الصَّفْحِ عمّن أحسَنَ بك ظنّا، و ما أنا – يا ربِّ – و ماخطري؟! هَبْني بفضلِك، و تصدّقْ علَيّ بعفوِك، أيْ ربِّ جلِّلْني بسَتْرِك، و اعْفُ عن توبيخي بكرمِ وجهِك..»(2).

والآـن، لو تخلّقْنـا بأخلاـق اللّه جـلّ و علاـ في صـفة العفو، لكنّـا في أنفسـنا: أوّلاً – مترفّعين متسامين، و ثانيا – مُثابين مأجورين، و ثالثا – مرجوّينمحبوبين.. فكم مِن إخواننا مَن يخطأ معنا، أو يقصّر في حقّنا، أو يُسيء

1– – الصحيفة السجّاديّة المباركة: الدعاء السادس عشر.

2– – مصباح المتهجّد و سلاح المتعبّد 526 – 527.

إلينا، ثمّ يتمنّي لو يُصلح موقفَه، فإذا عَرَف منّا الحِلْمَ والسماحة والعفو و قبول العذر، عاد نادما معتذرا، منطويا قلبُه علي زيادة المحبّة والنيّة علي عدم العودة لِما بدر منه.

إن مكرمة العفو الأخلاقيّة تحظي بشرفٍ رفيع؛ لأنّها مِن أخلاق اللّه سبحانه و تعالي؛ إذ هو العفوّ الحليم، و كذا يريد عباده أن يكونوا، فيقول عزّوجلّ في محكم تنزيله: «لا يُحِبُّ اللّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القولِ إلاّ مَن ظُلِم، و كانَ اللّهُ سميعا عليما * إنْ تُبدوا خيرا أو تُخْفوه أو تَعفُوا عن سوءٍ فإنّ اللّه كانَ عَفُوّا قديرا»(1).

يقول المفسِّرون: السُّوء من القول هو كلُّ كلامٍ يَسوء مَن قيل فيه، كالدعاء عليه وشتمِه بما فيه مِن المساوئ والعيوب، و بما ليس فيه، فكلُّ ذلك لا يُحبّ اللّه الجهرَ به و إظهارَه، و قوله تعالي «لا يُحبّ» هناكناية عن الكراهة التشريعيّة. ثمّ جاء الاستثناء المنقطع «إلاّ مَن ظُلِم» أي لا بأس علي مَن ظُلِم أن يجهر بالسوء من القول فيمن ظَلَمه مِن حيث ظَلَم، و أمّا التعدّي إلي غيره ممّا ليس في الظالم أو ما لايرتبط بظلمه، فلا دليلَ علي جواز الجهر به. «وكانَ اللّهُ سميعا عليما» أي لا ينبغي الجهر بالسوء من القول مِن غير المظلوم فإنّ اللّه تعالي يسمع القول و يعلم به.

ثمّ قال عزّ مِن قائل: «إنْ تُبدوا خيرا أو تُخفُوه أو تَعفوا عن سُوءٍ فإنّ اللّه كانَ عَفُوًّا قديرا»، وهذه الآية ترتبط بالتي قبلها، فإنّها تشمل إظهارَ الخير مِن القول شكرا لنعمةٍ أنعَمَها منعمٌ علي الإنسان، و تشمل العفوَ عن السوء والظلم فلا يُجهَر علي الظالم بالسوء من القول. والعفو عن السوء هو الستر عليه قولاً.. بأن لا يذكرَ ظالمَه بظلمه، ولايَذهبَ بماء وجهه عند الناس،

1- - النساء4 148 - 149.

ولا يجهرَ عليه بالسوء من القول، و فعلاً.. بأن لايواجهَه بما يقابل ما أساء به، ولا ينتقمَ منه فيما يجوز ذلك..

ثمّ خُتمت الآية الشريفة بقوله عزّوجلّ: «فإنّ اللّه كانَ عَفُوّا قديرا»، وهذا سببٌ أُقيم مَقامَ المسبِّب، والتقدير: أن تعفوا عن سوءٍ فقد اتّصفتُم بصفةٍ من صفات اللّه الكماليّة، و هي صفة العفو عند المقدرة؛ فإنّ اللّه – وهو القادر – ذو عَفْوٍ علي عباده(1).

ربّما يتساءل هنا متحيّر: كيف يأمر اللّه تعالي بالعفو عن الظالم و لا يحبّ الجهرَ بالسوء عليه، وهو جلّ و علا لايحبّ الظلم ولا أهله، و ينهي عن الظلم و يأمر بردّه؟

والجواب: أنّ المَقام هنا مقامُ إصلاحِ ذاتِ البين بين المؤمنين الذين قد يقع الظلم بينهم في تعاملٍ أو معاملة، فيُستحبّ للمظلوم أن يعفوَ عن أخيه الظالم، و ألاّ يجهر عليه بالسوء؛ لأنّ في الجهر هتكا و إخزاءً يُحرِجان الظالم و يسدّانِ عليه طريقَ التراجع والاعتذار، وربّما يستفزّانِه إلي أن تأخذه العِزّة بالإثم، و أن يغلبه العنادُ أو التبريرُ المجانب للحقّ والمنطق السليم.

والعفو – وهو ستر – يهيّئ للظالم المسلم فرصةً يُعيد فيها النظر حول موقفه، فيتراجع ويعتذر، وربّما جاء العفو ليبدّل البغض إلي محبّة، والخصومة إلي صداقة، والحقد إلي مصالحة.. إذا صبر المظلوم و عفا، قال تعالي: «ولا تَستوي الحسَنةُ ولا السيّئةُ ادفَعْ بالّتي هيَ أحسنُ فإذا الّذي بينَك و بينَه عداوةٌ كأنّه وليٌّ حميم * وما يُلقّاها إلاّ الّذينَ صَبَروا و ما يُلقّاها إلاّ ذُو حَظٍّ

1– – مستفاد من: الميزان في تفسير القرآن 5:123 – 124، في ظلّ الآيتين الشريفتين.

عظيم»(1).

فالعفو عن الإخوة المؤمنين يحظي بالشرف الرفيع؛ إذ : هو خُلُقٌ إلهيٌّ يتشرّف العبدُ بالتخلّق به، و خلُقٌ إنسانيّ يُعزّ المرءَ و يُحبّبه إلي الناس، و يوفّقه للستر علي المسيئين و إصلاحهم. قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: علكيم بالعفو؛ فإنّ العفو لايزيد العبدَ إلاّ عِزّا، فتعافُوا يُعِزّكُمُ اللّه.(2) وللشيخ المجلسيّ هنا بيان جدير بالاستفادة منه، حيث يقول: «لا يَزيدُ العبدَ إلاّ عِزّا» أي في الدنيا؛ ردّا علي ما يُسوِّل الشيطانُ للإنسان بأنّ ترك الانتقام يوجب المذلّةَ بين الناس و جرأتَهم عليه. وليس كذلك، بل يصير (العفو) سببا لرفعة قَدْره و علوّ أمره عند الناس، لاسيّما إذا عفا مع القدرة. و تركُ العفو ينجرّ إلي المعارضات والمجادلات، و المرافعة إلي الحكّام، أو إلي إثارة الفتنة الموجبة لتلف النفوس والأموال، و كلُّ ذلك مورِثٌ للمذلّة، والعزّةُ الأُخروية (للعفو) ظاهرة – كما مرّ (في الروايات) – ، والتعافي عفوُ كلٍّ عن صاحبه(3).

* ورُوي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: ثلاث لايزيد اللّهُ بهنّ المرءَ المسلم إلاّ عِزّا: الصفحُ عمّن ظلَمه، وإعطاء مَن حَرَمه، و الصلة لمَن قطَعَه.(4)

* وروي الآبيّ قال: أُدخِل رجلٌ إلي المأمون أراد ضربَ رقبته، والرضا عليه السلامحاضر، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: أقول:إنّ اللّه لا يَزيدك بحُسن العفو إلاّ عزّا. فعفا عنه(5).

* وروي محمّد بن سنان، قال: كنتُ عند مولاي الرضا عليه السلام بخراسان،

1- – فُصّلت41 34 – 35.

2- – الكافي 2:88 / ح 5 – باب العفو.

3- – بحارالأنوار 71:401 – باب الحلم والعفو و كظم الغيظ.

4- – الكافي 2:89 / ح 10 – باب العفو.

5- – كشف الغمّة 3:143.

وكان المأمون يُقعده علي يمينه إذا قعد للناس يوم الإثنين ويوم الخميس، فرُفع إلي المأمون أنّ رجلاً من الصوفيّة سرق، فأمر بإحضاره، فلمّا نظر إليه وَجّده متقشّفا بين عينيه أثرُ السجود، فقال له: سَوءةً لهذه الآثار الجميلة ولهذا الفعل القبيح! أ تُنسَب إلي السرقة مع ما أري مِن جميل آثارك و ظاهرك؟! قال: فعلتُ ذلك اضطرارا لا اختيارا، حين منعتَني حقّي مِن الخُمس والفيء، فقال المأمون: أيُّ حقٍّ لك في الخُمس والفيء؟ قال: إنّ اللّه تعالي قسّم الخمس ستّةَ أقسام، فقال: «واعلَمُوا أنّما غَنِمتُم مِن شيءٍ فأنّ للّه خُمُسَه و للرسولِ ولِذي القُربي واليتامي والمساكينِ و ابنِ السبيلِ إنْ كنتُم آمنتُم

باللّه و ما أنْزَلْنا علي عبدِنا يومَ الفُرقانِ يومَ التَقَي الجمعان»(1)، و قسمّ الفيء علي ستّة أقسام، فقال اللّه تعالي: «ما أفاءَ اللّه علي رسولهِ مِن أهلِ القُري فلِلّهِ وللرسولِ ولذي القُربي واليتامي والمساكينِ و ابنِ السبيلِ كي لايكونَ دُولةً بينَ الأغنياءِ منكم»(2)، فمنعتَني حقّي و أنا ابن السبيل منقطعٌ بي، و مسكين لا أرجع علي شيء، و من حملة القرآن. فقال له المأمون: أُعطّل حدّا من حدود اللّه، وحكما من أحكامه في السارق، مِن أجل أساطيرك هذه؟! فقال الصوفيّ: إبدأْ بنفسك تطهّرها ثمّ طهّرْ غيرَك، و أقِمْ حدَّ اللّه عليها ثمّ علي غيرك!

فالتفت المأمون إلي أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: ما يقول؟! فقال: إنّه يقول سُرِقَ فسَرَق! فغضب المأمون غضبا شديدا، ثمّ قال للصوفيّ: واللّهِ لأقطعنّك، فقال الصوفيّ: أتقطعني وأنت عبدٌ لي؟! فقال المأمون: ويلك ! ومِن أين صِرتُ عبدا لك؟! قال: لأنّ أمّك اشتُريتْ مِن مال المسلمين،فأنت عبدٌ لمَن في المشرق والمغرب حتّي يعتقوك، و أنا لم أعتقك، ثمّ

1- - الأنفال8 41.

2- - الحشر59 7.

بلعتَ الخُمس، و بعـد ذلـك فلاـ أعطيتَ آلَ الرسول حقّـا ولا أعطيتَني ونظرائي حقّنا، و الأخري أنّ الخبيث لا يُطهِّر خبيثا مِثْلَه، إنّما يطهّره طاهر،

و مَن في جنبه الحـدّ لايقيم الحدودَ علي غيره حتّي يبدأ بنفسه، أما سـمعتَ اللّه تعالي يقول: «أ تَأمُرونَ الناسَ بالبِرِّ و تَنسَونَ أنفسَـكم و أنتُم تَتلُونَ الكتاب، أفَلا تَعقِلون؟!»(1).

فالتفت المأمون إلي الرضا عليه السـلام فقال: ما تري في أمره؟ فقال عليه السـلام: إنّ اللّه تعالي قال لمحمّدٍ صـلي الله عليه و آله: «قُلْ فلِلّهِ الحُجّةُ البالغة»(2)، و هي التي لم تبلغ الجاهلَ فيعلمها علي جهله كما يعلُمها العالم بعلمه، والـدنيا و الآخرة قائمتانِ بالحُجّـة، وقد احتجّ الرجل.

فأمر المأمون عند ذلك (مُحرَجا!) بإطلاق الصوفيّ، و احتجبَ عن الناس، واشتغل بالرضا عليه السلام حتّي سمَّه فقتَلَه!(3)

* * *

ثانيا: الشـرف الآخر للعفو هو أنّه من سُـنن الأنبياء والمرسـلين صـلوات اللّه علي نبيّنا و آله وعليهم أجمعين، و من أخلاقهم و سـجاياهم، وكذلك هو من صفات الصالحين والأبرار والمتّقين.

* قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في بيان العفو:

العفو عند القدرة مِن سُـنن المرسَـلين و المتّقين. وتفسير العفو أن تُلزِمَ صاحبَك فيما أجرم ظاهرا، و تنسي من الأصل ما أصبتَ منه باطنا، و تَزيدعلي الاختيارات إحسانا. ولن يَجدَ إلي ذلك سبيلاً إلاّ مَن عفا اللّهُ عنه، و غفَرَ له ما تقدّم مِن ذنبه و ما تأخّر، و زيّنه بكرامته، و ألبَسَه مِن نور بهائه؛

1- - البقرة2 44.

2- - الأنعام6 149.

3- - عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:237 - 238 / ح 1 - الباب 59.

لأنّ العفو والغفران صفتان مِن صفات اللّه عزّوجلّ، أودَعَهما في أسرار أصفيائه، ليتخلّقوا مع الخَلق بأخلاق خالقهم، و جعَلَهم كذلك، قال اللّه عزّوجلّ: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا، ألاَ تُحِبُّونَ أن يَغفِرَ اللّه ُلكُم، واللّه ُغَفورٌ رَحيمٌ».(1)

ومَن لايعفو عن بَشَرٍ مِثله، كيف يرجو عفوَ مَلِكٍ جبّار؟!

قال النبيّ صلي الله عليه و آله حاكيا عن ربّه يأمره بهذه الخصال، قال: صِلْ مَن قطَعَك، و اعْفُ عمّن ظَلَمك، وأعطِ مَن حرَمَك، و أحسِنْ إلي مَن أساء إليك. ثمّ قال الإمام الصادق عليه السلام:

وقد أُمِرنا بمتابعته، يقول اللّه عزّوجلّ: «ما آتاكُمُ الرسولُ فَخُذوه و مانَهاكُم عنه فانتَهُوا»(2). و أضاف عليه السلام قائلاً:

والعفو سرّ اللّه في القلوب، قلوبِ خواصّه، مِمّن يُسِرّ له سرَّه، و كان رسول اللّه صلي الله عليه و آلهيقول: أيَعجَز أحدكم أن يكون كأبي ضَمْضَم؟!

قالوا: يا رسول اللّه، و ما أبو ضمضم؟ قال: رجلٌ كان ممّن قبلكم، كان إذا أصبح يقول: اللّهمّ إنّي أتصدّق بعِرضي علي الناس عامّة(3).

إخوتَنا الأعزّة.. لضرورة العفو و أهمّيّته، ولآثاره الحسنة في إصلاح النفوس وشدّ الوشائج الإنسانيّة الطيّبة، واستدراك الأخطاء والمساءات، أمَرَ اللّه تبارك وتعالي عبادَه المقرّبين، من الأنبياء والمرسَلين صلوات اللّه عليهم أجمعين، أن يعاملوا الناسَ بالرِّفق، ويقابلوهم بالصبر والحِلموالإحسان، و أن يعفوا عنهم فيما يبدر منهم مِن بوادر سيّئة تنمّ عن عصبيّةٍ عمياء أو جهل أو غرور.

1- - النور 24 22.

2- - الحشر 59 7.

3- - مصباح الشريعة 39.

والأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام هُم أَولي مِن غيرهم بالتخلّق بأخلاق اللّه جلّ وعلا، فهُم أصفياء اللّه، و حَمَلة الحقّ والخير والفضيلة إلي عباد اللّه، و هم الهداة الدعاة إلي دين اللّه، و إلي أخلاق اللّه،

فكانوا الأجدر بالتحلّي بأخلاق ربّهم تبارك و تعالي قبل أن يدعوا إلي اللّه.. فعفَوا، و صفحوا، و حلموا.. ثمّ دَعَوُا الملأ إلي ذلك، حتّي قال عيسي ابن مريم عليهماالسلام:

صِلُوا مَن قطَعَكم، و أعطوا مَن منَعَكم، و أحسِنوا إلي مَن أساء إليكم، و سَلِّموا علي مَن سَبّكم، و أنصِفُوا مَن خاصَمَكم، و اعفوا عمّن ظلَمَكم كما أنّكم تُحبّون أن يُعفي عن إساءتكم، فاعتبِروا بعفو اللّه عنكم، ألاَ تَرَون أن شمسه أشرقَتْ علَي الأبرار و الفُجّار منكم، و أنّ مطره ينزل علي الصالحين والخاطئين منكم؟! فإن كنتُم لا تحبّون إلاّ مَن أحبّكم، ولا تُحسنون إلاّ إلي مَن أحسَنَ إليكم، ولا تكافئون إلاّ مَن أعطاكم، فما فضلُكم إذا علي غيركم؟! وقد يصنع هذا السفهاءُ الذين ليست عندهم فضولٌ ولا لهم أحلام.

ولكنْ إن أردتُم أن تكونوا أحبّاءَ اللّه و أصفياءَ اللّه، فأحسِنُوا إلي مَن أساءَ إليكم، و اعفوا عمّن ظلَمَكم، و سَلِّموا علي مَن أعرض عنكم. اسمعوا قولي، و احفَظوا وصيّتي، وارعَوا عهدي؛ كيما تكونوا علماءَ فقهاء..(1).

وكما أمر اللّه تبارك و تعالي أنبياءَه ورسلَه مِن قبل، كذلك أمر نبيَّه المصطفي محمّدا صلي الله عليه و آلهأن يتحلّي بالعفو، و أن يواجه تلك البداوة الخشنة والجفوة الصحراوية والمجتمع المعاند الجاهل، بالخُلُق العظيم، و دعاه سبحانه إلي أن يعفو عن المسيئين و المخطئين، و أن يغضّ نظرَه الشريفعمّا يصدر منهم ممّا لايليق، فخاطبه جلّ وعلا ممتنّا: «فَبِما رحمةٍ مِن اللّه

1- - تحف العقول 374 - 375.

لِنْتَ لَهُم، ولو كنتَ فَظّا غليظَ القلبِ لانْفَضّوا مِن حَولِك، فاعفُ عنهم واستغفرْ لهم و شاوِرْهم في الأمرِ..»(1).

قيل في تفسير ذلك: في الآية التفات عن خطابهم إلي خطاب رسول اللّه صلي الله عليه و آله، و أصل المعني: قد لانَ لكم رسولُنا برحمةٍ منّا؛ ولذلك أمَرْناه أن يعفوَ عنكم و يستغفر لكم ويُشاورَكم في الأمر..

فأعرض اللّه تعالي عن مخاطبتهم والتفتَ إلي نبيّه صلي الله عليه و آله، فخاطبه بقوله: «فبما رحمةٍ مِن اللّه لِنْتَ لَهُم»، و أمَرَه عزّوجلّ بقوله: «فاعفُ عنهم واستَغْفِرْ

لَهُم وشاوِرْهم في الأمر»؛ ليكون ذلك إمضاءً لسيرة النبيّ صلي الله عليه و آله، فإنّه كذلك كان يفعل، و قد أمرَه أن يعفو عنهم، فلا يُرتَّبَ علي فعالهم أثرُ المعصية، و أن يستغفرَ لهم - وهو تعالي فاعلُه لا محالة -(2).

وقد سبقَ الأمْرَ بالعفو ذِكْرُ الرحمة واللِّين، ونفيُ الفظاظة وغلظة القلب عن أخلاق المصطفي صلي الله عليه و آله. و كأنّ ذلك كلَّه يُهيّئ للمؤمن خُلقَ العفو، كما تهيّأ للمرسلين والنبيّين سلام اللّه عليهم أجمعين. و كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله عَفُوّا رحيما، يكفي في ذلك وصفُ الباري له في كتابه الحكيم: «لَقَدْ جاءَكُم رسُولٌ مِن أنفسِكُم عزيزٌ عليهِ ما عَنِتُّم حريصٌ عليكُم بالمؤمنينَ رؤوفٌرحيم»(3)، فهو صلي الله عليه و آله من رحمته يَشقّ عليه ضُرُّهم و هلاكهم، و كان حريصا عليهم جميعا: مؤمنهم و كافرهم؛ إذ يحبّ الخير لهم جميعا، و إن خصَّ المؤمنين بالرأفة والرحمة، و ذلك هو الحقّ والعدل. وكان مِن أمر اللّه تعالي له أن يعفوَ عمّن بقيَ مِن بني إسرائيل، فخاطبه بقوله: «فَبِما نَقْضِهم ميثاقَهم

لَعَنّاهُم و جَعَلْنا قلوبَهم قاسيةً يُحرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضعِه ونَسُوا حَظّا ممّا ذُكِّروا

1- - آل عمران 3 159.

2- - الميزان في تفسير القرآن 4: 56.

3- - التوبة 9 128.

به، و لا تَزالُ تَطَّلعُ علي خائنةٍ مِنهم إلاّ قليلاً مِنهم، فاعْفُ عنهم واصْفَحْ، إنّ اللّه يُحبّ المحسنين»(1).

وإنّما يستفيد مِن العفو العاقل، كما يستفيد المحسنُ من إحسانه، فلكلِّ خلُقٍ ثمرُه، وقد قال تعالي: «إنْ أحسَنْتُم أحسَنْتُم لأنفسِكم، وإنْ أسَأْتُم فَلَها»،(2) وقد أحسن رسول اللّه صلي الله عليه و آلهإلي البشريّة؛ إذْ دعا إلي الهدي والخير والصلاح، وصبر علي ذلك وعفا عمّن أساء إليه، فماذا استفاد الناس مِن ذلك وقد سبقَتْ لهم من اللّه الحسني؟!

قال تعالي: «و لَقد كُذِّبتْ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ فصَبَروا علي ما كُذِّبوا و أُوذُوا..»(3).

وقال جلّ وعلا: «وجعَلْنا منهم أئمّةً يَهْدُونَ بأمرِنا لمّا صَبَروا..»(4).

{أوصي الإمام الصادق عليه السلام أحدَ أصحابه، فقال له:

عليك بالصبر في جميع أمورك ؛ فإنّ اللّه عزّوجلّ بعَثَ محمّدا صلي الله عليه و آله فأمرَه بالصبر والرِّفْق فقال: «واصْبِرْ علي ما يقولونَ واهْجُرْهُم هَجْرا جميلاً * وذَرْني والمُكذِّبين أُولي النِّعْمة»(5)، وقال تبارك وتعالي: «إدفعْ بالّتي هيَ أحسَنُ [السيّئةَ(6)] فإذا الذي بينَك وبينَه عَداوةٌ كأنّه وليٌّ حميم * و ما يُلقّاها إلاّ الّذينَ صَبَروا و ما يُلقّاها إلاّ ذُو حَظٍّ عظيم»(7)، فصَبَر رسول اللّه صلي الله عليه و آلهحتّيناله بالعظائم و رَمَوه بها،(8) فضاق صدره، فأنزل اللّه عزّوجلّ عليه: «ولَقَد نَعلَمُ أنّك يَضيقُ صدرُك بِما يَقولُون * فَسَبِّحْ بحَمْدِ ربِّكَ وكُن مِن

1- - المائدة 5 13.

2- - الإسراء 17 7.

3- - الأنعام 634.

4- - السجدة 32 24.

5- - المُزّمِّل 73 10 - 11.

6- - هذه الكلمة للبيان والإيضاح.

7- - فُصّلت 41 34 - 35.

8- - كالكذب والجنون.

الساجِدين»(1). ثمّ كذّبوه ورَموه، فحزَنَ لذلك، فأنزل اللّه عزّوجلّ: «قَدْ نَعلمُ

إنّه لَيَحْزُنُك الّذي يقولون فإنّهم لا يُكَذِّبونَك و لكنّ الظالمينَ بآياتِ اللّه يَجحَدُون * ولَقَد كُذِّبتْ رسُلٌ مِنْ قَبلِكَ فصَبَروا علي ما كُذِّبوا و أُوذُوا حتّي أتاهُم

نصرُنا»(2)، فألزمَ النبيُّ صلي الله عليه و آله نفسَه الصبر، فتَعَدَّوا فذكروا اللّه تبارك وتعالي و كذّبوه، فقال: قد صبرتُ في نفسي و أهلي و عِرضي، و لا صبرَ لي علي ذِكْر إلهي، فأنزل اللّه عزّوجلّ: «ولَقَد خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بينَهُما في ستّةِ أيّامٍ و ما مَسَّنا مِن لُغُوب * فاصبرْ علي ما يقولون»(3)، فصَبرَ النبيُّ صلي الله عليه و آله في جميع أحواله، ثمّ بُشِّر في عترته بالأئمّة و وُصِفُوا بالصبر، فقال جلّ ثناؤه: «وجَعَلْنا مِنْهم أئمّةً يَهْدُونَ بأمرِنا لَمّا صَبَروا و كانُوا بآياتِنا يُوقِنون»(4)، فعند ذلك قال صلي الله عليه و آله: الصبرُ مِن الإيمان، كالرأسِ مِن الجسد. فشكَرَ اللّه عزّوجلّ ذلك له، فأنزل اللّه عزّوجلّ: «وتَمّتْ كلمةُ ربِّك الحُسني علي بَني إسرائيلَ بما صَبَروا، و دَمَّرْنا ما كانَ يَصنَعُ فِرعَونُ وقومُه و ما كانُوا يَعرِشُون»(5)، فقال صلي الله عليه و آله: إنّه بشري وانتقام. فأباح اللّه عزّوجلّ له قتالَ المشركين، فأنزل اللّه: «فاقتُلُوا المشركينَ حيثُ وَجَدتُموهُم، و خُذوهُم واحصُروهم واقْعُدوا لَهُم كلَّ مَرْصَد»(6)، «واقْتُلُوهم حيثُ ثَقِفْتُموهُم»(7)، فقتَلَهم اللّه علي يَدَي رسولاللّه صلي الله عليه و آله و أحبّائه، وجعَلَ له ثوابَ صبرِه مع ما ادّخر له في الآخرة. فمَن صَبَر و احتسب لم يَخرجْ مِن الدنيا حتّي يقِرَّ اللّه له عينَه في أعدائه، مع مايدّخر له في الآخرة.(8)

1- - الحِجْر 15 97 - 98.

2- - الأنعام 6 33 - 34.

3- - ق 50 38 - 39، واللّغوب: التعب والإعياء.

4- - السجدة 32 24.

5- - الأعراف 7 137.

6- - التوبة 9 5.

7- - البقرة 2 191.

8- - الكافي 2:72 / ح 3 - باب الصبر.

وكـذلك – إخوتنا الأعزّة – مَن عفا، لم يخرج من الـدنيا حتّي يري الرحمة مع ما يُدَّخَر له هنالك في الآخرة، فالعفو صـلاح و إصـلاح، وهو خير الدارَين و سـعادتهما، و هو خُلُق اللّه تعالي و خلق أنبيائه عليهم السلام، و كفي بالعافي ذلك له شرفا و عزّةً و كرامة، وقد تخلّق بأخلاق بارئه و أخلاق أنبيائه.

* يناجي الإمام عليّ بن الحسـين زين العابـدين عليه السـلام ربَّه سـبحانه فيقول: إلهي، لوسألتَني حسـناتي لَوهبتُها لك، مع فَقري إليها و أنا عبد، فكيف لاتَهَبُ لي سيّئاتي مع غِناكَ عنها و أنت ربّ. إلهي أمَرْتَنا أن نعفوَ عمّن ظَلَمنا، و قد ظَلَمْنا أنفسَنا، فاعفُ عنا، و أمَرْتَنا أن نتصدّق علي فقرائنـا، و نحن فقراؤُك، فتصـدّقْ علينا، و أمَرْتَنا أن لا نَرُدَّ السائلين عن أبوابِنا، و نحنُ مَساكينُك، فلا تَرُدَّنا عن أبوابِك. إلهي أمَرْتَنا أن نُعتِقَ مِن مماليكِنا مَن قد شابَ في مُلْكِنا، وقد شِبْنا في مُلْكِك، فأعتِقْنا مِن النار(1).

فالعفو مِن أخلاق اللّه جلّت رحمته، وقد تمثّل في أخلاق الأنبياء

والمرسـلين سلام اللّه عليهم أجمعين، و تجلّي في أخلاق سيّدهم و خاتمهم رسول اللّه المصطفي الصادق الأمين صلوات اللّه عليه وعلي آله الطيّبين.وقد وُصف النبيّ صلي الله عليه و آله بالعفو والحلم، و الصبر والصفح، حيث رُوي أ نّه صلي الله عليه و آله كان أحلمَ الناس، و أرغبَهم في العفو مع القدرة(2)، و أ نّه كان صلي الله عليه و آلهأحكمَ

النـاس و أحلمَهـم، و أعـدلَهم وأعطفهم.. لايَجزي بالسـيّئة السـيّئة، ولكنْ يغفرو يصـفح(3)، وكـان لا يجفو علي أحـد، و يقبـل معـذرةَ المعتذر(4). ولم ينقل ذلك

1- – الصحيفة السجّاديّة الخامسة 258 – 259 / الدعاء 79.

2- – المحجّة البيضاء 4: 145.

3- – مناقب آل أبي طالب 1: 190، 191 – فصل في آدابه و مزاحه صلي الله عليه و آله.

4- – مناقب آل أبي طالب 1: 191 – فصل في آدابه و مزاحه صلي الله عليه و آله.

أهلُ الأخبار من علماء المسلمين فحسب، بل ورد أيضا علي لسان المنصفين كذلك، منهم «لورد هدلي» حيث كتب في رسالةٍ له بمناسبة مولد النبيّ محمّدٍ صلي الله عليه و آله هذه العبارات :

لمّا جاء محمّد عليه السلام، كان داعيا إلي الرحمة والعدل والكرم، و الشجاعة والصبر علي المكاره، و غيرِ ذلك من مكارم الأخلاق والصفات الحميدة.. إنّ كثيرا مِن كتّاب التراجم والسِّيَر الأُوربيّين الذين تناولوا سيرة نبيّ الإسلام، لم يتعفّفوا عن أن يشوّهوا هذه السيرة.. ولو رجعنا إلي التاريخ و حكّمناه في هذه المسألة، لَتبيّن لنا أنّ القسوة لم تكن قطُّ مِن أخلاق محمّد صلي الله عليه و آله ؛ و ذلك بدليل معاملته للأسري بعد معركة «بدر»، و مسامحته لأعدائه وصبرِه علي أذاهم، و عطفِه علي الأطفال والمرضي، و حقنه للدماء، وعفوِه عن أُولئك الذين قَضَوا في محاربته ثمانيةَ عشر عاما، و أظهروا له فيها كلَّ صنوف العداء، و أذاقوه مِن خلالها كلَّ أنواع الجور والظلم والاضطهاد..

إلي أن قال «هدلي»: أفَلا يُعتبَر هذا كلُّه دليلاً علي أنّ محمّدا صلي الله عليه و آله لم يكن متّصفا بالقسوة.. وقد نال نبيُّ الإسلام عليه السلام حبَّ العالم أجمع، و حبَّ أعدائه بوجهٍ خاصّ؛ و ذلك عندما ضرب مثلاً في مكارم الأخلاق بإطلاق عشرة آلاف أسير كانوا في يومٍ من الأيّام يعملون علي قتله و الفتك به،و إيرادِه و أصحابِه مواردَ الهلاك..(1)و مصاديق ماكتبه «هدلي» في أسطره القليلة، كثيرة جدا.. ففي الروايات أ نّه لمّا أنزل اللّه تعالي: «فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ و أعرِضْ عنِ

1- - محمّد رسول اللّه صلي الله عليه و آله في نظر فلاسفة الغرب و مشاهير علمائه و كتّابه 38 - 39.

المشركين»(1)، قـام رسول اللّه صـلي الله عليه و آله علي الصـفا و نـادي في أيّـام الموسم: أيُّهـا الناس، إنّي رسول اللّه ربِّ العالمين. فرمقه النـاس بأبصارهم – قالها ثلاثا – ثمّ انطلق حتّي أتي المَرْوة، ثمّ وضع يـده في أُذُنه ثمّ نادي ثلاثا بأعلي صوته: ياأيُّها الناس، إنّي رسول اللّه – ثلاثـا – ، فرمقه النـاس بأبصـارهم، و رمـاه أبو جهل قبّحه اللّه بحجرٍ فشـجّ بين عينَيه، و تَبِعه المشـركون بالحجارة، فأتي الجبل فاسـتند إلي موضع يُقال له «المتّكأ»، و جاء المشركون في طلبه. وجاء رجلٌ إلي عليّ بن أبي طالب عليه السلاموقال: يا عليّ، قد قُتِل محمّد! فانطلق إلي منزل خديجـة رضـي اللّه عنها، فـدقّ الباب، فقالت خديجـة: مَن هـذا؟ قال: أنا عليّ، قالت: يا علي، ما فعل محمّـد؟ قال: لا أدري، إلاّ أنّ المشركين قد رَمَوه بالحجارة، فأعطيني شيئا فيه ماء، و خذي معكِ شيئا مِن حِيس(2).

وانطلقا يبحثانِ عن رسول اللّه صـلي الله عليه و آله في الوادي.. عليّ سلام اللّه عليه ينادي: يا محمّدُ يا رسولَ اللّه، نفسي لك الفداء، في أيّ وادٍ أنت مُلقي؟ و خديجة رضوان اللّه عليها تنادي: مَن أحسَّ ليَ النبيَّ المصطفي، مَن أحسّ ليَ الربيع المرتضي، مَن أحسّ ليَ المطرودَ في اللّه، مَن أحسّ لي أبا القاسم؟ و كان جبرئيل عليه السـلام قد هبط علي النبيّ صـلي الله عليه و آله و قال له: يا محمّد، أتُريدأن تعلم كرامتَك علي اللّه؟ قـال: نعم، قال: فادعُ إليك الشـجرةَ تُجِبْك. فـدعاها رسول اللّه صـلي الله عليه و آله، فأقبلَتْ حتّي خرّت بين يـديه ساجـدة، فقال جبرئيل: يا محمّد، مُرْها ترجع. فأمَرَها، فرجعَتْ إلي مكانها. وهبط عليه إسـماعيل حارس السـماء الدنيا، فقال: السلام عليك يا رسول اللّه، قد أمَرَني ربّي أن أُطيعك، أفتأمُرُني أن أنثر عليهم النجومَ فأُحرِقَهم؟ و أقبل عليه مَلَك

1- – الحِجر 15 94.

2- – نوع من أنواع الطعام.

الشمس فقال: السلام عليك يا رسول اللّه، أتأمرني أن آخُذَ عليهم الشمس فأجمعَها علي رؤوسهم فتُحرقَهم؟ و أقبلَ مَلَكُ الأرض فقال: السلام عليك يا رسول اللّه، إنّ اللّه عزّوجلّ قد أمرني أن أُطيعك، أفتأمرُني أن آمُرَ الأرضَ

فتجعلَهم في بطنها كما هم علي ظهرها؟ و أقبل مَلَكُ الجبال فقال: السلام عليك يا رسول اللّه، إنّ اللّه قد أمرَني أن أُطيعك، أفتأمرُني أن آمُرَ الجبالَ فتنقلبَ عليهم فتُحطِّمَهم؟ و أقبل مَلَك البحار فقال: السلام عليك يا رسول اللّه، قد أمرني ربّي أن أُطيعك، أفتأمرُني أن آمُرَ البحار فتُغرِقَهم؟

فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: قد أُمِرتُم بطاعتي؟ قالوا: نعم. فرفَع رأسه إلي السماء و نادي: إنّي لم أُبعَثْ عذابا، إنّما بُعِثتُ رحمةً للعالمين، دَعُوني وقومي؛ فإنّهم لايعلمون(1).

ويوم تمكّن مِن أعدائه، قابل صلي الله عليه و آلهإساءاتِهم بإحسانه، وصفح وعفا عنهم، و أطلَقَهم دون أن يقتصَّ منهم، ولمّا نُقل إليه أنّ رايته نُودِيَ بها لدي دخول مكّة:

اليومَ يوم الملحمة***اليومَ تُسبي الحُرَمة

نادي علي الإمام عليٍّ عليه السلام أنْ يسحب الرايةَ مِن حاملها، قائلاً له: أدْرِكْه فَخُذِ الرايةَ منه، و كنْ أنت الذي يدخل بها، و أدخِلْها إدخالاً رفيقا. فأدخَلَها الإمام عليّ عليه السلام كما أمره المصطفي صلي الله عليه و آله. ودخل رسول اللّه صلي الله عليه و آله

مكّة، و ظنّ صناديد قريش أنّ السيف سينالهم ولا يُرفع عنهم، فدخلوا الكعبة، فوقف رسول اللّه صلي الله عليه و آلهعلي باب الكعبة، فقال: لا إله إلاّ اللّهُ وحدَه وحدَه، أنجَزَ وَعْدَه، و نصَرَ عبدَه، و هزمَ الأحزابَ وحدَه. ثمّ قال: ألا لَبِئس

1- - بحارالأنوار 18: 241 - 243 / ح 89، في أحداث السنة السادسة من البعثة النبويّة الشريفة - عن كتاب المنتقي.

جيرانُ النبيّ كنتم! لقد كذّبتم وطردتم، و أخرجتُم و آذيتم، ثمّ مارضيتُم حتّي جئتموني في بلادي تقاتلونني، فاذهبوا فأنتمُ الطلقاء!

فخرج القومُ و كأنّما نُشِروا من القبور، ودخلوا الإسلام(1).

وروي أنّ النبيّ صلي الله عليه و آله قال لعمّه العبّاس – في أبي سفيان – : خُذْه فأقعِدْه هناك، ليراه الناسُ جنودُ اللّه ويراها(2). وقد رأي أبو سفيان سيل المسلمين، فقال للعبّاس: ما أعظمَ مُلْكَ ابن أخيك! فقال له العبّاس: يا أبا سفيان ! هي نبوّة.

ثمّ قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: تقدّمْ إلي مكّة فأعلِمْهم بالأمان(3). و كان صلي الله عليه و آله عَهِد إلي المسلمين ألاّ يقتلوا بمكّة إلاّ مَن قاتَلَهم، سوي نفر(4). و قد تبرّأ

النبيّ صلي الله عليه و آله مِن فعلة خالد بن الوليد – و كان قتَلَ اثنين في طريقه – .

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: لمّا قَدِم رسول اللّه صلي الله عليه و آله مكّةَ يوم افتتحها،فتحَ باب الكعبة فأمر بصُوَرٍ في الكعبة فطُمستْ، ثمّ أخذ بعضادتَي الباب فقال: لا إله إلاّ اللّهُ وحدَه لاشريك له، صدَقَ وعدَه، و نصَرَ عبدَه، و هزَمَ الأحزابَ وحدَه.. ماذا تقولون، و ماذا تظنّون؟ فقالوا: نظنّ خيرا، ونقول خيرا، أخٌ كريم، و ابن أخٍ كريم، و قد قدرتَ، فقال صلي الله عليه و آله: فإنّي أقول كما قال أخي يُوسُف: «لا تَثْريبَ عليكمُ اليومَ يَغفِرُ اللّهُ لكُم، وهو أرحمُ الراحمين».

هكذا عُرِف العفو في أخلاق رسول اللّه صلي الله عليه و آله سجيّةً بارزةً يُرجي منهاترك العقوبة، ليس مع إخوانه و أصحابه فحَسْب، بل حتّي مع شانئيه

و أعدائه والمقبلين علي قتله..

1– – شرح نهج البلاغة 4: 208.

2– – في نسخة: ليري جنودَ اللّه ويراها.

3– – بحارالأنوار 21: 119 / ح 17 – عن الخرائج والجرائح ولم يوجد هذا الخبر في الخرائج المطبوع.

4– – إعلام الوري بأعلام الهدي 1: 215، 217.

* عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله أُتيَ باليهوديّة التي سَمّتِ الشاةَ للنبيّ صلي الله عليه و آله، فقال لها: ما حمَلَكِ علي ما صنعتِ؟! فقالت: قلتُ: إنْ كان نبيّا لم يَضُرّه، و إن كان مَلِكا أرحتُ الناسَ منه. قال: فعفا رسولُ اللّه صلي الله عليه و آلهعنها(1).

* وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله لليهوديّ الذي سَحَره:

ماحَمَلك علي ما صنعت؟ قال: علمتُ أ نّه لايضرُّك و أنت نبيّ.(2) قال: فعفا

عنه رسول اللّه صلي الله عليه و آله(3).

* وعن أميرالمؤمنين عليٍّ عليه السلام قال: إنّ يهوديّا كان له علي رسول اللّه صلي الله عليه و آلهدنانير، فتقاضاه، فقال له: يا يهوديّ، ما عندي ما أُعطيك. فقال: فإنّي لا أُفارقك يامحمّدُ حتّي تقضيَني. فقال: إذنْ أجلسُ معك. فجلس معه حتّي صلّي في ذلك الموضع الظهرَ والعصر و المغرب والعشاء الآخرة والغداة.. و كان أصحاب رسول اللّه صلي الله عليه و آله يهدّدونه و يتوعّدونه، فنظر رسولُ اللّه صلي الله عليه و آله إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟! فقالوا: يا رسولَ اللّه، يهوديٌّ يَحبسُك؟! فقال صلي الله عليه و آله: لم يبعثني ربّي عزّوجلّ بأن أظلمَ معاهِدا ولا غيرَه. فلمّا علا النهارُ قال اليهوديّ: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، و أشهد أنّ محمّدا عبدُه و رسوله، وشطرُ مالي في سبيل اللّه.. أما واللّه ِ ما فعلتُ بك الذي فعلتُ إلاّ لأنظرَ إلي نعتك في التوراة؛ فإنّي قرأتُ نعتَك في التوراة: محمّدُ بن عبداللّه، مولدُه بمكّة و مهاجره بطِيبة، وليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سَخّاب، ولا متزيّنبالفُحش ولا قول الخَناء.. وأنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّك رسول اللّه، وهذا

1- - الكافي 2:89 / ح 9 - باب العفو.

2- - أي لايضرّك إن كنتَ نبيّا.

3- - مشكاة الأنوار 229، الفصل الثالث، في العفو.

مالي فاحكُم فيه بما أنزل اللّه.(1)

إنّه الرحمة المهداة إلي البشر جميعا، فجاء بالخيرات و الفضائل و المكارم، حتّي تجسّدتْ في سيرته الطيّبة وأخلاقه الشريفة، ثمّ كان يسألُ اللّه ـ تعالي للناس الرحمةَ والهداية والنجاة، والمغفرة والأمان، فقال تبارك شأنُه: «وما أرسَلْناك إلاّ رحمةً للعالَمين»(2)، وقال عزّ مِن قائل: «و ما كانَ اللّه ُ لِيَعذِّبَهم و أنتَ فيهم، و ما كانَ اللّه ُ مُعذِّبَهم و هُم يَستغفِرون»(3)، و قال جلّت رحمته: «ولَو أنّهم إذ ظَلَمُوا أنفسَهم جاؤوكَ فاستغفروا اللّه ـ واستَغْفَرَ لَهمُ الرسولُ لَوجَدوا اللّه ـ تَوّابا رحيما»(4). فكان أن حَباه الخلُقَ العظيم.. و فيه العفو و الصفح والحلم والسماحة، و حباه الوسيلة إلي اللّه.. فإذا استغفر للآثمين والنادمين غُفِر لهم وفازوا، و حباه الشفاعة للمذنبين.. وشفاعته عنداللّه تعالي أعظم كلّ الشفاعات، و بها النجاة. وقد قال صلي الله عليه و آله: حياتي خيرٌ لكم، و مماتي خيرٌ لكم.. أمّا حياتي فتحدّثوني و أحدّثكم، و أمّا موتي فتُعرَض عليّ أعمالُكم عشيّةَ الإثنين والخميس، فما كان مِن عملٍ صالحٍ حَمِدتُ اللّه عليه، و ما كان مِن عملٍ سيّئٍ استغفرتُ اللّه ـ لكم(5).

ولقد واجَهَ صلي الله عليه و آله جُفاةً أهلَ جلافة و خشونة، فقابلهم بالرفق والحلموالعفو، يُؤتي له مرّةً بقلائدَ مِن ذهبٍ و فضّة، فيُقسّمها بين أصحابه، وهناك يقوم رجلٌ مِن أهل البادية ليقول: و اللّه ِ – يا محمّد – لئن أمَرَكَ اللّه ُ أن تعدل،فما أراك تعدل! فقال له: وَيحَك! فمَن يعدل عليك بعدي؟! فلمّا ولّي

1– – أمالي الصدوق 376، المجلس 71 / ح 6.

2– – الأنبياء 21 107.

3– – الأنفال 8 33.

4– – النساء 4 64.

5– – معاني الأخبار 410 – 411 / ح 97 – باب نوادر المعاني.

قال صلي الله عليه و آله: رُدُّوه علَيّ رويدا(1).

* وروي جابر الأنصاريّ أنّ النبيّ صـلي الله عليه و آله كان يقبض للناس يومَ حُنَين مِن فضّـة كانت في ثوب بلال، فقال له رجل: يا نبيَّ اللّه اعـدل، فقال صـلي الله عليه و آله: وَيْحك! فمَن يعـدلُ إذا لم أعـدلْ؟! فقـد خبتَ - إذن - و خَسِـرتَ إنْ كنتُ لا أعدل. فقام عمر فقال: ألا أضرب عنقَه فإنّه منافق، فقال صلي الله عليه و آله: مَعاذَ اللّه أن يتحدّث الناس أنّي أقتلُ أصحابي!(2)

* وجـاءه أعرابيٌّ يومـا يطلب منه شـيئا صـلي الله عليه و آله، فأعطـاه صـلي الله عليه و آله ثمّ قال له: أحسـنتُ إليك؟ فقال الأعرابيّ: لا ولا أجْمَلْتَ. فغضب المسـلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كُفُّوا، ثمّ قام صـلي الله عليه و آلهودخل منزله، وأرسل إلي الأعرابيّ و زاده شـيئا ثمّ قال له: أحسنتُ إليك؟ فقال الأعرابيّ: نعم، فجزاك اللّه مِن أهلٍ وعشيرةٍ خيرا..(3)

*وعن أنس بن مالك قال: إنّ النبيّ صـلي الله عليه و آله أدركه أعرابيّ فأخذ بردائه، فجذبه جَذْبةً شديدة.. حتّي نظرتُ إلي صـفحة عنق رسول اللّه صـلي الله عليه و آله وقـد أثّرت به حاشـية الرداء مِن شدّة الجذبة، ثمّ قال الأعرابيّ: يا محمّد، مُرْ ليمِن مالِ اللّه الذي عندك! فالتفت إليه رسول اللّه صـلي الله عليه و آله فضـحك، و أمَرَ له بعطاء.(4)ومع أهله و خـدمه و أصـحابه.. كان النبيّ صـلي الله عليه و آله رحيما رؤوفا، عَفُوّا، يغضّ طَرْفَه الشـريف عن التقصير معه والإساءة إليه، و يعفو عمّن أهمل حقَّه أو تماهل في خدمته، و يسامح المخطئ، فإذا عاتب كان منه التنبيه

1- - المحجّة البيضاء 4: 145 - 146.

2- - تاريخ الطبريّ 3:390 - غزوة هوازن بحُنين.

3- - المحجّة البيضاء 4: 149.

4- - مكارم الأخلاق 17.

والإشارة اللّطيفة والتلميح الشفّاف و التلويح البعيد.. حتّي قيل: إنّه صلي الله عليه و آله ما نهَرَ خادما، ولا ضرب أحدا، ولا عاتب علي تقصير..

* أرسل مرّةً خادما له في حاجة، فغاب ذلك الخادمُ نصفَ اليوم

أو قرابةَ ذلك، فإذا عاد الغلام لوّح له النبيّ صلي الله عليه و آله في وجهه بالسُّواك يهدّده به بلطف.

* و ذاك أنس خادمه، يقرّ قائلاً: أرسلني النبيّ في حاجةٍ فانحرفتُ إلي صبيانٍ يلعبون في السوق، فإذا برسول اللّه صلي الله عليه و آله قد قبض ثيابي من ورائي، فنظرتُ إليه وهو يضحك ويقول: يا أنس! إذهبْ حيث أمَرتُك.

ويقول أنس أيضا: خدمتُ رسولَ اللّه صلي الله عليه و آله عشر سنين.. فما سبّني قطّ، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمرٍ فتوانيتُ فيه فعاتبني عليه.

* وتلك عائشة شاهد آخر، تقول: ما ضرَبَ النبيُّ امرأةً قطّ، ولا ضرب خادما قطّ، ولا ضرب بيده شيئا قطُّ إلاّ أن يجاهد في سبيل اللّه، ولا نِيلَ منه فانتقم مِن صاحبه، إلاّ أن تُنتهك محارمُه فينتقم(1). فالعفو النبويّ سَتَر الجميع، والرحمة النبويّة شَمِلت الجميع.. و إلاّ هل يُعقَل أنّ أولئك الذين كانوا حوله لم يُسيئوا إليه!

* لقد أُغمي علي النبيّ صلي الله عليه و آله عندما اقتربت منه الوفاة، فبكي المسلمون وارتفع النحيب من النساء و جميع مَن حضر، فأفاق صلي الله عليه و آله ونظر إليهم.. ثمّ قال: آتوني بدواةٍ و كَتِف؛ لأكتبَ لكم كتابا لا تَضِلّوا بعده أبدا. ثمّ أُغميَ عليه، فقام بعضُ مَن حضر يلتمس دواةً و كتفا، فقال له عمر: ارجعْ، فإنّه يهجر! فرجع، وندم مَن حضر علي ما كان منهم من التضييع في إحضار

1- - يراجع كتب السيرة النبويّة، فإنّها حافلة بهذه الروايات والأخبار.

الدواة والكتف، وتلاوموا فيما بينهم وقالوا: إنّا للّه ِ و إنّا إليه راجعون! لقد أشفقنا مِن خلاف رسول اللّه صلي الله عليه و آله.

فلمّا أفاق صلي الله عليه و آله قالوا: ألا نأتيك بدواةٍ و كتف يا رسولَ اللّه؟ فقال: أبعدَ الذي قلتُم؟! لا ولكنيّ أُوصيكم بأهل بيتي خيرا..»(1).

وفي رواية: لا، ولكنِ احفَظُوني في أهل بيتي، و استوصوا بأهل الذمّة خيرا، و أطعموا المساكين و ما ملكَتْ أيمانُكم(2).

وهكـذا يغضّ رسول اللّه صـلي الله عليه و آله عمّا بـدر مِن إساءة الأدب في شـخصه الكريم، وهو الـذي لاينطقُ عن الهوي، ولا يصـيبه ما يصيب عامّةَ الناس – حاشاه – من اللَّغط والهذيان و شرود الذهن، وقد كُلِّف بتبليغ خاتم الأديان.

وكان من آخر وصايا رسول اللّه صـلي الله عليه و آله مودّعا: أيُّها الناس، إنّي قـد دُعِيتُ و إنّي مُجيب دعوة الداعي، قد اشـتقتُ إلي لقاء ربّي واللّحوقِ بإخواني من الأنبياء، و إنّي أُعْلِمُكم أنّي أوصـيتُ إلي وصـيّي ولم أُهمِلْكم إهمالَ البهائم، ولم أتركْ مِن أموركم شيئا. فقام إليه عمر فقال: يا رسول اللّه، أوصـيتَ بما أوصي به الأنبياءُ مِن قبلك؟ قال صلي الله عليه و آله: نعم. فقال له عمر مرّةً أخري: فبأمرٍ مِن اللّه أوصيتَ أم بأمرِك؟ قال له: إجلسْ يا عمر! أوصـيتُ بأمراللّه، و أمرُه طاعته، و أوصيتُ بأمري و أمري طاعة اللّه، و مَن عصاني فقد عصي اللّه، و مَن عصي وصيّي(3) فقد عصاني، و مَن أطاع وصيّي فقد أطاعني، و مَنأطاعني فقد أطاع اللّه، لا ما تُريد أنت وصاحبُك !

1- – الإرشاد 98.

2- – إعلام الوري بأعلام الهـدي 1: 265 – 266. و قريب من ذلـك وفي معنـاه رواه البخاريّ ومسـلم و كثير من كتّاب السـيرة. يراجع: النصّ والاجتهاد 155/ المورد 16.

3- – يقصد عليّا أميرالمؤمنين عليه السلام.

ثمّ التفتَ صلي الله عليه و آله إلي الناس وهو مغضبٌ فقال: أيُّها الناس، إسمعوا وصيّتي، مَن آمنَ بي وصدّقني بالنبوّة و أنّي رسول اللّه، فأُوصيه بولاية عليّ بن أبي طالبٍ وطاعتِه والتصديقِ له؛ فإنّ ولايتَه ولايتي و ولاية ربيّ، فقد أبلغتُكم، فلْيُبلّغِ الشاهدُ الغائبَ أنّ عليّ بن أبي طالب هو العَلَم، فمَن قصر دون العَلَم فقد ضلّ، و مَن تقدّمه تقدّمَ إلي النار، و مَن تأخّر عن العَلَم يمينا هلك، و مَن أخذ يسارا غوي، و ما توفيقي إلاّ باللّه، فهل سمعتُم؟ قالوا: نعم(1).

وغضّ نظره الشريف عن كثيرٍ من الاعتراضات و المخالفات، و الجسارات.. فهو صلي الله عليه و آلهذلك الوقور الذي صدَعَ بالحقّ و أعرَضَ عن الجاهلين(2).

* * *

ثالثا: تستمرّ سجيّة العفو خلُقا شريفا في سيرة أوصياء رسول اللّه صلي الله عليه و آله، وهم أئمّةُ الهدي، و أعلام التُّقي، و أولو الحِجي، و كهف الوري.. وقد ظُلِموا حتّي دُفِعوا عن مقاماتهم، و أُزيلوا عن مراتبهم التي رتّبهم اللّه فيها، و مع ذلك تعاملوا مع الأُمّة بالرحمة واللّطف والرفق واللِّين، فعَفَوا عمّن أساء إليهم، و غضّوا الطَّرْف عمّن نال منهم، و أوكلوا أمورهم كلَّها إلي اللّه عزّ وجلّ، فهو حَسْبُهم و نعم الوكيل. جاء في زيارة أئمّة البقيع: الحسن و السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام هذه العبارات الشريفة:

السلامُ عليكُم أئمّةَ الهدي، السلامُ عليكُم أهلَ التقوي، السلامُ عليكم

1- - الطُّرَف 147 - 148، والتحف في توثيقات الطُّرَف 321 - 324.

2- - يراجع في هذا المورد: النصّ والاجتهاد للسيّد عبدالحسين شرف الدين الموسويّ.

أيُّها الحُججُ علي أهل الدنيا، السلامُ عليكُم أيُّها القُوّامُ في البَريّةِ بالقِسْط، السلامُ عليكُم أهلَ الصفوة، السلامُ عليكُم آلَ رسولِ اللّه، السلامُ عليكُم أهلَ النجوي. أشهدُ أنّكم قد بلّغْتُم ونصحتُم، وصبرتُم في ذاتِ اللّه، و كُذِّبتُم وأُسِيءَ إليكُم فغفرتُم. وأشهدُ أنّكُمُ الأئمّةُ الراشدون المُهتدون، و أنّ طاعتَكم مفروضة، و أنّ قولَكُم الصِّدْق، و أنّكم دَعَوتُم فلم تُجابوا، و أمَرْتُم فلم تُطاعُوا، و أنّكم دعائمُ الدِّينِ وأركانُ الأرض..»(1).

ولقد كان مِن أهل البيت عليهم السلام ما كان من رسول اللّه صلي الله عليه و آله من العفو والصفح، حتّي أغرقوا الناسَ بالرحمة والشفقة، و كلّموهم بلسان العدل والحقّ، ولم يقسوا علي أحدٍ منهم؛ لأنّهم سلام اللّه عليهم آباء الأمّة وهُداتها.. في قوله تعالي: «إنّما أنتَ مُنذِرٌ ولِكُلِّ قَومٍ هادٍ»(2)، قال الإمام الباقر عليه السلام: رسول اللّه صلي الله عليه و آله المنذر، وفي كلّ زمانٍ منّا هاديا يهديهم إلي ماجاء به نبيُّ اللّه، ثمّ الهُداة مِن بعدُ عليّ، ثمّ الأوصياء واحدٌ بعد واحد(3).

وكيف هم آباء الأمّة؟ يقول أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام: إنّي كنت مع النبيّ في صلاةٍ صلاّها، فضرب بيده اليمني إلي يدي اليمني، فاجتذبها فضمّها إلي صدره ضَمّا شديدا، ثمّ قال: يا عليّ، فقلت: لبيك يا رسول اللّه، قال: أنا و أنت أبَوا هذه الأمّة(4).

* وجاء عن الصدّيقة الكبري فاطمة الزهراء عليهاالسلام قولها: أبَوا هذه الأُمّة:محمّدٌ وعليّ، يُقيمان أوَدَهم، و يُنقذانِهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما،

1- - مفاتيح الجِنان و مصادر الزيارات - باب زيارة أئمّة البقيع عليهم السلام.

2- - الرعد 13 7.

3- - بصائر الدرجات - الجزءالأوّل 29 / ح1 - الباب 13.

4- - معاني الأخبار 118/ ح1.

ويُبيحانِهِمُ النعيمَ الدائم إن وافقوهما(1).

* و عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: محمّدٌ و عليٌّ أبوا هذه الأُمّة،

فطُوبي لمَن كان بحقّهما عارفا، و لهما في كلّ أحواله مطيعا(2).

ولكن لم يكن من الأمّة – وللأسف البالغ – معرفةٌ بحقّهما ولا حقِّ أهل بيتهما، كما لم يكن من الأمّة طاعةٌ لهما ولا لأهل بيتهما.. بينما كان من النبيّ و آله صلوات اللّه عليه و عليهم في مقابل ذلك العفوُ والسماحة.. حتّي يعلم الجاهل، و يهدأ الحاقد، و يُفيقَ الغافل، ويكونوا سلام اللّه عليهم حقّا حجـجَ اللّه علي خَلْقه، «فلِلّهِ الحُجّةُ البالغة»(3)، كما كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله، وهذه سيرته المباركة في تعامله مع أعدائه و مخالفيه و محاربيه، و مع أهله وإخوانه و ذويه، مع الأقرباء والغرباء، مع الخدم و الأصحاب والأعراب، و كلِّ مَن اتّصل به و كثيرٌ منهم كان جاهلاً بمقام نبوّته، أو مسيئا إلي علوّ شأنه و جلالته، فبادلَهم رسول اللّه صلي الله عليه و آله جميعا محبّةً وعطفا، و عفوا و صفحا، ولينا ورفقا ورحمة.. هذه سيرته التي نقلها التاريخ في أخبارٍ كثيرةٍ طويلة، يتأمّلها أحدهم فيخاطبُه صلي الله عليه و آله في يوم ذكري مولده الأغرّ:

أكرمتَ يومَك هيبةً و بَهاءا***وكشَفْتَ فَجْرا عابقا و ضّاءا

ونشرتَ مِسْكا ساحَ في أفُقِ الرُّبي****وسكبتَ في اللّيل البهيمِ ضياءا

وبسطتَ مِن يدك الكريمةِ مَنهلاً***نِعْمتْ يدا مبرورةً مِعطاءا

ونشرتَ بِشرا في قلوبٍ خُيِّبتْ***وأزَحتَ عن صدرِ الأنامِ شَقاءا

ومسحتَ أدمُعَ يُتّمٍ متلطِّفا***فرويتَهم حُبّا يَفيضُ ولاءا

1- – تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام133 – في ظلّ قوله تعالي: «وبالوالدَينِ إحسانا» البقرة 2 83.

2- – تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام 133.

3- – الأنعام 6 149.

ودعوتَ للودِّ المبارَكِ يومَها***قوما أغاضوا الأبطُحَ الغَبراءا

فتركتَهم يتطلّعونَ إلي الهدي ***وإلي الرُّقيِّ ليبلغوا الجَوزاءا

وتعانَقَ الكلُّ المُحِبُّ تَحنُّنا***بالأمسِ كانوا نُثَّرا غُرَباءا

وتمازجَ الشملُ الخليطُ ببعضِه ***فغدا الغنيُّ مع الفقيرِ سواءا

وتمايلتْ فوق الرُّبي راياتُنا***تَزهو تُقيً.. و سماحةً.. ووفاءا

فشفَيتَ سُقمةَ أُمّةٍ مِن بعدِما***مَلّتْ وصايا الطبِّ، والحكماءا

وغدا ستعترف الشعوبُ بعَجزِها***فتَجيء تطلبُ مالديك دواءا

ولا يُطيق «برناردشو» أن يكتم هذه الحقيقة حتّي قال: ما أحوجَ العالَم إلي رجلٍ كمحمّد صلي الله عليه و آلهلحلّ مشاكله، ولو أ نّه قام مِن قبره لَحلَّ مشاكلَ العالَم وهو يشرب فنجانا من القهوة. وحتّي قالها «برناردشو» صريحةً بيّنة: لقد درستُ هذا الإنسان العجيب «محمّدا» صلي الله عليه و آله، وهو يستحقّ – بكلّ جدارةٍ – أن يُسمّي «منقذَ البشريّة».. ثمّ يضيف قائلاً: لو تمكّن إنسانٌ مِثْله مِن حكم العالَم المعاصر، لَنجحَ في حلّ مشاكل الدنيا بطريقةٍ تمنحه السِّلْمَ والسعادة.. وهما أكثرُ مايحتاجه عالَمُنا المعاصر(1).

ذلك بأخلاقه الطيّبة الكريمة، و منها عفوه و سماحته، حيث يقولالشاعر يخاطبه:

طبعَتْك كفُّ اللّه ِسيفَ أمانٍ***كمَنِ الردي في حدِّه للجاني

ما كنتَ سفّاحا ولم تَسفكْ دَما***إلاّ بحقِّ العادلِ الديّانِ

لولا اعتداؤهمُ عليك وجَورُهم***ما خُضتَ حربا طاعنا بِسِنانِ

قد أحر جوك، و أخرجوك، فنِلْتَهم***ومُذِ ارعَوَوا عن ذلك الطغيانِ

1- – عن مجلّة حضور الإسلام الصادرة باللّغة الفرنسيّة في أعوام السبعينات.

فسمحتَ ثمّ صفحتَ عن آثامِهم***وغمرتَهم بالفَيء والإحسانِ(1)

و يمضـي العفو خلُقا فاضـلاً كريما في سـيرة النبيّ الهادي صـلي الله عليه و آله، ليسـتمرّبعده في سـيرة أهل بيته الأطهار صلوات اللّه عليه وعليهم مـا اختلف اللّيل والنهار، حيث يجسّد دون ذلك الخلُقَ الرفيع في تعاملهم مع الناس، وفي مواقفهم حتّي مع مخالفيهم و مناوئيهم، فعَفَوا عفوا لايتوقّعه أحد.. وهذا هو الشرف الثالث للعفو؛ إذْ هو سمةٌ ظاهرة في أخلاق أهل البيت وأئمّة الحقّ و أوصياء رسول اللّه صلي الله عليه و آله،حتّي قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّا أهل بيتٍ مُروّتُنا العفوُ عمّن ظَلَمنا(2).

وهذه سيرتهم تحكي ذلك:

عفو أميرالمؤمنين عليه السـلام فصّل ابن أبي الحديـد في شـرحه لنهـج البلاغـة حـديثا حول بيعـة الإمام عليٍّ عليه السـلامو أمرِ المتخلّفين عنها(3)، و منهم :محمّد بن مَسـلمة، و عبداللّه بن عمر بن الخطّاب، و أُسامة بن زيد، و سعد بن أبي وقّاص، و كعب بن مالك، و حسّان بن ثابت، و عبداللّه بن سـلام. وقد أُحضـر عبداللّه بن عمر، فقال له أميرالمؤمنين عليه السـلام:بايع، قال: لا أُبايع حتّي يبايع جميع الناس، فقال له: فأعطني حَمِيلاً ألاّ تبرح، قال: ولا أُعطيك حَميلاً. فقال الأشتر: يا أميرالمؤمنين، إنّ هـذا قد أمِنَ سوطك و سـيفك، فدَعْني أضـرب عنقه! فقال عليه السـلام: لستُ أريد ذلك منه علي كُرْه، خَلُّوا سبيله..ثمّ أُتي بسعد بن أبي وقّاص، فقال له: بايع، فقال: يا أبا الحسن، خَلِّني، فإذا لم يبقَ غيري بايَعْتك، فوَاللّه لا يأتيك مِن قِبلي أمرٌ تكرهه أبدا، فقال:

1- – للشـاعر المسـيحيّ مارون عبود، من قصـيدة طويلـة حول نبيّ الإسـلام، أوردها في ديوانه الزوابع ص 237 طبع دار المكشوف سـنة 1946م.

2- – أمالي الصدوق 238، المجلس 48 / ح 7.

3- – شرح نهج البلاغة 4: 7 – 11.

صدق، خَلّوا سبيله.. وهكذا بقيّة المخالفين، أبَوُا البيعة بين معترضٍ و مُنزَوٍ و مسالمٍ و مُرجئٍ أمرَ البيعة إلي حين، فخلّي أميرالمؤمنين سلام اللّه عليه سبيلَهم، و تركَهم وحالهم، و إنّما طلب منهم ألاّ يُسيئوا إلي المسلمين أو يُحدثوا فتنا تنغّص علي الناس عيشَهم أو تحرفهم عن دينهم. وكلُّ مَن تخلّف عن البيعة أو رفضها كان له عذره المُصطنَع أو اعتذاره، عن تجنّبٍ أو نفاقٍ أو هروبٍ من المسؤوليّة الشرعيّة و التكليف الإلهيّ.

وقد روي الشيخ أبو الحسين في كتاب (الغُرَر) أنّهم لمّا اعتذروا إليه عليه السلام

بهذه الأعذار، قال لهم: ما كلُّ مفتونٍ يُعاتَب، أعندَكم شكٌّ في بيعتي؟ قالوا: لا، قال: فإذا بايعتم فقد قاتلتُم. و أعفاهم مِن حضور الحرب(1).ولم يجبرْ أميرُالمؤمنين عليه السلامأحدا علي بيعته، ولو أراكان مستطيعا ذلك، بل كان قادرا علي الانتقام مِن مخالفيه و مناوئيه و المحرّضين عليه خاصّة بعد أن تمّت له البيعة، أو علي تعبير ابن عبّاس: فلم يتكلّم أحدٌ حتّي بايَعَه الناسُ كلُّهم راضين مسلِّمين غيرَ مُكرَهين(2).

ولكنّه عليه السلام عفا عن بعض وصفح عن بعض، و نبّه بعضا و حذّر بعضا، و أرشد آخرين، و نصح الناكثين والمنافقين، و أهلَ الدسائس والمارقين، و أصحاب المؤامرات والمحرّضين، و ذوي الروح الجاهليّة الحاقدين..و كان منهم: الأشعث ابن قيس الكِنْديّ، و جرير بن عبداللّه البَجَليّ، و أبو مسعود الأنصاريّ، و سَمُرة بن جُندب، وعبداللّه بن الزبير، والمُغيرة بن شعبة، والوليد بن أبي مُعَيط، ويزيد بن حُجَيّة التّيميّ، والأسود بن يزيد، و أبو بُرْدة بن أبي موسي الأشعريّ، و زيد بن ثابت، و عمرو بن ثابت،

1- - يراجع المصدر ذاته: شرح نهج البلاغة 4: 7 - 11، و 4: 74 - 110، فصل في ذِكر المنحرفين عن عليٍّ عليه السلام.
2- - شرح نهج البلاغة 4:10.

و مكحول.. وغيرهم. وماجابَهَهم سلام اللّه عليه إلاّ بالحسني والنُّصْح، فأبي بعضهم إلاّ القتال، رافضا سماحةَ الإمام وعفوه. وهذه مشاهد لأهل الإنصاف والضمير، فليحكموا بعد أن يحكّموا العقل والدِّين والإنسانية والأخلاق الفطريّة السليمة:

* بعث أميرالمؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام إلي لبيد بن العطارد التيميّ في كلامٍ بلَغَه، فمرّ به أميرالمؤمنين عليه السلام في بني أسد، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسديّ فأفلتَه، فبعثَ إليه أميرالمؤمنين عليه السلامفأتَوه به، و أمر به أن يُضرب، فقال له نعيم: نعم واللّه، إنّ المُقام معك لَذُلّ، و إنّ فراقك لَكفر. فلمّا

سمع عليه السلام ذلك منه قال له: قد عَفَونا عنك، إن اللّه عزّوجلّ يقول: «إدفعْ بالّتي هيَ أحسنُ السيّئةَ»(1)، أمّا قولك: إنّ المُقام معك لَذُلّ، فسيّئةٌ اكتسبتَها، و أمّا قولك: إنّ فراقك لَكفر، فحسنة اكتسبتَها، فهذه بهذه(2).

وقال فيه رجلٌ من الخوارج: قاتَلَه اللّه كافرا ما أفقهَه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام لهم: رويدا، إنّما هو سَبٌّ بِسَبّ، أو عفوٌ عن ذَنْب(3).

وكان أبو هريرة قد تكلّم في الإمام عليٍّ عليه السلام و أسمعه، ثمّ جاء في اليوم الثاني و سأله حوائجَه، فقضاها الإمامُ عليه السلام له، فسألَه أصحابه في ذلك فقال: إنّي لَأستَحْيي أن يغلبَ جهلُه علمي، و ذنبُه عفوي، و مسألتُه جودي.

وكان من كلامه عليه السلام: إلي كم أُغضي الجفونَ علَي القَذي، و أسحبُ ذَيلي

1- - المؤمنون 23 96.

2- - مناقب آل أبي طالب 2:130 - 131، فصل في حلمه و شفقته عليه السلام و شرح نهج البلاغة 3:253.

3- - مناقب آل أبي طالب 2:131 - فصل في حلمه و شفقته عليه السلام. و شرح نهج البلاغة 3:253.

علَي الأذي، و أقولُ لعلّ و عسي؟![(1)]

وفي الروايات: أسَرَ مالكُ بن الأشتر مروانَ بن الحكم، فلم يكن مِن الإمام عليٍّ عليه السلام إلاّ أن عاتبه و أطلَقَه.

وقالت له عائشة يومَ الجمل: مَلكْتَ فاسجَحْ. أيْ قدرتَ فأحسنِ العفو، وهو مَثَلٌ سائر..[(2)] فجهّزها الإمام عليٌّ عليه السلامأحسنَالجهاز، و بعث معها بتسعين امرأةً، أو سبعين. واستأمنَتْ لعبد اللّه بن الزبير علي لسان محمّد بن أبي بكر – أخيها – فآمَنَه عليه السلام و آمنَ معه سائرَ الناس.

وجيء بموسي بن طلحة بن عبيداللّه، فقال عليه السلام له: قل: أستغفر اللّه و أتوب إليه ثلاثَ مرّات. وخلّي سبيلَه وقال له: إذهبْ حيث شئت، وما وجدتَ لك في عسكرنا من سلاحٍ أو كراعٍ فَخُذْه، واتّقِ اللّه فيما تستقبلُه مِن أمرك، و اجلسْ في بيتك[(3)].

قال الإمام الباقر عليه السلام: كان عليٌّ عليه السلام إذا أخذ أسيرا في حروب الشام، أخذ سلاحَه و دابّته، و استحلَفَه أن لايُعينَ عليه.

و عن الطبريّ: لمّا ضرَبَ عليٌّ طلحةَ العبدريّ، فكبّر رسول اللّه صلي الله عليه و آله،

و سأل عليّا عليه السلامبعدها: ما مَنَعك أن تُجهِز عليه؟ قال: إنّ ابن عمّي ناشدني اللّه والرَّحِم حين انكشفَتْ عورتُه، فاستَحْيَيتُه[(4)]. و مِن هنا عُرِف أميرالمؤمنين عليه السلام بعفوه في حال قدرته، بل اختار العفو

1- – مناقب آل أبي طالب، 2:131فصل في حلمه و شفقته عليه السلام؛ و شرح نهج البلاغة 3:253.

2- – النهاية في غريب الحديث والأثر 2:147.

3- – مناقب آل أبي طالب 2:132 – فصل في حلمه و شفقته عليه السلام.

4- – مناقب آل أبي طالب 2:132 – فصل في حلمه و شفقته عليه السلام.

في أسمي صوره، وهو القائل: أَولي الناس بالعفو، أقدرُهم علي العقوبة(1).

أمّا ابن أبي الحديد، فيقول لدي عرضه شيئا مِن أخلاق أميرالمؤمنين عليه السلام:

وأمّا الحِلْم والصفح، فكان عليه السلام أحلمَ الناس عن ذنب، و أصفحَهم عن مُسيء. وقد ظهر صحّة ماقلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم – و كان أعدي الناس له و أشدَّهم بغضا – فصفح عنه. و كان عبداللّه بن الزبير يشتمه علي رؤوس الأشهاد، وقد خطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم..(2) عليّ بن أبي طالب. وكان عليٌّ عليه السلام يقول: مازال الزبير رجلاً منّا أهلَ البيت، حتّي شبّ عبداللّه. فظفر به عليه السلام يوم الجمل وأخذه أسيرا، ثمّ صفح عنه و قال له: إذهبْ، فلا أَرَيَنّك. لم يَزدْه علي ذلك.

وظفر عليه السلام بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل، بمكّة، وكان سعيد له عدوّا، فأعرض عليه السلامعنه ولم يقل له شيئا. وقد علمتُم ما كان مِن عائشة في أمره، فلمّا ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلي المدينة عشرين امرأةً مِن نساء عبد القيس عمّمهنّ بالعمائم، وقلّدهنّ بالسيوف، فلمّا كانت ببعض الطريق ذكرَتْه بما لايجوز أن يُذكرَ به، و تأفّفتْ وقالت: هتك ستري برجاله و جُنده الذين وَكلَهم بي! فلمّا وصلت المدينة ألقي النساء عمائمهنّ وقلن لها: إنّما نحن نسوة.

ويضيف ابن أبي الحديد في بيان حِلم الإمام عليٍّ عليه السلام وعفوه و صفحه عمّن ظَلَمه و أساء إليه و حاربه، فيقول:

1- – نهج البلاغة: الحكمة 55.

2- – كلمتانِ نابيتان لانستطيع إدراجهما، و هما إنّما تناسب قائلهما و تنطبقان عليه.

وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهَه و وجوه أولاده بالسيوف، وشتموه

ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السيفَ عنهم، و نادي مُناديه في أقطار العسكر: ألا لايُتْبَع مَولي، ولا يُجهَز علي جريح، ولا يُقتَل مستأسَر، ومَن ألقي سلاحه فهو آمن، و مَن تحيّز إلي عسكر الإمام فهو آمن. ولم يأخذْ عليه السلام أثقالَهم، ولا سبي ذراريهم، ولا غَنمَ شيئا مِن أموالهم، ولو شاء أن يفعل كلَّ ذلك لَفعل، ولكنّه أبي إلاّ الصفحَ والعفو، و تقبّل سُنّةَ رسول اللّه صلي الله عليه و آله يوم فتح مكّة، فإنّه عفا و الأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تُنْسَ!

ولمّا ملَكَ عسكرُ معاوية عليه الماء، و أحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلْهم بالعطش كما قتلوا عثمانَ عطشا ! سألهم عليٌّ عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شربَ الماء، فقالوا: لا واللّه ِ ولا قطرة، حتّي تموتَ ظمأً كما مات ابن عفّان. فلمّا رأي عليه السلام أ نّه الموتُ لا محالة، تقدّم بأصحابه، و حمل علي عساكر معاوية حَمَلاتٍ كثيفة، حتّي أزالَهم عن مراكزهم بعد قتلٍ ذريع، سقطت منه الرؤوسُ والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفَلاة لا ماء لهم، فقال له (أي للإمام عليه السلام) أصحابُه وشيعته: إمنعْهمُ الماءَ يا أميرالمؤمنين كما منعوك، ولا تَسقِهم منه قطرة، واقتلْهم بسيوف العطش، وخُذْهم قبضا بالأيدي فلا حاجة لك إلي الحرب، فقال لهم: لا واللّه ِ لا أُكافئهم بِمثْل فعلِهم، أفْسِحُوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يُغني عن ذلك.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: فهذه إن نسَبْتَها إلي الحِلْم والصفح، فناهيك بهاجَمالاً و حُسنا، و إن نسبتَها إلي الدِّين والورع، فأخْلِقْ بمِثْلِها أن تَصدُرَ عن مِثْلِه عليه السلام(1).

1- - شرح نهج البلاغة 1:22 - 24.

وكـان للإمـام عليٍّ عليه السـلام عفوٌ عريض مع مَن جَهِله ولم يعرفه.. روي أبو مُطرّف البصـريّ أنّ أميرالمؤمنين عليه السـلام مرّ بأصـحاب التمر، فإذا هو بجاريـةٍ تبكي، فقال لها: يا جاريـة، ما يُبكيكِ؟ قالت: بعثني مولاي بـدرهمٍ فابتعتُ مِن هـذا تمرا، فأتيتُهم به فلم يَرضَوه، فلمّا أتيتُه به أبي أن يقبله. قال عليه السـلام (للبائع): يا عبـداللّه، إنها خادم وليس لها أمر، فاردُدْ إليها درهمها و خُذ التمر. فقام إليه الرجل فلَكَزَه (واللكز هو الدفع والضـرب بجمع الكفّ)، فقال الناس له: هذا أميرالمؤمنين! فربا الرجل (أي اختنق نَفَسُه من الخوف) واصـفرّ، و أخذ التمر وردّ للجارية درهمها، ثمّ قال: ياأميرالمؤمنين، إرضَ عنّي، فقال عليه السلام: ما أرضاني عنك إن أصلحتَ أمرك.

وفي رواية أحمد بن حنبل في (مناقب الصحابة): ما أرضاني عنك إذا وفيتَ الناسَ حقوقَهم(1).

ونظر أميرالمؤمنين عليه السـلام يوما امرأةً علي كَتِفها قربةُ ماء، فأخذ منها القربة فحمَلَها إلي موضـعها، وسألها عن حالها فقالت: بعَثَ عليٌّ بن أبي طالب صاحبي (أي زوجي) إلي بعض الثغور فقُتِل، و ترك علَيّ صبيانا يتامي، وليس عنـدي شـيء، فقد ألجأتْني الضـرورة إلي خدمة الناس.

فانصـرف عليه السـلام وبات ليلتَه قلقا، فلمّا أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال له بعضُهم: أعطِني أحملْه عنك، قال عليه السلام: مَن يحملُ عنّي وزري يومَ القيامة ؟! فأتي و قرع الباب، فقالت: مَن هذا ؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القِربة، فافتحي، فإنّ معي شـيئا للصبيان، فقالت له: رضيَ اللّه عنك، و حكَمَ بينيو بين عليّ بن أبي طالب!

فدخل وقال لها: إنّي أحببتُ اكتسابَ الثواب، فاختاري بين أن تعجني،

1- - مناقب آل أبي طالب 2:129 - 130، فصل في حلمه و شفقته عليه السلام.

و تخبزي، و بين أن تعلّلي الصبيانَ لأخبز أنا. فقالت: أنا بالخبز أبصر، وعليه أقدَر، ولكنْ شأنك الصبيان، فَعلّلْهم حتّي أفرغَ مِن الخبز. قالت: فعمـدتُ إلي الـدقيق فعجنتُه، وعمّـدَ عليّ (وهي لاـ تعرفه) إلي اللّحم فطبخه، وجعـل يُلقم الصبيـان مِن اللّحم والتمر وغيره، فكلّمـا ناول الصبيانَ مِن ذلك شيئا قال: بُنيّ، إجعلْ عليّ بن أبي طالب في حِلٍّ ممّا أُمِر في أمرك (وفي رواية: ممّا مَرّ مِن أمرك).

فلمّا اختمر العجين، قالت: يا عبدَ اللّه، اسـجُرِ التنور. فبادر لسـجره، فلمّا أشعَلَه ولفح في وجهه جعل يقول: ذُقْ يا عليّ، هذا جزاءُ مَن ضيّع الأرامـل و اليتـامي. فرأتْه امرأةٌ تعرفه فقـالت للمرأة صاحبـة البيت: وَيحَـكِ هـذا أميرالمؤمنين! فبـادرت المرأة وهي تقول: وا حيائي منك يا أميرالمؤمنين! فقال: بل وا حيائي منكِ يا أمَةَ اللّه فيما قصّرتُ مِن أمرِكِ(1).

* وعن الإمـام الباقر عليه السـلام في خبر أ نّه رجع الإمام عليّ عليه السـلام إلي داره وقت القيظ (أي شـدّة الحَرّ)، فإذا امرأةٌ قائمـة تقول: إنّ زوجي ظَلَمني و أخافني و تَعدّي علَيّ، وحلف لَيضربُني. فقال عليه السلام: يا أمَةَ اللّه، اصبري حتّي يبرد النهار ثمّ أذهب معكِ إن شاء اللّه. فقالت: يشتدُّ غضَبُه و حَرَدُه علَيّ(2). فطأطأ رأسَه ثمّ رفعه وهو يقول: لا واللّه، أو يُؤخَذ للمظلوم حقُّه غيرَ مُتَعْتَع، أين منزلُكِ؟

فمضي إلي بابه، فوقف فقال: السلام عليكم. فخرج شابّ، فقال عليّ عليه السلام: ياعبداللّه، اتّقِ اللّه؛ فإنّك قد أخَفْتَها و أخرَجْتَها.

فقـال الفتي: و مـا أنت و ذاك ؟! واللّه ِ لَأُحرقنّهـا لكلامـك! فقـال أميرالمؤمنين عليه السـلام: آمرُك بالمعروف وأنهاك عن المنكر، تسـتقبلُني بالمنكر

1- - مناقب آل أبي طالب 1:319.

2- - أي غيظه.

وتُنكر المعروف؟!

فأقبل الناس من الطُّرُق ويقولون: سلام عليكم يا أميرالمؤمنين. فسقط الرجلُ في يديه، فقال: يا أميرالمؤمنين أقِلْني عثرتي، فوَاللّه ِ لَأكوننّ لها أرضا تطأُني. فأغمدَ عليٌّ سيفَه فقال: يا أمةَ اللّه ادخُلي منزلَكِ، و لا تُلجِئي زوجَكِ إلي مِثْل هذا و شِبْهِه(1).

ودعا عليه السلام غلاما له مِرارا.. فلم يُجِبْه، فخرج فوجدَه علي باب البيت، فقال عليه السلام له: ما حمَلَك علي ترك إجابتي؟ قال: كَسِلتُ عن إجابتك، و أمِنتُ

عقوبتك. فقال عليه السلام: الحمد للّه الذي جعلني ممّن يأمَنُه خَلْقُه، وقال للغلام: إمضِ فأنت حرٌّ لوجه اللّه (2).

وبلغ مِن عفو أميرالمؤمنين عليه السلام أ نّه لم يعاقبْ حتّي قاتلَه، بل عامَلَه بالرأفة والإحسان.. كتب الشيخ المجلسيّ:

في (محاسن الجوابات) عن الدينوريّ أ نّه قال: رُويَ أ نّه عليه السلام قال (يوصي بقاتله عبدالرحمان بن ملجم): أطعِمُوه واسقوه، و أحسِنوا إسارَه، فإن أصحّ فأنا وليُّ دمي، إنْ شئتُ أعفو وإنْ شئتُ استقدتُ..

وفي وصيّته عليه السلام قبيلَ شهادته، أقبل علي ابنه الحسن عليه السلام فقال له: يا بُنيّ، أنت وليُّ الأمر بعدي و وليّ الدم، فإنْ عفوتَ فَلَك، و إن قتلتَ فضربةٌ مكان ضربة، ولا تأثم(3).

وقبل ذلك، وحين ضربه ابن مُلجم لعنه اللّه فقُبض عليه، التفتأميرالمؤمنين عليه السلام إلي ولده الحسن عليه السلام وقال له: إرفقْ يا ولدي بأسيرك وارحمْه، و أحسِنْ إليه و أشفقْ عليه، ألا تري عينَيه قد طارتا في أُمّ رأسه،

1- - مناقب آل أبي طالب 1: 311.

2- - مناقب آل أبي طالب 1:316.

3- - بحار الأنوار 42 :250 / ح 52 - عن كتاب مَن لايحضره الفقيه.

وقلبه يرجف خوفا و رعبا وفزعا ! فقال له الحسن عليه السلام: يا أباه، قد قتَلَك هذا اللّعين الفاجر، و أفجَعَنا فيك، و أنت تأمرُنا بالرفق به؟! فقال له: نعم يابُنيّ، نحن أهل بيتٍ لانزداد علي الذَّنْب إلينا إلاّ كرما و عفوا، والرحمة والشفقة مِن شيمتنا لا مِن شيمته، بحقّي عليك فأطعِمْه يا بُنيّ ممّا تأكله، و اسقِه ممّا تشرب، ولا تقيّدْ له قدما، ولا تغلَّ له يدا، فإنْ أنا متُّ فاقتصَّ منه بأن تقتلَه و تضربه ضربةً واحدة.. و إن أنا عشتُ فأنا أَولي بالعفو عنه، و أنا أعلم بما أفعل به، فإن عفوتُ فنحن أهلُ بيتٍ لانزداد علي المذنب إلينا إلاّ عفوا و كرما(1).

هكذا كان أميرالمؤمنين عليه السلام، و كذلك كان أولاده الأئمّة الطاهرون عليهم السلام، إذ العفو سمةٌ ظاهرة في معاشراتهم مع الناس، الغريبِ منهم والقريب، والمؤالف منهم والمخالف.. قال الإمام الصادق عليه السلام: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: ما أُحِبُّ أنّ لي بِذُلِّ نفسي حُمْرَ النَّعَم، وما تجرّعتُ جُرعةً أحَبَّ إليَّ مِن جُرعةِ غَيظٍ لا أُكافي بها صاحبَها(2).

قال الشيخ المجلسيّ: ذِلّ النفس سهولتها وانقيادها، وهي ذَلول. وذُلُّ النفس مذلّتها وضعفها، وهي ذليل. والنَّعَم المال الراعي.. و أكثر مايقع علي الإبل.. والخبر يحتمل وجهين: الأوّل – لا أُحبّ أن يكون لي مع ذُلّ نفسي أو بسببه نفائسُ أموال الدنيا..الثاني – لا أرضي أن يكون لي عوضَ انقياد نفسي وسهولتها وتواضعها، أو بالضمّ أيضا، أي المذلّة الحاصلة عند إطاعة أمر اللّه بكظم الغيظ والعفو – نفائسُ الأموال..(3).

1– – بحارالأنوار42: 287 – 288.

2– – الكافي 2:89 / ح 1 – باب كظم الغيظ.

3– – بحار الأنوار 71: 406 – 407، بيان في ظلّ الحديث 20.

ونحن إذا عرفنا منزلـة الأئمّة الأطهار عليهم السـلام، وعلوَّ شأنهم، وكرامتَهم علي اللّه تعالي، و عرفنا ضـعةَ مخالفيهم قبالهم، أكبَرْنا عفوَهم سلام اللّه عليهم، فقـد تحمّلوا ما لم يُطقْه غيرهم، و بادروا غايـة الأساءة بغاية الإحسان، فهم آباء الأمّة بحقّ، يَهدونها ويرشدونها، ويؤدّبونها بأخلاق اللّه جلّ وعلا.

* عن المبرّد و ابن عائشـة، قالا: إنّ شاميّا رأي الإمامَ الحسن عليه السـلام راكبا، فجعل يلعنه، والحسنُ لايردّ، فلمّا فرغ الشاميّ أقبل الحسـنُ عليه و ضـحك، وقال له: أيُّها الشيخ، أظنُّك غريبا، ولعلّك شبّهت، فلو استَعْتَبتَنا أعتبناك، ولو استحملتَنا حملناك، و إن كنتَ طريدا آويناك، و إن كانت لك حاجةٌ قضـيناها لك، فلو حرّكتَ رحلَك إلينا وكنتَ ضـيفا إلي وقت ارتحالك، كان أعودَ عليك؛ لأنّ لنا موضـعا رَحِبا، و جاها عريضا، و مالاً كثيرا.

فلمّا سـمع الرجل كلام الإمام الحسن عليه السـلام بكي، ثمّ قال: أشـهد أنّك خليفـة اللّه في أرضه، اللّهُ أعلمُ حيث يجعل رسالتَه، و كنتَ أنت و أبوك أبغضَ خَلْق اللّه إليّ، و الآـن أنت أحبُّ خَلْق اللّه إليّ. وحوّل الشـاميّ رحله إليه، و كـان ضـيفَه إلي أن ارتحـل، و صار معتقـدا لمحبّتهم(1).

وذلـك بفضل حِلم الإمام الحسن عليه السـلام و عفوه و صـفحه و صبره، و حُسن خلُقِه في تجرّعه الغيظ و كظمه وهو يسـمع رجلاً مخالفا يشـتمه، فقابله باسـتقبالٍ طيّب وقلبٍ سـليم، و بضـيافةٍ كريمـة وغضٍ عن الإساءة، فما كان من الشاميّ إلاّ أن عرف عظمة أخلاق أهل بيت الرسالة صلوات اللّه عليهم، و اكتشف زيفَ ما أُمليَ عليه مِن قِبَل معاوية، فشهد لهم بالخلافة، و أنّ

1- - مناقب آل أبي طالب 4:23 - فصل فيمكام أخلاقه عليه السلام؛ كشف الغمّة 167، مطالب السؤول 2:12، الكامل في اللّغة والأدب 1:325 - عنه: بحار الأنوار 43: 344 / ح 16.

الرسالة ائتُمنتْ فيهم بعد رسول اللّه صلي الله عليه و آله، ثمّ كان منه الحبّ والولاء لهم، والاعتقاد بإمامتهم.

* و جني غلامٌ للإمام الحسين عليه السلام جنايةً تُوجب العقاب، فأمر عليه السلام به أن يُضرب، فقال الغلام له: يا مولاي، «والكاظمينَ الغيظ»، قال عليه السلام: خَلُّوا عنه، قال الغلام: يا مولاي، «والعافينَ عنِ الناس»، قال عليه السلام: عفوتُ عنك، قال: يا مولاي، «واللّهُ يُحبُّ المحسنين»، قال الإمام الحسين عليه السلامله :أنتَ حُرٌّ لوجه اللّه، ولك ضِعفُ ماكنتُ أُعطيك(1).

لقد كان الغلام يستوجب عقابا، فنال من الكريم ثوابا؛ ذلك لأنّه ناشد أخلاق سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وسبطِ المصطفي وريحانته والذيقال صلي الله عليه و آله فيه: حسينٌ منّي، و أنا مِن حسين(2). وحقّا كان الحسين عليه السلام

من رسول اللّه صلي الله عليه و آله: نَسَبا و خُلقا، فكان العفو فيه سجيّةً و خُلقا نبويّا محمّديّا، حتّي استغاث غلامُه به منه، فوجدَه كريما عفوّا فصفح عنه، ثمّ أحسنَ إليه وضاعفَ أجرَه. أجَل، فهو مِن بيتٍ أهلُه أصدقُ مصداقٍ لقوله تعالي: «الذينَ يُنفقونَ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ والكاظمينَ الغَيظَ والعافينَ عنِ الناسِ واللّهُ يُحبُّ المُحسنين»(3).

والكظم – في الأصل – هو شدُّ رأس القِربة بعد ملئها، فاستُعير للإنسان إذا امتلأ حزنا أو غضبا. والغيظ: هيجان الطبع للانتقام بمشاهدة كثرة ما لايرتضيه، بخلاف الغضب، فهو إرادة الانتقام أو المجازاة؛ ولذلك يقال:غَضِب اللّه، ولا يُقال: اغتاظ. والعفو بطبيعة الحال يحتاج إلي كظم الغيظ

1- – كشف الغمّة 183، الفصول المهمّة 159.

2- – مسند أحمد بن حنبل 4: 172، صحيح الترمذيّ 2: 307، صحيح ابن ماجة – باب فضائل أصحاب رسول اللّه صلي الله عليه و آله، كنزالعمّال6:221، 7 : 107.

3- – آل عمران 3 134.

و إمساك الغضب، و هُما مِن لوازم الإحسان(1). وقد كان أهل البيت عليهم السلام محسنين حقّا، و ها هي سيرتهم تُخبر بذلك، فلنتعطّرْ بِذِكْرها معرفةً واقتداءً..

* جعلَتْ جاريةٌ للإمام عليّ بن الحسين عليهماالسلام تسكب له الماء، فسقط الإبريق مِن يدها علي وجهه الشريف فشجّه، فرفع عليه السلام رأسه إليها، فقالت: إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: «والكاظمين الغَيظ»، قال: قد كظمتُ غيظي، قالت: «والعافين عن الناس»، قال: قد عفا اللّه عنكِ، قالت: «واللّه ُيُحبُّ المُحسنين»، قال: اذهبي؛ فأنتِ حُرّة(2).

* ودعا عليه السلام مملوكَه مرّتين، فلم يُجبه.. و أجابه في الثالثة، فسأله: يا بُنيّ، أما سمعتَ صوتي؟ قال: بلي، قال: فما بالك لم تُجِبْني؟! قال: أمِنْتُك، فقال عليه السلام: الحمدللّه ِالذي جعل مملوكي يأمَنُني(3).

* وكان عليه السلام لايضرب مملوكا، بل يكتب ذنبه عنده، حتّي إذا كان آخِرُ شهر رمضان جمعهم و قرّرهم بذنوبهم، وطلب منهم أن يستغفروا له اللّه ،كما غفر لهم، ثمّ يعتقهم و يجيزهم بجوائز(4).

هكذا كان الإمام السجّاد عليه السلام كآبائه الكرام، و كذلك كان أبناؤه، صلوات اللّه عليهم أجمعين، يَتَحلَّون بأخلاق اللّه تبارك وتعالي، فيسبق عفوُهم غضبهم، و يُبْدلون غيظَ الانتقام، بالرأفة و الإحسان والإكرام، و يُراعونالمقصّرَ والمسيء حتّي يؤوب إليهم نادما و هو يري أ نّه قُوبل بالصفح والحلم والعفو والإحسان.

1- - الميزان في تفسير القرآن 4:20 - 24.

2- - أمالي الصدوق 168، المجلس 36 / ح 12.

3- - مناقب آل أبي طالب 4:171 - فصل في تواضعه عليه السلام.

4- - أعيان الشيعة ج14 / القسم الأول ص 417.

{كان بين الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهماالسلام و بين ابن عمّه حسن ابن الحسن شيء من المنافرة، فجاء حسن إلي الإمام زين العابدين وهو في المسجد مع أصحابه، فما ترك شيئا إلاّ قاله من الإيذاء، والإمامُ ساكت، ثمّ انصرف حسن.. فلمّا كان اللّيل أتاه في منزله فقرع عليه الباب، فخرج حسن إليه، فقال له الإمام عليه السلام: يا أخي، إنْ كنتَ صادقا فيما قلتَ لي فغفَرَ اللّه لي، و إن كنتَ كاذبا فغَفَر اللّه لك، والسلام عليك و رحمة اللّه.

ثمّ ذهب سلام اللّه عليه، فأتبعه حسن والتزمه مِن خلفه و بكي حتّي رقّ له، ثمّ قال للإمام: واللّه ِ لا عُدتُ إلي أمرٍ تكرهه. فقال له الإمام زين العابدين عليه السلام: و أنت حِلٌّ فيما قُلتَه(1).

وهكذا تأكّد حسن بن الحسن أنّ الإمام كان عافيا عنه لا حاقدا – حاشاه – ، ولم يكن في قلبه ألاّ الرحمة، لا دمُ الانتقام يغلي – حاشاه – فطابت نفسه، و عاد إلي رَحِمه يَصِله و يحبّه.

ولكنْ هل اقتصر ذلك الخلُق من الإمام علي ذوي رَحِمه، أم تعدّاهم إلي أعدائه؟ تقول الأخبار والروايات:

* أنّ هشام بن إسماعيل والي المدينة كان يؤذي الإمامَ عليّ بن الحسين عليه السلام إيذاءً شديدا، فلمّا عُزل هشام أمر به الوليد أن يُوقَف للناس، فكان هشام يقول: إنّي لا أخشي إلاّ عليَّ بن الحسين! ولكنّ الإمام عليه السلام مرّ به و سلّم عليه، و أمر خاصّتَه ألاّ يتعرّض له أحدٌ بسوء، و أرسل إليه يقول له: انظرْ إلي ما أعجَزَك مِن مالٍ تُؤخَذ به، فعندَنا ما يَسَعُك، فطِبْ نفسا منّا و مِن كلّ مَن يُطيعنا(2).

1- – مطالب السَّؤول 2: 43، و صفة الصفوة 2:53، و نور الأبصار 126.

2- – أعيان الشيعة ج4 / القسم الأوّل ص 448.

* ولمّا خرج بنو أميّة من المدينة إلي الشام في واقعة الحرّة التي أوقعها يزيد ابن معاوية منتهكا حرمة رسول اللّه و مستبيحا مدينته أعراضَها و أموالها ! آوي الإمامُ زين العابدين عليه السلام إليه ثقلَ مروان بن الحكم و امرأته عائشة بنت عثمان بن عفّان، مع أنّ مروان هذا له تاريخ أسود في عدائه و بغضه لأهل البيت عليهم السلام. و كان لمّا أخرج أهلُ المدينة عاملَ يزيد و بني أُميّة مِن المدينة، كلّم عبدَاللّه بن عمر أن يغيّبَ أهله عنده، فأبي عبداللّه بن عمر، فجاء مروان فكلّم عليّ بن الحسين عليه السلام قائلاً له: يا أبا الحسن، إنّ لي رحما، و حرمي تكون مع حرمك. فقال عليه السلام له: أفعل.

فبعث مروان بحرمه إلي عليّ بن الحسين عليه السلام، فخرج عليه السلام بحرمه و حرم مروان حتّي وضعهم بِيَنْبع بالبُغيبغة.. وهذا منتهي مكارم الأخلاق، والمجازاة علي الإساءة بالإحسان(1).

* واستطال رجلٌ علي عليّ بن الحسين عليهما، فتغافل عنه.. فقال الرجل: إيّاك أعني، فأجابه عليه السلام: و عنك أُغضي(2).

وهكذا نري خصال: الحلم و كظم الغيظ، و العفو والإحسان.. تجتمع في أخلاق الأئمّة الأطهار عليهم السلامفتمحو العداوات، و تُصلح النفوس المستعدّة للصلاح، و تخلق أجواءَ المحبّة والإخاء مع الناس، ولولا العفو لكانت الحياة مُرّةً عسيرة، منغَّصةً بالخصومات.

وأمّا الصفح فهو مَجْنبةٌ للسوء وللمسيء.. يقول الشاعر:

ولقد أمرُّ علي اللّئيمِ يَسُبُّني***فمضيتُ.. ثَمّةَ قلتُ: لا يَعْنيني

و أهلُ البيت النبويّ الشريف عليهم أفضل الصلاة والسلام.. كانت

1- - الإمام زين العابدين عليه السلام، لأحمد فهمي محمّد 49.

2- - كشف الغمّة 206.

أخلاقُهم من أخلاق رسول اللّه صلي الله عليه و آله، الذي كان العفو فيه طبعا شريفا، واضحا و معروفا، فمَضَوا علي سيرته.

* رُوي أنّ رجلاً شاميّا كان يتردّد علي أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام في المدينة، و كان حين يحضر مجلسَه يقول له: يا محمّد، ألا تري أَنّي إنّما أغشي مجلسَك حياءً منّي منك، ولا أقول إنّ أحدا في الأرض أبغضُ إليّ منكم أهلَ البيت ! و أعلم أنّ طاعة اللّه و طاعة رسوله و طاعة أميرالمؤمنين (يقصد الحاكم الأُمويّ) هي في بُغضكم، ولكنْ أراك رجلاً فصيحا لك أدبٌ و حُسنُ لفظ، فإنّما اختلافي إليك لحُسنِ أدبك.

وكان الإمام الباقر عليه السلام يعفو عنه و يقوله له خيرا، ويقول أيضا: لن تخفي علي اللّه خافية. فلم يلبث الشاميّ إلاّ قليلاً حتّي مَرِض واشتدّ وجعه، فلمّا ثقل دعا وليَّه وقال له: إذا أنت مَددتَ علَيّ الثوب فائْتِ محمّدَ بن عليّ (أي الباقر عليه السلام) وسَلْه أن يصلّي علَيّ، و أعلِمْه أنّي أنا الذي أمرتك بذلك. فلمّا أن كان في نصف اللّيل ظنّوا أ نّه قد برد، فسَجَّوه، فلمّا أن أصبح الناس خرج وليُّه إلي المسجد، فلمّا أن صلّي الإمام الباقر عليه السلام و تورّك، و كان إذا صلّي عقّب في مجلسه، قال له: يا أبا جعفر، إنّ فلانا الشاميّ قد هلك، وهو يسألك أن تصلّي عليه. فقال له الإمام عليه السلام: كلاّ، إنّ بلاد الشام بلاد صَرْد (أي برد)، و الحجاز بلاد حَرّ ولهبها شديد، فانطلقْ فلا تعجَلَنّ علي صاحبكم حتّي آتيكم.

ثمّ قام عليه السلام مِن مجلسه، فأخذ وضوءا ثمّ عاد فصلّي ركعتين، ثمّ رفع يديه تلقاءَ وجهه ماشاء اللّه، ثمّ خرّ ساجدا حتّي طلعت الشمس، ثمّ نهض فانتهي إلي منزل الشاميّ فدخل عليه، فدعاه فأجابه، ثمّ أجلسه و أسنده، و دعا له بسُويق فسقاه، و قال لأهله: املأوا جوفَه، و برّدوا صدرَه

بالطعام البارد.

ثمّ انصرف عليه السلام، فلم يلبث الشاميّ إلاّ قليلاً حتّي عُوفي، فأتي أبا جعفر (الباقر) عليه السلامقائلاً له: أخْلِني، فأخلاه (أي عفا عنه)، فقال الرجل: أشهدُ أنّك حجّة اللّه علي خَلْقه، و بابه الذي يُؤتي منه، فمَنْ أتي مِن غيرك خاب و خَسِر، و ضَلّ ضَلالاً بعيدا !(1)

وهكذا يكون عفو أهل البيت عليهم السلام كرما منهم، و فضلاً منهم علي الناس و إصلاحا لنفوسهم وعقولهم و أخلاقهم.

* قال نصرانيّ للإمام الباقر عليه السلام: أنت بقر؟! قال: لا، أنا باقر. هكذا أجابه بكلّ سماحةٍ و تجاوز عن الإساءة الكبري، فأعاد النصرانيّ: أنت ابن الطبّاخة؟ قال: ذاك حرفتها. قال النصرانيّ مرّة أخري: أنت ابن السوداء الزنجيّة البذيّة؟ فأجابه الإمام الباقر سلام اللّه عليه: إن كنتَ صدقتَ غفَرَ اللّه لها، و إن كنتَ كذبتَ غفَرَ اللّه لك.قال: فأسلم النصرانيّ(2).

وكان الإمام الباقر عليه السلام قادرا علي أن يعاقبه، و لكنّه قابله بالحلم والعفو والصفح، فأوجد ذلك في نفس النصرانيّ انقلابا روحيّا، أدّي به إلي أن يصبح مسلما، فقد رأي الإسلام في شخص.

* و يحدّثنا التاريخ حول سيرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فيروي أ نّه عليه السلامبعث غلاما له في حاجة، فأبطأ الغلام، فخرج عليه السلام علي أثره لمّا أبطأ، فوجده نائما، فجلس عند رأسه يروّحه حتّي انتبه، فلمّا انتبه قال عليه السلام له: يافلان! واللّه ما ذلك لك، تنام اللّيلَ والنهار، لك اللّيل.. والنار منك النهار(3).

1- - أمالي الطوسيّ 261.

2- - مناقب آل أبي طالب 4: 224 - فصل في معالي أموره عليه السلام.

3- - الكافي 2:92 / ح 7 - باب الحِلْم؛ مناقب آل أبي طالب 4:296 - فصل في معالي أموره عليه السلام.

* ولمّا أُغميَ علي الإمام الصادق عليه السلام عند وفاته و شهادته، أفاق فقال: أَعطُوا الحسن (الأفطس) سبعين دينارا، و أعطوا فلانا كذا. فقيل له: أتُعطي مَن حمَلَ عليك بالشفرة يريد قتلَك؟! فقال عليه السلام: أتُريد ألاّ أكون مِن الذين قال اللّه عزّوجلّ: «والّذين يَصِلُونَ ما أمرَ اللّه ُبهِ أن يُوصَلَ و يَخشَون ربَّهم و يَخافونَ سوءَ الحساب»؟![1]

وهكذا لاتقوي الإساءاتُ علي أن تجعل أهلَ البيت عليهم السلام منتقمين، بل لاتقوي علي أن تنتزع منهم خلّة العفو أو تصرفَهم عن الإحسان إلي مَن أساء إليهم.

نقرأ في سيرة الإمام موسي الكاظم عليه السلام أ نّه كان العفوَّ عن الناس، فهذا معتب يروي قائلاً:

كان أبو الحسن موسي عليه السلام في حائط له (أي بستان) يصرم النخل (أي يجزّه)، فنظرتُ إلي غلامٍ له قد أخذ كارة مِن تمر (وهي مقدار معلوم من الطعام قدر ما يُحمل علي الظهر)، فرمي بها و راء البستان. يقول معتب: فأتيته و أخذتُه و ذهبت به إلي (الإمام الكاظم) عليه السلامفقلت له:

جُعلت فداك، إنّي وجدتُ هذا وهذه الكارة.. فسأله الإمام عليه السلام:

- يا فلان!

- لبيك.

- أتجوع؟

- لا يا سيّدي.

- فتَعري؟

1- - مناقب آل أبي طالب 4:295 - فصل في معالي أموره عليه السلام. والآية في سورة الرعد 13 21.

– لا يا سيّدي.

– فلأيّ شيءٍ أخذتَ هذه؟

– اشتهيتُ ذلك.

– إذهبْ؛ فهي لك. وقال عليه السلام: خَلُّوا عنه(1).

فكان عليه السلام بعفوه قد ربّي غلاما خادما علي أخذ الحلال و ترك الحرام، و أوجد له فرصةً للاعتذار والتراجع عن الذنب وعن الأُسلوب الملتوي، ثمّ أكرمه الإكرام الماديّ بعد المعنويّ، و أرشده بالنصيحة ليرسم له طريق السعادة، و نحن نزور أئمّة الحقّ والهدي عليهم الصلاة والسلام فنخاطبهم بهذه العبارات: كلامُكم نور، و أمرُكم رُشد، و وصيّتكم التقوي، و فعلُكمُ الخير، و عادتُكمُ الإحسان، و سجيّتكمُ الكرم..(2)

* يروي المسعوديّ في سيرة الإمام عليّ الهادي عليه السلام، فيقول: اتّبعه في خروجه إلي سُرّ مَن رأي بُرَيحة العبّاسيّ صاحبُ الصلاة في الحرمَين مشيّعا، فلمّا صار في بعض الطريق قال له بريحة: قد علمتَ و قوفك علي أنّي السبب في حملك (أي إحضارك بالإجبار إلي سامرّاء)، وعلَيّ حلفٌ بأيمانٍ مغلَّظة، لئن شكوتَني إلي أميرالمؤمنين (يقصد الحاكم العبّاسيّ) أو إلي أحدٍ مِن خاصّته و أبنائه، لأجمّرنّ نَخْلَك، ولأقتلنّ مواليك، و لَأغْورنَّ عيونَ ضيعتك، و لأفعلنّ ولأصنعنّ ! فالتفت إليه الإمام الهادي عليه السلام وقاله له: إنّ أقرب عَرضي إيّاك علي اللّه البارحة، و ماكنتُلأعرضك عليه ثمّ لأشكوك إلي غيره مِن خَلْقه.

1– – الكافي 2: 88 / ح 7 – باب العفو.

2– – عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 277 / ح 1 – الزيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن الإمام الهادي عليّ بن محمّد عليهماالسلام.

فانكبّ عليه بُريحة وضرع إليه، و استعفاه، فقال له الإمام الهادي عليه السلام:

قد عفوتُ عنك.(1)

* * *

رابعا: من أخلاق الأصحاب، فمن خلال الروايات الوفيرة، نجد العفو سمةً بارزةً في أخلاق أئمّة البيت النبويّ الشريف عليهم السلام، حتّي تعلّم ذلك منهم صحابتهم، فشهد الناس لهم بتساميهم عن الحقد والخرْق والانتقام.

* ممّا يُروي أنّ أبا ذرّ الغفاريّ رضوان اللّه عليه عاد يوما مِن معركة، فلَحِقَه مِن غنائمها شاةٌ و فرس و شيء من المال، فاشتري بالمال علفا للشاة والفرس و أفردهما، و أمر غلامه بإعطاء علفهما كلَّ يوم، لكنّ الغلام أرسل الفرس علي علف الشاة فأكله، فسأله أبوذرّ: لِمَ فعلتَ هذا ؟ فأجابه الغلام: أردتُ أن أُغيظك!

وكان أبوذرّ قادرا علي توبيخه وعقوبته و تأديبه بالجلد، إلاّ أ نّه عفا عنه و قال له: إذهبْ، فأنت حرٌّ لوجه اللّه.

إنّ المؤمن الحقيقيّ مَن كان مقتديا بمحمّدٍ و آله صلوات اللّه عليهم، الذين تجلّت في سيرتهم أخلاقُ اللّه تبارك وتعالي، و تحقّقت فيها أحكامه جلّ وعلا، فهُم سادة المؤمنين و أُسوتهم، وعنهم تُتلقّي الحِكَم المواعظ و الأخلاق الطيّبة الحميدة، و منهم يستقي المؤمن، يقول أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام: المؤمنُ إذا وُعِظ ازدجَر، و إذا حُذِّر حَذِر، و إذا عُبِّر اعتبر، و إذا ذُكِّر ذكر..(2)وعن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال: إنّما المؤمن الذي إذا رضيَ لم يُدخله رضاه في إثمٍ ولا باطل، و إذا سخط لم يُخرجه سخطه مِن قول الحقّ،

1- - إثبات الوصيّة 225.

2- - غرر الحكم 54.

و المؤمن الذي إذا قَدر لم تُخرجه قدرته إلي التعدّي و إلي ما ليس له بحقّ(1).

* رُوي أن سلمان الفارسيّ المحمّديّ كان واليا علي المدائن ببغداد، وكان يتفقّد أحوال الرعيّة ليل نهار، فرآه رجلٌ لم يعرفه وهو رضوان اللّه عليه في ملابسه المتواضعة، فظنّه حمّالاً، فنادي علي سلمان: أيّها العِلّج، احمل متاعي. فحمله سلمان دون أن يغضب، فلمّا أن صار في منعطفٍ من الطريق سَلّم أحدُهم علي سلمان: السلام عليك أيّها الأمير. فتعجّب الرجل و لَحِق ذلك المسلِّمَ يسأله، فأخبره: هذا سلمان المحمّدي صاحب رسول اللّه، والأمير، فارتعدت فرائص الرجل و رمي بنفسه علي قدَمي سلمان محاولاً أخذ متاعه منه، إلاّ أنّ سلمانَ أبي ذلك قائلاً: لايحمل هذا إلاّ العلج.ثمّ حمله حتّي أوصله إلي باب دار الرجل و قال له ينصحه: عنك الإهانة.

أيّ حلمٍ ذاك و أيّ عفو، ثمّ أيّ درس للآخرين خُتم بنصيحةِ رجلٍ تعوّد أن يستهين بالناس. وكان سلمان قادرا علي معاقبته، إلاّ أ نّه جابهه بالعفو و التوجيه الصحيح، وقد قيل: ليس الحليم مَن ظُلِم فحَلِم، حتّي إذا قدر انتقم.. ولكنّ الحليم مَن ظُلِم فحَلِم، ثمّ قدر فعفا.

* وروي أنّ سارقا دخل علي خباء عمّار بن ياسر بصفّين، فقيل له: إقطَعْه؛ فإنّه مِن أعدائنا، فقال: بل أستر عليه؛ لعلّ اللّه أن يستر علَيّ يوم القيامة(2).

* وجلس ابن مسعود في السوق – وهو الصحابيّ المعروف – يبتاع

1– – الخصال105 / ح 65 – باب الثلاثة.

2– – المحجّة البيضاء 5:321 – 322، فضيلة العفو.

متاعا، فابتاع ثمّ طلب الـدراهم وكانت في عمامته، فوجـدها قـد حُلّت، فقال: لقـد جلستُ وإنّها لَمَعي! فجعلوا يدعون علي السارق: اَللّهـمّ اقطعْ يـدَ السارق الـذي أخَـذَها، فقال ابن مسـعود: اَللّهـمّ إن كان حَمَلَه علي أخذها حاجةٌ فبارِكْ له فيها، و إن كان حملَتْه علي الذنب جرأةٌ فاجعلْه آخِرَ ذنوبه(1).

* وكان مالك الأشتر رضوان اللّه عليه يمشـي ذاتَ يومٍ في سوق الكوفـة، و إذا بأحـد السَّوَقـة تحدّثه نفسه بالازدراء به والاسـتهزاء بزيّه – و هو لايعرف أنّه مالك – فرماه ببندقة مستخفّا به، إلاّ أنّ مالك الأشتر لـم يُعِرْه التفاتا، بل مضي مواصلاً مسيره حتّي تواري عن الأنظار، عندها قيل للسوقيّ: وَيحـك! أتعرف مَن رميت؟ قـال: لا، لـم أعرفه، عابرٌ مثل آلاف المارّة، فقيل له: إنّه مالك الـذي ترتعـد فرائص الأسـد خوفا منه، و يرتجف العدوّ من اسمه!

فهرول الرجل من ساعته راكضا خلفه؛ ليعتـذر إليه عمّا بـدر منه، إلاّ أنّ مالكا كان قـد دخل أحـد المساجـد، فلمّا وصل الرجل السوقيّ إليه وجـده قائما يصـلّي، فما انتهي مِن صـلاته حتّي انكبّ الرجل علي قـدمَي مالك، فسأله مالك: ما هذا؟! قال: أعتذر إليك عمّا صدر منّي، أنا الذي استهزأتُ بك و تجرّأتُ عليك. فقال له مالك رضوان اللّه عليه: لابأسَ عليك، فَوَاللّهِ ما دخلتُ المسجد إلاّ لأستغفرنّ لك.(2)

1- – المحجّة البيضاء 5: 322.

2- – تنبيه الخواطر 1:2.

الثناء علي العفو

أقرب للتقوي

قال تعالي:

«وأنْ تَعْفُوا أقربُ للتقوي، ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بينَكم، إنّ اللّه بِما تعملونَ بصير»(1).

جاءت الآيـةُ المباركـة في أحكام الطلاق، فإذا وقع الطلاق قبل الـدخول و قد فُرِضتْ للزوجة فريضة و سُمِّيَ المهر، فيجب تأديةُ نصف ما فُرِض مِن المهر، إلاّ أن تعفوَ المطلّقـةُ أو يعفوَ الـذي بيـده عُقـدة النكاح مِن وليّها، فيُسـقِطَ النصفَ المذكور أيضا. والعفو – علي أيّة حال – أقربُ للتقوي؛ لأنّ مَن أعرض عن حقّه الثابت شرعا، فهو علي الإعراض عمّا ليس له بحقّ من محارم اللّه تعالي أقوي و أقدر.

ثمّ قال تعالي: «ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بينَكم»، والمراد – هنا – الترغيب في الإحسان والفضل، وذلك: بالعفو عن الحقوق، والتسـهيل والتخفيف من الزوج للزوجة، و بالعكس.(2)

وفي العفو تطييبٌ للخواطر، كما له آثارٌ حسنة علي النفوس، وفيه تقريبٌ بين القلوب، و سدٌّ لأبواب الفتنة والخلاف والضغينة.

1– – البقرة 2 237.

2– – الميزان في تفسير القرآن 2:245.

وكما في الطلاق و الأموال عَفْو، كـذلك في مواقع العقوبـة يلوح العفو، بل عنـدها يُراد و يُرجي ويُطلب، فهو هنا محلّه إذا خلّف صـلاحا أو إصـلاحا، و هيّأ فرصـةً جديـدة لاسـتدراك الأخطاء والتراجع عن مواقع الخطايا، فلا ينبغي التسـرّع في العقوبـة إذا كان هنالك مجالٌ للعفو وفسـحة للمعذرة. فربّما تركت العقوبة أثرا سـيّئا و زادت الأمر سوءا، و ربّما كان العفو مُصـلحا و مربّيا.. قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إيّاك والتسرّعَ إلي العقوبة؛ فإنّه مَمْقَتةٌ عند اللّه، و مُقَرِّبٌ مِن الغير(1). وقد يندم المعاقِب.. قال الإمام الباقر عليه السلام: الندامةُ علي العفو أفضلُ و أيسرُ مِن الندامة علي العقوبة(2).

وللشيخ المجلسيّ إيضاح لطيف تحت هذا الحديث يقول فيه :

«الندامة علي العفو أفضل» يحتمل وجوها:

الأوّل: أنّ صاحب الندامة الأُولي أفضل من صاحب الندامة الثانية، و إن كانت الندامة الأُولي أخسَّ و أرذل.

الثاني: أن يكون الكلام مبنيّا علي التنزّل، أي لو كان في العفو ندامة فهي أفضل و أيسـر؛ إذْ يمكن تداركه غالبا، بخلاف الندامة علي العقوبة؛ فإنّه لايمكن تـدارك العقوبـة بعـد وقوعها غالبا، فلا تزول تلك الندامـة، فيرجع إلي أنّ العفو أفضل؛ فإنّه يمكن إزالـة نـدامته بخلاف المبادرة بالعقوبة؛ فإنّه لايمكن إزالة ندامتها و تداركها.

الثالث: أن يُقدَّرَ مُضافٌ فيهما مثل الدفع أو الرفع، أي: رفعُ تلك الندامة أيسر مِن رفع هذه.

الرابع: أن يكون المعني أنّ مجموعَ تلـك الحـالتين، أي العفو والنـدم عليه، أفضلُ مِن مجموع حالتَي العقوبـة والنـدم عليها، فلا ينافي كونُ الندم علي

1- - غرر الحكم 76.

2- - الكافي 2: 88 / ح 6 - باب العفو.

العقوبة ممدوحا، والندم علي العفو مذموما؛ إذ العفوُ أفضل من ذلك الندم، والعقوبة أقبح مِن هذا الندم.. وهذا وجهٌ وجيه(1).

آفاق سامية

والآـن.. دَعونا نعترف – أيُّها الإخوة – أنّ الناس عموما سادرون في المعاصـي، ولكنّ اللّه تعالي يَحلمُ عليهم، و يترك لهم الفرص الفسـيحة للتوبة؛ ليعفوَ عنهم و يُثيبَهم ويُدخلَهم جنّتَه، و يَشـملَهُم برحمته التي وَسِعتْ كلَّ شـيء. ونحن ندعوه جَلّ وعلا في دعاء الجوشن الكبير، فنقول :

يا مَن هُوَ علي عبادِه رحيم، يا مَن هُوَ بكلِّ شـيءٍ عليم، يا مَن هُوَ بمَن عَصاهُ حليم، يامَن هُوَ بمَن رَجاهُ كريم، يا مَن هُوَ في صُنْعِه حكيم، يا مَن هُوَ في حكمتِه لطيف، يا مَن هُوَ في لطفِه قديم.. سُبحانَك يا لا إلهَ إلاّ أنت، الغوث خَلِّصْنا مِن النارِ ياربّ. يا مَن لا يُرجي إلاّ فضلُه، يا مَن لايُسألُ إلاّ عفوُه، يا مَن لايُنظَر إلاّ بِرُّه، يا مَن لا يُخافُ إلاّ عدلُه، يا مَن لايَدومُ إلاّ مُلْكُه، يا مَن لا سـلطانَ إلاّ سـلطانُه، يا مَن وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ رحمتُه، يا مَن سبقَتْ رحمتُه غضبَه..(2).

هـذه هي أخلاـق اللّه عزّ و جـلّ مع عباده، و هو ذو الفضل العظيم، و هم العصاة ذوو الـذَّنب الجسـيم، فهل نتعلّم من أخلاق اللّه تبارك و تعالي فنؤجّل العقوبة أو نبدّلها بالعفو، فننالَ رحمةَ الباري جلّ و علا ؟! يقول الإمام عليّ عليه السلام يرشدنا:

لا تُعاجِلِ الذَّنبَ بالعقوبة، و اترُكْ بينَهما للعفو مَوضعا؛ تُحرِزْ به الأجرَ

1- – بحارالأنوار 71: 401.

2- – كتب الأدعية المعروفة، منها: البلد الأمين 404.

و المَثوبة(1). ويقول ولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام يعلّمنا: لا تعاجِلِ الذّنبَ بالعقوبة، و اجعلْ بينهما للاعتذار طريقا (2).

و كأ نّنا نفهم من هـذا الكلام الشـريف، أنّ العقوبـة العاجلة تقطع طريق الاعتذار، و تسدّ طريق الانتقال إلي مواقع التصـحيح و الصواب، و تؤخّر المخطئ عن تصحيح مواقفهِ و أفعاله.

و في تربية الأولاد.. تحذّر الشـريعة المقدّسة من التسرّع في عقوبتهم، و من الخطأ في إيقاعها؛ فإنّ العقوبة إذا شمِلتْ طفلاً بريئا أو ولدا غير مقصِّر تركتْ آثارا سـيّئةً علي نفسه و قلبه، فأحسّ بمرارة الظلم، و تعلّم الحقد و الكراهية، و مال بعقدته نحو الانتقام، و وجد الالتزام بالآداب لا يُقيَّم، فربّما تمرّد علي الأخلاق! فإذا لم يسـتطع المربّي تشخيص المخطئ، فَلْيحذَرْ مِن أن يُعاقِبَ بريئا فيظلمه مِن جهة، و يغمر المذنب المسيء بفرحةٍ تسوّل له تكرار ذنبه مِن جهةٍ أُخري، بل علي المربّي أن يعفو – أو يتظاهر بالعفو – عن الجميع و يُحذِّر من أن تتكرّر الإساءة، مُوعِدا المقصِّر بالعقوبة ليرتدعَ عنها– و إن لم يشخّصْ ذلك المقصّرَ أو المسيء.

و يكفي العفوَ شـرفا في مـديحه أ نّه ثمرةُ الإيمان و سـنده في جملة الأخلاق الحميدة.. في الرواية، قال رسول اللّه صـلي الله عليه و آله: لمّا خلَقَ اللّه ُ الإيمانَ قال: اَللّهـمّ قوِّني، فقوّاه بحُسْن الخُلق والسّخاء. ولمّا خَلقَ اللّه ُ الكفر قال: اَللّهـمّ قوِّني، فقوّاه بالبُخل و سوءِ الخُلق(3).و لا يختلف اثنـان أنّ العفو مِن حسن الخُلق، و من السـخاء المعنويّ، كما أنّ الانتقام من البخل المعنويّ و من سوء الخُلق. و يكفي في شـرف العفو أ نّه

1– – غرر الحكم 337.

2– – الدر الباهرة من الأصداف الطاهرة22.

3– – جامع السعادات 1:306، سوء الخلق بالمعني الأخصّ.

من صفات المتّقين و المحسنين، ففي نهج البلاغة لمّا قال همّام- الرجل العابد- يسأل: يا أميرالمؤمنين، صِفْ ليَ المتّقينَ حتّي كأنّي أنظر إليهم.. ثمّ ألحّ عليه، فأجابه عليه السلام فيما أجابه في حديث طويل يصف فيه المتّقي:

يعفو عمّن ظَلَمه، و يُعطي مَن حَرَمَه، و يَصِلُ مَن قَطعَه.. بعيدا فُحشُه، ليّنا قولُه، غائبا مُنكَرُه، حاضرا معروفُه، مُقبِلاً خيرُه، مُدْبِرا شَرُّه..(1).

إنّ العفو عطاء و صِلة، و خلُقٌ و رِفْق، و معروفٌ وخير، و لْنقلْ: هو من التقوي، و أيّ شرفٍ كبير للعبد أن يكون مؤمنا متّقيا ! يُحبّ الناس و يعطف عليهم، و يُسقط حقوقَه لديهم، فيكون ذا مروّةٍ و رحمة.. كذلك كان أهل بيت عليهم السلام؛ إذ يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إنّا أهل بيت.. مروّتُنا العفوُ عمّن ظَلَمَنا(2).

و إنا لَنسمعُ من لسان الروايات مدحا وثناءً علي خُلُق العفو ما نظنّ به أنّ الأخلاق الأخري ستحسده؛ فقد قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله في خطبة له: ألا أُخبركم بخير خلائق الدنيا و الآخرة؟!.. العفوُ عمّن ظَلَمَك، و تَصِلُ مَن قطَعَك، والإحسان إلي مَن أساء إليك، وإعطاءُ مَن حَرَمك(3). و في رواية أخري: قال صلي الله عليه و آله: ألا أدلُّكم علي خير أخلاق الدنيا و الآخرة؟! تَصِل مَن قطَعَك، و تُعطي مَن حَرَمك، و تعفو عمّن ظَلَمك(4).

وإذا حاولنا فهم هذا الحديث الشريف، أو فهمَ شيءٍ من معانيهالمباركة.. فإنّنا نقول: إنّ العفو خير أخلاق الدنيا؛ لأنّه يُبعد الضغائن والأحقاد، و يُقبر الفتن والمعضلات، و يخلق أجواء المحبّة والوئام، و يزرع بذور الأُخوّة، و يبدّل الحسدَ والعداوة إلي الأُلفة والمودّة، ويصلح

1- - نهج البلاغة: الخطبة 193.

2- - أمالي الصدوق 238/ح7.

3- - الكافي 2: 87/ ح1- باب العفو.

4- - الكافي 2:88 / ح 2 - باب العفو.

النفوس، و يربّي القلوب علي الخير.. هـذا فضـلاً عمّا في العفو من ثوابٍ عظيم، و عزٍّ ظاهرٍ و باطن، فهو مِن مكارم الأخلاق العالية. أمّا في الآخرة.. فالعفو يرفع الدرجات، و يصفّي ما علق بالمرء مِن أدران الدنيا، و يمهّد للدخول إلي رحمة اللّه سبحانه و تعالي.. جاء في الحديث القدسيّ الشريف:

يا أمّة محمّد(صلي الله عليه و آله)، ما كان لي قِبَلَكم فقد وهبْتُه لكم، و قد بَقِيتِ التبعات بينكم، فتوهّبوا وادخلوا الجنّة برحمتي(1).

* وجاء عن النبيّ صلي الله عليه و آله هذه الروايات الشريفة، قوله:

- ينادي منادٍ يومَ القيامة مِن بطنان العرش: ألاَ فَلْيَقُمْ كلُّ مَن أجرُه علَيّ.. فلا يقوم إلاّ مَن عفا عن أخيه(2).

- إذا كـان يومُ القيامـة نـادي منـادٍ يُسـمِع آخِرَهم كمـا يُسـمع أوّلَهم، فيقول: أين أهـلُ الفضل؟ فيقوم عنُقٌ من الناس، فتسـتقبلهم الملائكة فيقولون: مـا فضـلُكم هـذا الـذي تَردّيتُم به؟! فيقولون: كنّا يُجهَل علينا في الـدنيا فنتحمّل، و يُساء إلينا فنعفو. قال: فينادي منادٍ مِن عنـد اللّه تعالي: صدَقَ عبادي، خَلُّوا سبيلَهم ليدخلوا الجنّة بغير حساب(3).

- مَن كظمَ غيظا وهو يقـدر علي أن ينفـذه، دعاه اللّه ُيوم القيامة علي رؤوس الخلائق.. حتّي يتخيَّرَ مِن الحور ماشاء !(4){وعن الإمام عليّ بن الحسين عليهماالسلام قال: إذا كان يومُ القيامة، جمع اللّه

1- - بحارالأنوار 6:7 / ح17.

2- - بحار الأنوار 71: 403 / ح 11 - عن العُدد القويّة للشيخ رضيّ الدين عليّ الحلّيّ.

3- - أمالي الطوسيّ 1:101 - عنه: بحار الأنوار 71:419/ح48.

4- - جامع الأخبار 319 / ح 859 - الفصل الثاني والسبعون، في كظم الغيظ.

تبارك و تعالي الأوّلين والآخِرين في صـعيدٍ واحد، ثمّ ينادي منادٍ: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنُقٌ مِن الناس، فتَلقّاهمُ الملائكة فيقولون: و ما كان فضلُكم؟! فيقولون :كنّا نَصِل مَن قَطَعَنا، و نُعطي مَن حَرَمنا، و نعفو عمّن ظَلَمَنا. قال: فيُقال لهم: صدقتُم، ادخلوا الجنّة(1).

و بعـد، فـالعفو من المكـارم الرفيعـة التي لاـ يُوفَّق لهـا إلاّـ مَن أُوتيَ حظّا كبيرا مِن الإيمان والتقوي، و نال من اللّه تعالي رزقا معنويّا رفيعا، فالأخلاق أرزاق.. و هذا الشاعر يقول:

إنّي لَتُطرِبني الخلالُ كريمةً***طَرَبَ الغريبِ بأوبةٍ وتلاقي

وتَهُزّني نحوَ المروءةِ والندي***بِيضُ الشمائلِ هَزّةَ المشتاقِ

فإذا رُزِقتَ خليقةً محمودةً ***فقدِ اصطفاك مقسِّمُ الأرزاقِ

الناس.. هذا رزقُه مالٌ وذا ***علمٌ، و ذاك مكارمُ الأخلاقِ

وإذا كان للمكارم معالٍ – أيّها الإخوة الأعزّة – فإنّ العفو يسمو فيها.. قال الإمام عليّ عليه السلام: العفو تاجُ المكارم(2). و إذا كانت بعض الصـفات ينحصر شرفها في الدنيا، فإنّ العفو يشمل شرفُه الدنيا والآخرة.. يقول الإمام الصادق عليه السلام: ثلاث مِن مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمّن ظَلَمـك، و تَصِـل مَن قَطَعَـك، و تحلمُ إذا جُهِل عليك(3). و إذا كـان النـاس يفرحون ببعض مفاخر الـدنيا، فإنّ في العفو مفاخِرَ دنيويّة أجدر بالفرح بها والشـكر عليها؛ فهي تَسامٍ عن الحقد، و إحسانٌ للمسـيئين، و إصلاح لمرضي النفوس، و توجيه إلي الخير، و مجانبة للغضب والعداوة والظلم، وانتصار علي استفزازات الشيطان و وساوسه التي يزرع فيها الأحقاد في النفوس.. عن

1- – الكافي 2:88 / ح 4 – باب العفو.

2- – غرر الحكم 32.

3- – آداب النفس 2: 68.

ابن فضّال قال: سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول: ما التقتْ فئتانِ قطّ إلاّ نُصِر أعظمُهما عفوا(1).

أما الشاعر فيقول في الانتصار علي الظلم بالعفو:

و إنّي لَأسقي الشَّهْدَ صاحبيَ الذي***يكلّفُني أن أشربَ السّمَّ مُنقَعا

وعندي لصلح الجارِ – إن شاء – موضعٌ***و إن جارَ أو لم يُبق للصلح موضعا(2)

حقوق.. وعوائد

إذا كان من عوائد العفو تطييب الخواطر، وتحبيب القلوب، وإصلاح ذات البَين، وكسب مرضاة اللّه سبحانه وتعالي، فإنّ ترك العفو قد يؤدّي إلي الظلم، وتنامي روح الانتقام من الآخرين، ويوسم تاركَ العفو بالجفاء و بلادة العاطفة وقساوة القلب.. يقول الإمام عليّ صلوات اللّه عليه: قلّة العفو أقبحُ العيوب، و التسرّع إلي الانتقام أعظمُ الذنوب(3).

فما لم يُربِّ المرء نفسَه علي التسامح والعفو والصفح والتغاضي،و مقابلة الإساءة بالإحسان، فإنّ روح الانتقام ستتفاقم في نفسه، و إنّ الغضب ليلتهب فيريد أن يبلّ غليله حتّي ولو بالظلم والجور، فيعاقب خصمه بأكثر ممّا يستحقّ، و يتعامل مع إخوانه بالجفاء والمداقّة، و هذا من عيوب الأخلاق، وهو مؤدٍّ إلي الخصومة والفُرقة والتنافر، بدل الإخاء والمودّة والتقارب، والمُداقّة محذورٌ يُخاف منه ! عن حمّادبن عثمان، عن أبي عبداللّه (الصادق) عليه السلام أ نّه قال لرجل: يافلان، ما لك و لأخيك؟! قال: جُعِلتُ فداك، كان لي عليه شيء فاستقصيتُ في حقّي، فقال أبو عبداللّه عليه السلام

1- – الكافي 88 / ح 8 – باب العفو.

2- – آداب النفس 2: 68.

3- – غرر الحكم 235.

له: أخبِرْني عن قول اللّه عزّوجلّ: «ويَخافونَ سوءَ الحساب»، أتَراهُم خافوا أن يجورَ عليهم أو يَظلمَهم؟! لا ـ ولكنّهم خافوا الاستقصاءَ والمُداقّة(1).

وإذا كان المرء تاركا للعفو عن إساءة إخوانه، خلّف أثرا سيّئا في قلوب البعض، ولكنّ هذا الأثر يكون أسوأَ و أكثر ضررا إذا كان هذا المرء مسؤولاً عن الرعيّة، فتركُه للعفو يخلّف حقدا في قلوب الآلاف من الناس؛ فإنّ في الناس الجاهلَ والمتخلّف و مَن عادته الإساءة والمخالفة. و مَن تربّي تربيةً خاطئة فهو يحتاج - كأكثر الناس - إلي المداراة، و فسحِ الفرص لإصلاح حاله والتراجع عن مواقع الرذيلة.. و هذا يحتاج إلي العفو؛ و لذا يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: جمال السياسة: العدلُ في الإمرة، والعفو مع القدرة(2). ويقول سلام اللّه عليه: رأس السياسة استعمال الرِّفْق(3). فرعاية شؤون الرعيّة تستلزم العفو مرّة، والصفح أخري، والتوجيه الحافظ للكرامة، والتحبّب والتآخي، خاصّة إذا كُلِّف المرء بشؤون شعبٍ أو أمّة، ولقد كتب أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلامكتابا إلي مالك الأشتر رضوان اللّه عليه لمّا ولاّه علي مصر و أعمالها، فجاء فيه:

و أشْعِرْ قلبَك الرحمةَ للرعيّة، والمحبّةَ لهم، و اللُّطْفَ بهم، ولا تكونَنّ عليهم سَبُعا ضاريا، تغتنمُ أكْلَهم؛ فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدّين، أو نظيرٌ لك في الخَلْق.. يَفْرطُ مِنهمُ الزَّلل، و تَعرِضُ لهمُ العلل، و يُؤتي عليأيديهم في العَمْد و الخطأ، فأعطِهِم مِن عفوِك وصفحِك مِثْلَ الذي تُحبّ و تَرضي أن يُعطيَك اللّهُ مِن عفوِه و صَفْحِه؛ فإنّك فوقَهم، و والي الأمرِ عليك

1- - معاني الأخبار 246 / ح 1، والآية في سورة الرعد1321.

2- - غررالحكم 165.

3- - غرر الحكم182.

فوقَك، واللّه ُفوقَ مَن ولاّك..(1).

وفي رسالة الحقوق.. كتب الإمام عليُّ بن الحسين زين العابدين عليهماالسلام تفصيلاً للحقوق بين الناس و بارئهم تبارك وتعالي، وللحقوق فيما بينهم، جاء فيها:

وأمّا حقُّ رعيتك بالسلطان: فأنْ تعلم أنّهم صاروا رعيّتَك؛ لضعفِهم و قوّتِك، فيجب أن تَعدِلَ فيهم و تكون لهم كالوالد الرحيم، و تَغفرَ لهم جهلَهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكرَ اللّه ـعزّوجلّ علي ما آتاك من القوّة عليهم..

وأمّا حقّ الزوجة: فأن تعلم أنّ اللّه عزّوجلّ جعلَها لك سَكَنا و أُنسا، فتعلم أنّ ذلك نعمةٌ من اللّه عليك، فتُكرمها و تَرفق بها، و إنْ كان حقُّك عليها أوجب، فإنّ لها عليك أن ترحمها؛ لأنّها أسيرك، و تُطعمَها و تكسوَها، فإذا جَهِلتْ عفوتَ عنها..

وأمّا حقّ جليسك: فأن تُلينَ له جانبَك، و تُنصفَه في مجاراة اللَّفظ، و لا تقومَ من مجلسِك إلاّ بإذنه، و مَن يجلس إليك يجوز له القيامُ عنك بغير إذنك، و تنسي زلاّته، وتحفظ خيراتِه، ولا تُسْمعه إلاّ خيرا.

وأمّا حقُّ جارك: فحِفظُه غائبا، و إكرامه شاهدا، و نصرته إن كان مظلوما، ولا تتبعْ له عورة، فإن علمتَ عليه سوءً سترتَه عليه، و إن علمتَ أ نّه يقبل نصيحتَك نصحتَه فيما بينك و بينه، و لاتُسْلِمْه عند شديدة، وتقيل عثرتَه، و تغفر ذنبَه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوّة إلاّ باللّه.

وأمّا حقّ الصاحب: فأنْ تَصحبَه بالتفضّل والإنصاف، و تُكرمَه كمايكرمك، ولا تدعه يسبق إلي ملومة، فإن سبق كافيتَه، وتودّه كما يَوَدُّك،

1- - نهج البلاغة: الكتاب 53.

و تزجره فيما يهمّ مِن معصيته، و كنْ عليه رحمة، ولا تكنْ عليه عذابا، ولا قوّة إلاّ باللّه..

وأمّا حقُّ غريمك الذي يطالبك: فإن كنتَ مُوسرا أعطيتَه، وإن كنتَ مُعسِرا أرضيتَه بحُسْنِ القول، و رددتَه عن نفسك ردّا لطيفا..

وحقُّ الخصم المدّعي عليك: فإن كان ما يدّعي عليك حقّا كنتَ شاهِدَه علي نفسِك، ولم تظلمْه، و أوفيتَه حقَّه، و إن كان ما يدّعي باطلاً رَفقتَ به، ولم تأتِ في أمرِه غيرَ الرِّفق، ولم تُسخِطْ ربَّك في أمره، ولا قوّة إلاّ باللّه.

و حقُّ خصمك الذي تدّعي عليه: إنْ كنتَ مُحِقّا في دعوتك أجملتَ مقاولتَه، ولم تجحدْ حقَّه، و إن كنتَ مُبطِلاً في دعوتك اتّقيتَ اللّه عزّوجلّ وتُبتَ إليه، و تركتَ الدعوي..

وحقُّ المشير عليك: أن لا تتّهمَه فيما لايوافقك مِن رأيه، فإن وافقك حَمِدتَ اللّه عزّوجلّ.

وحقُّ المستنصح:أن تُؤدّيَ إليه النصيحة، وليكنْ مذهبك الرحمةَ له والرفق به.

وحقُّ الناصح: أن تُلين له جَناحَك، و تُصغيَ إليه بسمعك، فإنْ أتي الصوابَ حَمِدتَ اللّه عزّوجلّ، و إن لم يوافقْ رَحِمْتَه، ولم تتّهِمْه وعلمتَ أنّه أخطأ ولم تُؤاخذه بذلك؛ إلاّ أن يكون مستحقّا للتهمة، فلا تعبأْ لشيءٍ من أمره علي حال، ولا قوّة إلاّ باللّه.

وحقُّ الكبير: توقيرُه لِسِنّه، و إجلاله لتقدّمه في الإسلام قَبلَك، و تركُ مقابلته عند الخصام، و لا تسبقْه إلي طريق، ولا تتقدّمْه ولا تستجهِلْه، وإن جَهِل عليك احتملتَه و أكرْمتَه؛ لِحقِّ الإسلام و حُرْمته.

وحقُّ الصغير: رحمتُه في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرِّفقُ به

والمعونة له..

وحقُّ مَن ساءك: أن تعفوَ عنه، و إن علمتَ أنّ العفوَ عنه يضـرُّ انتصـرتَ.. قال اللّهُ تبارك و تعالي: «ولَمَنِ انتصَرَ بعدَ ظُلْمِه فأُولئك ما عليهِم مِن سبيل»(1).

وحقُّ أهل ملّتك: إضـمار السـلامةِ والرحمة لهم، والرفقُ بمسيئهم، و تألّفُهم واستصلاحهم، و شكرُ مُحسنهم، و كفُّ الأذي عنهم، وتحبُّ لهم ما تحبُّ لنفسك، و تكره لهم ما تكره لنفسك، و أن يكون شـيوخُهم بمنزلـة أبيك، و شـبابهم بمنزلـة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أُمّك، و الصغار بمنزلة أولادك.

وحقُّ أهل الذمّة: أن تَقبلَ منهم ما قَبِل اللّهُ عزّوجلّ، ولا تظلمْهم ما وَفَوا للّهِ عزّوجلّ بعهده(2).

فَلْننظرْ – أيُّها الإخوة الأعزّة – كم أخذ العفو والصـفح والمغفرة والإغضاء والمسامحة والرفق.. مِن مساحةٍ في لائحة الحقوق الإنسانيّة، و كم له مِن موقعٍ يحلّ المشكلات والمعضلات، ويطيّب الأجواء الفرديّة والأُسريّة والاجتماعيّة.

ومع الأرحام أيضا.. يُراد العفو و يُطلَب، وإلاّ فإنّ هذه الصـلة المقدّسة الواجبة سرعانما تنقطع، و يحلّ الجفاء عوض المحبّة، والقطيعة بدلَ الصِّلـة، والكراهيـة مكان المحبّة، فمَن الذي لايخطأ أو لايسـيء؟! فإذا كنّا أهلَ خطأ و إساءة، كان العفو هوالذي يُصـلح حالَنا، وفيه سـلامة أنفسنا و سلامة

1- – الشوري 42 41.

2- – الخصال 567 – 570 / ح 1 – باب الخمسين؛ تحف العقول 187 – 195.. و غيرهما.

روابطنا، و سلامة دنيانا و آخرتنا. والعشيرة جناح المرء، به يطير ويقوي.. وقد كان من وصايا أميرالمؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام أن قال له: و أكْرِمْ عشيرتَك؛ فإنّهم جَناحُك الذي به تطير، و أصلُك الذي إليه تصير، و يدُك التي بها تَصول(1).

و من الكرم بمكان.. أن يُحسنَ المرء إلي مَن أساء إليه مِن عشيرته، أو أن يصلَ مَن قطَعَه، و يعفوَ عمّن ظلَمَه منهم، حتّي يَحفظَ صلة الرَّحِم.. وهذا أحد الشعراء يقول مفتخرا:

و إنّ الذي بيني و بين بني أبي***وبين بني أُمّي لمُختلفٌ جِدّا

فإنْ جَزروا لحمي وَفَرْتُ لحومَهم***وإن هدّموا مجدي بَنيتُ لهم مَجْدا

ولا أحمل الحقدَ القديمَ عليهمُ***وليس كريمُ القوم مَن يحملُ الحقدا

لهم جُلُّ مالي إن تتابعَ لي غِنيً***وإن قلّ مالي لا أُكلّفُهم رِفْدا

وفّقنا اللّه تعالي إلي خلُق العفو مع إخواننا وأرحامنا، و رزَقَنا الصفحَ عن المخطئين والمسيئين، إنّه أرحمُ الراحمين، والحمد للّه ربّ العالمين، و صلّي اللّه علي حبيبه المصطفي سيّدِ العافين، وعلي آلهِ الطيّبين الطاهرين.

1- - نهج البلاغة: الكتاب 31.

الأمر بالعفو

بين الأنانيّة والغَيريّة

قال تعالي:

«ولا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنكُم والسَّعةِ أن يُؤْتُوا أُولي القُربي والمساكينَ والمهاجرينَ في سبيلِ اللّه ِ وَلْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا، ألاَ تُحبُّونَ أن يَغفِرَ اللّه ُ لكم، واللّه ُ غَفُورٌ رَحيم»(1) صَدَق اللّه العليُّ العظيم.

إنّ اللّه تبارك و تعالي لم يترك أمرا فيه عائدةٌ طيّبة علي العباد، إلاّ و دعاهم إليه و شوّقهم فيه، و كتب لهم به الثوابَ الجزيل، والعطاء الفضيل.. فضلاً عمّا ينالهم من ذلك الأمر مِن منافعَ دُنيويّة وعوائدَ محمودة.

والعفو هو إسقاط ما يستحقّه المرءُ من القِصاص أو الغرامة، وهو خُلُقٌ يعود علي صاحبه بمحبّة الناس واحترامهم وإكبارهم. وقد دعا سبحانه وتعالي عبادَه إلي هذا الخُلق الكريم، و أمرَهم به، فقال جَلّ وعلا: «وَلْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا»، يريد عزّوجلّ أن لايقصّر أولو الفضل والسَّعة – أي الأغنياء – في إيتاء أُولي القرابة والمساكين و المهاجرين في سبيل اللّه مِن مالِهم، و أن لايتركوا إيتاءَهم؛ لحلفٍ علي خلافٍ ما، بل ليعفوا عنهم ولْيصفحوا.ثمّ حرّضهم سبحانه و تعالي بقوله:«ألاَ تُحبّون أن يَغفرَ اللّه ُ لكُم، واللّه ُ غفورٌ

1- - النور 24 22.

رحيم»، و هـذا تـذكير عجيب، فالمرء يريد لنفسه ما لايريد لإخوانه، ويطالب غيرَه بما لا يطالب به نفسه، فمَن مِنّا لا يحبّ أن يغفرَ اللّه له؟! ليس مِن أحـدٍ عاقلٍ لايريد مغفرةَ ربِّه، إذن لماذا لانغفرُ لإخواننا ونحن عصَـينا اللّه - تعالي و رَجَونا عفوه، وهم قد أساؤوا إلينا فيرجون عفوَنا و مسامحتَنا؟! لماذا لانطلب عن إخواننا عفوَ اللّه عنّا؟! لماذا لايكون بيننا من التسامح والتصافح والتغافر ما ننال به صـفح اللّه تعالي عنا، وعفوَه وغفرانه؟!

ثمّ ذكّرنـا سـبحانه و تعـالي بـأمرٍ نتناسـاه فقـال: «واللّه غفورٌ رحيم»، فلْنطمئنَّ إلي أنّ مرجعَنـا سـيكون إلي الغفور الرحيم، وفي ذلك نجاة للمؤمن. إذن، فلْنُحسِنِ الظنَّ بـاللّه تبـارك وتعـالي أوّلاً وثانيـا لنتعلّمْ مِن أخلاق اللّه جلّ و علا ما ننجو به يومَ القيامـة ونفوز بعفوه.. يقول الإمـام الصادق عليه السـلام: اعفُ عمّن ظَلَمك، كما أنّك تُحبّ أن يُعفي عنك، فاعتبرْ بعفو اللّه عنك(1). اللّهمّ اعفُ عنّا ياربّ، و اجعلْ عفوَنا عن عبادك سبيلاً إلي نَيل عفوك، يا أرحم الراحمين.

إنّ العفو خلُقٌ ممـدوح و محمود، و هو من الخصال الكريمـة والطباع الطيّبـة والصـفات الشـريفة.. خاصّةً إذا كان مقترنا بالقدرة؛ فإنّ لكلِّ شيءٍ زكـاة، فإذا كان علي الأموال زكاة معلومـة - كما في قوله تعالي: «والـذينَ في أموالِهم حقٌّ معلوم * للسائل والمحروم»(2) - ، و علي الأبـدان زكاة - كما قال تعالي «كُتِب عليكُم الصـيامُ كما كُتب علي الذين مِن قبلكم»(3)، وكما قالالنبيّ صـلي الله عليه و آله: لكلِّ شيءٍ زكاة، و زكاةُ الأبدان الصيام(4) - ، و علي العلم زكاة - كما قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ لكلّ شيءٍ زكاة، و زكاة العلم أن يعلّمه

1- - تحف العقول 225.

2- - المعارج 70 24.

3- - البقرة 2 183.

4- - بحارالأنوار 96: 246.

أهلَه(1) – ، فـإنّ علي القـدرة والتمكّن زكـاةً كـذلك.. يقول أميرالمؤمنين عليه السـلام في عرضه للزكوات: زكـاة الجَمال: العفاف(2). زكاة اليسـار: بِرُّ الجيران، وصـله الأرحام.(3) زكاة الصـحّة: السـعيُ في طاعـة اللّه (4). زكـاة النِّعَم: اصـطناع المعروف(5). زكاه العلم: بـذلُه لمسـتحِقِّه، و إجهـاد النفس في العمل به.(6) لكـلِّ شـيءٍ زكاة، وز كاة العقل: احتمالُ الجهّال(7). زكاة البدن: الجهاد والصـيام(8). زكاة القدرة: الإنصاف(9). زكاة الظفر الإحسان(10). العفو زكاة الظفر(11).

وفي أداء الزكاة تطهير للنفس من الحقد، و إيقاظٌ للعقل والضـمير..فالمؤمن ساعٍ إلي الإصـلاح لا إلي الانتقام من الآخرين، و إنما يشـهر – أحيانـا – سـيفه ليردع به البغـاة والمفسـدين، أو ليـدافع عن حرمـات اللّه و عنالأنفس البريئـة، فإذا نكص العـدوّ وأراد أن يؤوب إلي رشـده، وانصرف عن عدوانه، فالعفو سبيل الإصلاح، وقد يكون مأنَسَ النفوس و داعيها إلي المحبّة والأُلفة بدل الخصام والبغضاء.

بين التكليف والاقتداء

العفو أمرٌ شـرعيّ.. لاندري لماذا نتخلّف عنه و نحن لا نتخلّف عن أمر اللّه تعالي في الصـلاةِ والزكاة والصوم والحجّ، وغيرها من الأحكام؟! أليست الأخلاق من الأوامر الشرعيّة، و مِن الواجبات التي أمرَ اللّه سبحانه

1- – تحف العقول 269.

2- – غرر الحكم 188.

3- – غررالحكم 188.

4- – غررالحكم 188.

5- – غررالحكم 188.

6- – غررالحكم 188.

7- – غررالحكم 251.

8- – غررالحكم 188.

9- – غررالحكم 188.

10- – غررالحكم 188.

11- – نهج البلاغة: الحكمة 211.

عبادَه بأدائها؟! لماذا نُسرع إلي الصلوات و نعتبرها عبادةً واجبة، ونتخلّف عن الوظائف الأخلاقيّة ولا نلتفتُ إلي أنّها عبادات واجبة أيضا؟! ثمّ أين نحن من الآيات التي تأمرنا بالعفو والوصايا الشـريفة؟! و أين حكمُ العقل إذا وُجِدت الوصايا الإلهيّة تصدرُ إلي الأنبياء والمرسلين (علي نبيّنا و آله وعليهم صـلوات اللّه أجمعين) تأمرهم بالعفو، و تدعوهم إلي مداراة الناس، و ترشدهم إلي الصـفح والتسامح والتآخي والمودّة؟! أليس في هـذا عِبرةٌ لنا ودعوةٌ يؤيّـدها العقل، فنأتمر بما ائتُمِر به الأنبياء والمرسـلون عليهم السـلام، والأئمـة الهادون المهديّون (سـلام اللّه عليهم)، و أن نتأسّي و نقتدي بسيرتهم الشريفة (صلوات اللّه عليهم).

قال النبيّ صـلي الله عليه و آله: أوصاني ربّي بسـبع: أوصاني بالإخلاص في السـرّ والعلانية، و أن أعفوَ عمّن ظلَمَني، و أُعطيَ مَن حَرَمني، و أصِلَ مَن قطَعَني، و أن يكون صمتي فِكْرا، و نظري عِبَرا(1).

* و قال صلوات اللّه عليه و آله: عليكم بالعفو؛ فإنّ العفو لايَزيد العبدَ إلاّ عِزّا، فَتعافُوا يُعزَّكمُ اللّه (2).

وهذا أمرٌ نبويٌّ صـريح، فإن كنّا نؤمن برسول اللّه صلي الله عليه و آله كان أَولي بنا أن نمتثلَ أمرَه، و هو القائل: عليكم بمكارم الأخلاق؛ فإنّ ربّي بعثني بها، و إنّ مِن مكارم الأخلاق: أن يعفوَ الرجلُ عمّن ظَلَمه، و يُعطيَ مَن حَرَمه، و يَصِلَ مَن قطَعَه، و أن يعودَ مَن لايعودُه(3).وهذا تشويق لنا؛ حيث العفو مكرمةٌ خُلُقيّة ينال شرفَها العبد إن تحلّي بها، و هي عِزٌّ إلهيّ يتَّصف به العافي، و ليس العفو تنازلاً أو مذلّة - كما

1- - كنز الفوائد للكراجكيّ 2:11.

2- - وسائل الشيعة للحرّ العاملي 8: 519.

3- - وسائل الشيعة 8:521.

يتوهّمه البعض - .

* مِن كلام للإمام عليٍّ عليه السلام قاله قبل شهادته علي سبيل الوصيّة لمّا ضربه ابن ملجم (لعنه اللّه):

أنا بالأمسِ صاحبُكم، و اليومَ عِبرةٌ لكم، و غـدا مُفارِقُكم. إن أبْقَ فأنا وليُّ دمي، و إن أفْنَ فالفَناء ميعادي، و إنْ أعفُ فالعفوُ لي قُربـة وهو لكم حسنة، فاعفوا.. «ألاَ تُحبّون أن يغفرَ اللّه ُلكُم» !(1)

والمؤمن يشـعر أنّ الآـخرين محتـاجون إلي العفو كما هو محتاج إلي ذلك العفو يوما ما، و يعلم أ نّه يخطأ كثيرا و يحبّ من الناس أن يعفوا عنه، كذلك ينبغي أن يعفوَ هو عنهم إذا أخطأوا يوما ما معه، و ربّما كان عفوُه عنهم سببا لعفوهم عنه.

وهكذا تمضي الحياة تسامحا و إخاءا، ومحبّةً وصفاءا، فالعِشرة مع الإخوة، والتلاقي مع الناس.. يُراد لهما صبرٌ و تحمّل، فإذا صادَفَنا مسيءٌ عفَوْنا، و إذا قابَلَنا سفيهٌ صَبَرنا، و إذا واجَهَنا مِن الناس مَن يظلمنا و كَلْناه إلي اللّه عزّوجلّ، و صفَحْنا عمّن يُرجي صلاحه.

* جاء في الرواية عن أحمد بن الحسين، عن أبيه قال: أُحضِرنا مجلسَ الرضا عليه السلامفشكا رجلٌ أخاه، فأنشأ عليه السلام يقول:

اعذُرْ أخاك علي ذنوبِهْ***واستُرْ وغَطِّ علي عُيوبِهْ

واصبرْ علي بهتِ السفيه***وللزمانِ علي خُطوبِهْ

ودَعِ الجوابَ تفضّلاً***وكِلِ الظلومَ إلي حسيبِهْ(2)

وحثّي الشعراء جري علي ألسنتهم أنّ من لوازم الحفاظ علي الأُخوّة أن

1- - نهج البلاغة: الكتاب 23، والآية في سورة النور 24 22.

2- - عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 176 - 177 / ح 4 - الباب 43.

يسود العفوُ بين الإخوان، و أن يتذكّروا مابينهم من الصنائع الطيّبة والفضل والمودّة فيما مضي.. يقول أحد الأدباء:

سامحْ أخاكَ إذا خَلَطْ***منه الإصابةَ بالغَلَطْ

و تجافَ عن تعنيفِهِ***إنْ زاغَ يوما أو سَقَطْ

واحفَظْ صنيعَك عندَهُ***شَكَرَ الصنيعةَ أو غَمَطْ

وأطِعْه إنْ عاصي وهُنْ***إنْ عزّ و ادْنُ إذْ شَحَطْ

وأْتِ الوفاءَ ولو أخَلّ***بِما اشترطتَ و مااشترَطْ

واعلم بأنّك إن طَلَبْت***مهذَّبا.. رُمتَ الشَّطَطْ

مَن ذا الذي ما ساء قَطّ***ومَن له الحُسني فقطْ؟!(1)

و من العفو – أيّها الإخوة – أن نقبل عـذرَ مَن جاء إلينا يعتـذر عمّا بـدا منه من الإساءة والظلم والخطأ، ففي قبول العـذر كرامةٌ لنا و شـرف و فضيلة، وللمعتذر حفظٌ لكرامته و إيجاد للفرصة المناسبة لأن يتراجع عن خطأه و يؤوب إلي رشده و يُصلح ما كان أفسد، و يُعيد الأُخوّة بعد ذلك إلي مسارها الأوّل.. و إلي ذلك دعا الإسلام:

* قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إقْبَلُوا العذرَ مِن كلّ متنصِّل.. مُحِقّا كان أو مُبطِلاً، و مَن لم يقبلِ العذر منه فلا نالَتْه شفاعتي(2).

وما أحوجَنا – أيُّها الإخوة – إلي شفاعة المصطفي صلي الله عليه و آله في ذلك اليوم العسير!

* وجاء عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام قوله: لايعتذرْ

1– – جواهر الأدب للسيّد أحمد الهاشميّ 698.. والقصيدة للحريريّ ت 516 ه .

2– – مشكاة الأنوار لأبي الفضل عليّ الطبرسيّ 229 – الفصل الثالث من الباب الخامس.

إليك أحدٌ إلاّ قَبِلتَ عُذرَه، و إن علمتَ أنّه كاذب(1).

* وقوله سلام اللّه عليه أيضا: إن شتَمَك رجلٌ عن يمينك، ثمّ تحوّلَ إلي يسارك فاعتذرَ إليك.. فاقبلْ منه(2).

وهذا يُراد له: حِلمٌ و صبر، وتمالك للنفس عن الغضب والانتقام، و ترفّعٌ عن مقابلة الشتم بالشتم، و سعةُ صدرٍ عن تقبّل الاعتذار.

* و مثل ذلك أوصي به الإمام موسي الكاظم عليه السلام.. قال عبدالعزيز الجنابذيّ: رُوي أنّ موسي بن جعفر عليهماالسلام أحضر وُلْدَه فقال لهم: يا بَنيّ إنّي مُوصيكم بوصيّة، فمَن حَفِظَها لم يضعْ معها، إن أتاكم آتٍ فأسمَعَكم في الأُذنِ اليمني مكروها، ثمّ تَحَوّل إلي الأُذُن اليسري فاعتذر و قال: لم أقُلْ شيئا ! فاقْبلُوا عُذْرَه(3).

وهذا يحتاج إلي قلبٍ خالٍ من الحقد، و ضميرٍ يحبّ الصلاح للناس، و عقلٍ يهتدي بوصايا الرسل والأنبياء والأئمّة (صوات اللّه عليهم أجمعين).. وقد يستدعي العفو السامي مقابلةَ الإساءة بالإحسان، أبِهذا أُمِرْنا أيضا؟!

* قال أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام موصيا: صافحْ عدوَّك و إن كَرِه؛ فإنّه ممّا أمَرَ اللّهُ عزّوجلّ به عباده، يقول: «إدفعْ بالّتي هيَ أحسنُ فإذا الّذي بينك و بينَه عداوةٌ كأنّه وَليٌّ حميم * و ما يُلقّاها إلاّ الّذينَ صَبَروا و ما يُلقّاها إلاّ ذُو حَظٍّ عظيم»(4).وهكذا يترفّع العبد عن الحقد والضغينة، و عن الانتقام الذي يُعرَّف بأنّه

1- - الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة 26.

2- - مشكاة الأنوار229 - الفصل الثالث من الباب الخامس.

3- - كشف الغمّة 3:12.

4- - الخصال 633 / ح 10 - باب الأربعمائة.

المقابلـة بمثل ما فعَلَ المسـيء أو بالأزيـد منه – وإنْ كان محرَّما ممنوعا من الشـريعة – ، وهو من نتائج الغضب؛ إذْ كلَّ انتقام بهذا المعني ليس جائزا، فلا يجوز مقابلـةُ الغِيبـةِ بالغيبـة، والفحش بالفحش، و البهتانِ بالبهتان، وهكـذا في سائر المحرَّمات..(1)قال الإمام الباقر عليه السـلام يوصـي جابرَ بن يزيد الجُعفيّ: أوصـيك بخَمس: إنْ ظُلِمتَ فلا تظلمْ، و إنْ خانوك فلا تَخُن، و إن كُذِّبْتَ فلا تَغضب، و إنْ مُدِحتَ فلا تفرح، و إنْ ذُمِمتَ فلا تجزع. و فكِّرْ فيما قيل فيك.. فإن عَرَفتَ مِن نفسك ما قيل فيك، فسـقوطُك مِن عين اللّه جلّ وعزّ عند غضبك من الحقّ أعظمُ عليـك مصـيبةً ممّـا خِفْتَ مِن سـقوطك مِن أعين النـاس، و إن كنتَ علي خلاف ماقيل فيك، فثوابٌ اكتسـبتَه مِن غير أن يَتعبَ بدنُك(2).

1- – جامع السعادات 1: 299.

2- – تحف العقول 206.

مذمّة ترك العفو

اشارة

بِسْمِ اللّه الرَّحمن الرَّحيم: «وسـارِعُوا إلي مغفرةٍ مِن ربِّكُم وجَنّـةٍ عَرضُـها السَّمـاواتُ والأـرضُ أُعِـدَّتْ لِلمتّقين * الّـذينَ يُنفِقُونَ في السـرَّاءِ والضَّرّاءِ والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عنِ الناسِ واللّه ُيُحبّ المحسنين»(1) صَدَقَ اللّه العليُّالعظيم.

مخاطر معنويّة

أقـلُّ مـا يُقـال في ترك العفو عن الإخوان أ نّه إذلالٌ لهم، واللّه تعالي حينما يقـدّم النموذجَ المثاليّ للمؤمنين يقول في كتابه الحكيم: «يا أيُّها الذينَ آمنوا مَن يرتدَّ منكم عن دِينه فسوف يأتي اللّه ُبقومٍ يُحبُّهم و يُحبُّونه أذلّةٍ علَي المؤمنينَ أعزّةٍ علَي الكافرين..»(2).

وهاتان الصـفتان: أذلّة، و أعزّة.. كنايتان عن خفضـهِمُ الجَناحَ للمؤمنين؛ تعظيما للّه الذي هو وليُّهم وهم أولياؤه، و عن ترفّعهم من الاعتناء بمـا عنـد الكـافرين من العِزّة الكاذبـة التي لايَعبـأ بأمرِهـا الـدِّين. وقيل: لعلّ تعديـة «أذلّـة». بحرف الجرّ «علي» لتضـمينه معني الحنان أو الحنُوّ(3). فالمؤمن علي

1- - آل عمران 3 133 - 134.

2- - المائدة 5 45.

3- - الميزان في تفسير القرآن 5:384.

أخيه المؤمن عطوفٌ ذليل، وهذا يستدعي أن يكون معه رحيما عفوّا، و في ذلك إعزاز له، و حرصٌ علي الارتباط الأخويّ به.

أمّا ترك العفو.. فهو تهديد للأُخوّة المعقودة بين المؤمنين، في حين نقرأ في كتاب اللّه العزيز قولَه تبارك شأنُه: «إنّما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلِحُوا بين أخَوَيكُم واتّقُوا اللّه لعلّكم تُرحَمون»(1). و الصلح يستدعي العفو والتنازل بين الإخوة، لترتفع بينهما الكدورة، فلوجودِ الأُخوّة بين المؤمنين يجب أن يكون بينهم صلحٌ وعفو، وفي الصلح والعفو رحماتٌ هابطة من اللّه الغفور الرحيم الذي نرجو عفوه و نخشي عقابه، فلكَيْ نحظي بما نرجو ونأمنَ ممّا نخشي و نحذر، علينا أن نتحلّي بأخلاق اللّه جلّ وعلا في العفو عن إخواننا، وقد نبّهنا تبارك وتعالي بقوله: «سارِعوا إلي مغفرةٍ مِن ربِّكم و جنّةٍ عَرضُها السماواتُ والأرض»، بعدها قال عزّ مِن قائل: «أُعِدّتْ للمتّقين»، ثمّ بيّن اللّه جلّت رحمته بعضَ صفات المتّقين بنصّه الشريف: «الذينَ يُنفقونَ في السرّاءِ والضرّاءِ والكاظمينَ الغَيظَ والعافينَ عنِ الناس».. فمَن كظمَ غيظه بعد حزنٍ أو غضب و قمَع هيجانَ طبعه للانتقام، وعفا عن الناس، كان قد تخلّق بشيءٍ من أخلاق المتّقين، و اقترب من صفات المحسنين، و اللّهُ تعالي يُحبّ المحسنين، و كفي بالمؤمن شرفا و كرامةً أن يُحبَّه اللّه جلّت رأفته، فمَن أحبّه اللّهُ تعالي كان مِن الفائزين، و ذلك يُنال بأسبابٍ منها العفو عن المسيئين.

و إذا كان العفو ممدوحا، و موصوفا بالإحسان، فإنّ تَركَه أمرٌ مذموم، إذهو من العيوب الأخلاقيّة التي تشير إلي حبّ الانتقام و إلي كراهية الناس.. يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: قلّة العفوِ أقبحُ العيوب، و التسرّعُ إلي الانتقام أعظم

1- - الحجرات 49 10.

الذنوب(1). هذه قلّة العفو، فكيف بترك العفو؟! يقول الإمام عليّ سلام اللّه عليه: شرُّ الناس مَن لايعفو عن الزلّة، ولا يَستر العَورة(2).

ونتساءل: مَن مِنّا يرضي لنفسه أن يُوسَم ب- «شرّ الناس»؟! لا أحدَ عاقلاً يرضي بذلك، ولكنّ النفوس إذا طُبعت علي بعض الشرور تهمّ بالانتقام قبل أن تفكّر بالصلح، و تحبّ عقاب الآخرين بدلَ العفو عنهم، فما علي المؤمن إلاّ أن يجاهد نفسه في ذلك.. يردعها مرّةً عن الشرّ والسُّوء، و يحبّب إلي قلبه العفوَ والصفح والصلح مرّةً أخري، و يبغّض إليهما الانتقامَ وتَرْكَ العفو، ويرغّبُ روحَه إلي الخُلق الإلهيّ الكريم مرّةً ثالثة. وإلاّ، فإنّ النفس إن تُرِكت وأهواءَها مالتْ إلي الشرور..يقول رسول اللّه صلي الله عليه و آله: تكلّفُوا فعلَ الخير، وجاهدوا نفوسَكم عليه؛ فإنّ الشرَّ مطبوعٌ عليه الإنسان(3)، ويقول أميرالمؤمنين عليه السلام: الشرُّ كامنٌ في طبيعةِ كلِّ أحد، فإن غَلَبه صاحبُه بَطَن، و إن لم يَغْلِبْه ظَهَر(4)، و يقول صلوات اللّه عليه أيضا: النفسُ مجبولة علي سوء الأدب، والعبد مأمورٌ بملازمة حُسنِ الأدب، والنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يَجهد بردِّها عن سوء المُطالبة، فمتي أطلقعنانَها فهو شريكٌ في فسادها، و مَن أعان نفسَه في هوي نفسِه فقد أشرك في قتلِ نفسِه(5).

فإذا كانت النفس تميل إلي سوء الأدب و تجري بطبعها في ميدان المخالفة، فينبغي أن نجهد بِردّ نفوسنا عن السوء، ففي مُماشاتها فسادُها وعونٌ علي إهلاكها.

1- - غرر الحكم 235.

2- - غرر الحكم 197.

3- - تنبيه الخواطر 360.

4- - غرر الحكم 59.

5- - مستدرك الوسائل 3 : 270.

وترك العفو مُخبِرٌ عن عـدم الاعتزاز بالأخوّة الإيمانيّـة في اللّه تعالي؛ لأنّه مؤدٍّ يوما ما إلي الفراق لأقلّ اختلاف أو إساءة، بل ترك العفو مُخبِر عن إذلال المؤمن المخطئ، وهـذا من الآثام المخيفة؛ لقول الإمام جعفرالصادق عليه السـلام: قال اللّه عزّوجلّ: لِيَأْذَنْ بحربٍ منّي مَن أذلّ عبديَ المؤمن(1)، و لقوله عليه السـلامأيضا: نزل جبرئيل علي النبيّ صـلي الله عليه و آله فقال: يا محمّـد، إنّ ربّك يقول: مَن أهان عبـديَ المؤمنَ فقد استقبلني بالمحاربة !(2)

وربّما كانت العقوبـة – في بعض الأحيان – إهانةً للمؤمن و كسـرا لقلبه، لاسـيّما إذا كان في موقعٍ يحتاج إلي مَن ينقذُه مِن حَرَجِه بالعفو، و إلي مَن يُكرمَه بحفظِ ماء وجهه بالصـفح، وقد سُئل الإمام الصادق سلام اللّه عليه عن قول اللّه تبارك شأنه: «فاصفَحِ الصَّفْحَ الجميل»، فقال معرّفا له: عفوا مِن غير عقوبةٍ ولا تعنيفٍ ولا عتب(3).

رُبّ يومٍ نطلب العفو!

نحن إذْ نري مَن يحتاج إلي العفو، يجب أن نعلم أنّنا ربّما سنكون أحوجَ مانكون إلي عفو الآخرين، ثمّ سنكون في أمسّ الحاجة إلي عفو ربّنا جلّ وعلا حين نُقْبل عليه بسوء أعمالنا و سيّئات أفعالنا، و كثرة ذنوبنا وخطايانا. إذن، فَلْنَعفُ عن إخواننا، عسي اللّه أن يعفوَ عنّا، و ذاك رجاءٌ عزيز.. يقول الإمام عليّ ابن الحسـين زين العابـدين عليه السـلام في دعاء الاسـتعاذةمناجيا: يا مَفْزَعي إذا أعْيَتْني الحِيل، يا مَن عفوُه منتهي الأمل، وفّقْني لخيرِ

1- – ثواب الأعمال و عقاب الأعمال 238.

2- – كتاب المؤمن 32 / ح 61.

3- – إعلام الدين 307، والآية في سورة الحجر 15 85.

القول والعمل(1).

والأخلاق العليا ما كانت مقتبَسةً من أخلاق اللّه جلّ جلاله، و من أخلاق رسول اللّه و أهل بيت الرسالة صلوات اللّه عليه و عليهم.. وقد كان من أخلاقهم: العفوُ عند المقدرة؛ يقول أميرالمؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: يا بُنيّ، نحن أهلُ بيتٍ لانزداد علي الذنب إلينا إلاّ كرما وعفوا(2).

ولو لم يكن ترك العفو مذموما، لما جاءت الأخبار تنهي عن التشدّد مع الإخوان، و عن المُداقّة معهم، وعدمِ التسامح معهم.. يأتي رجلٌ إلي الإمام الصادق عليه السلام، فيسأله الإمام: يا فلان، ما لك ولأخيك؟ فيجيبه: جُعِلتُ فداك، كان لي عليه شيء فاستقصيتُ في حقّي، فيسأله الإمام سلام اللّه عليه: أخبِرْني عن قول اللّه عزّوجلّ «و يَخافونَ سُوءَ الحساب»، أتَراهُم خافوا أن يجورَ عليهم أو يَظلمَهم؟! لا، ولكنّهم خافوا الاستقصاءَ والمُداقّة(3).

نعم، فالتشديد والتعسير والحساب الدقيق.. أمورٌ من شأنها الإحراج والنُّفرة، في حين أنّ مِن أخلاق المؤمن التسامحَ والعفو وقبولَ العذر، وإلاّ كانت النتيجة إهانةَ المسيء وقطعَ صلة الأخوّة، فاذا ساء الأمر خُلِقتْ أجواء الضغينة والحقد والعداوة والبغضاء، فيرجع المعتذر منكسرَ الخاطر مألوم النفس مُهانَ الكرامة، ويرجع الرافضُ لعذر أخيه موسوما بِسِمة «شرّ الناس»؛ لقول النبيّ صلي الله عليه و آله: ألاَ أُنبّئكُم بِشرّ الناس؟ قالوا: بلي يا رسول اللّه، قال: مَن أبغَضَ الناس و أبغَضَه الناس. ثمّ قال صلي الله عليه و آله: ألا أُنبّئكُم بشرٍّ مِن هذا ؟قالوا: بلي يا رسول اللّه، قال: الذي لا يُقيل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر

1- - الصحيفة السجّاديّة الخامسة 73، الدعاء 20.

2- - بحارالأنوار42: 287 - الباب 127 كيفيّة شهادته ووصيّته عليه السلام.

3- - معاني الأخبار 246 / ح 1، والآية في سورة الرعد 13 21.

ذَنْبا، ثمّ ألا أَنبّئكُم بشرٍّ مِن هذا ؟ قالوا: بلي يا رسول اللّه، قال: مَن لا يُؤمَن شرُّه، ولا يُرجي خيرُه(1). و من الشرّ: المُداقّة و ترك العفو ورفض الاعتذار، كما مِن الخير: العفو و قبول المعذرة وإقالة العثرة و مغفرة أخطاء الإخوان.

غفلة.. أو تغافل!

لا ندري.. لماذا التدقيق في سلوك الآخرين، حتّي يُصبح البعض لايقبل العذر فيكونَ شرَّ الناس؛ لقول الإمام عليّ عليه السلام: شرُّ الناس مَن لايقبل العذر، ولا يُقيل الذَّنْب.(2) كما لاندري.. لماذا نحاسبُ الناس دائما ولا نحاسب أنفسَنا، أو نحاسب أنفسنا أقلَّ وألين ممّا نحاسب الآخرين، و نحبّ أن يُعفي عنّا ولا نحبُّ لغيرنا أن يُعفي عنهم؟! لنتأمّلْ فيما أوصي به الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ولدَه الحسنَ المجتبي عليه السلام، حيث قال له: يا بُنيّ اجعلْ نفسَك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فأحبِبْ لغيرك ما تُحبّ لنفسِك، و اكرهْ له ما تكره لها، ولا تَظلِمْ كما لاتُحبّ أن تُظلَم، و أحسِنْ كما تُحبّ أن يُحسَنَ إليك، واستقبحْ مِن نفسِك ماتستقبحه مِن غيرك، و ارضَ مِن الناس بما تَرضاه لهم مِن نفسِك، ولا تَقُلْ مالاتعلم وإنْ قَلَّ ما تَعلم، ولا تَقُلْ مالا تُحبّ أن يُقال لك(3). ثمّ لاندري.. لماذا نُحصيعلي الناس عيوبهم و أخطاءهم ونحاسبُهم أشدَّ الحساب عليها، بينما ننسي عيوبَ أنفسنا و أخطاءَها، و كلَّ ما نحتاج إلي العفو منه.. و أميرالمؤمنين عليه السلاميقول: شرُّالناس مَن كان مُتتبّعا لعيوب الناس، عُمْيا لمعائبه(4). كذلك لاندري.. هل ضَنّ مِنّا من أنفسنا أنّها لاتَزِلّ ولاتُسيء إلي الآخرين، فلم نَعفُ عنهم لأنّنا

1- - معاني الأخبار 196 / ح 2.

2- - غرر الحكم 196.

3- - نهج البلاغة: الكتاب 31.

4- - غرر الحكم 197.

لانحتاج إلي مَن يعفو عنّا؟!

إنّ العاقـل مَن رأي في العفو مرضاةَ ربّه تبارك و تعالي، و تطييبَ نفوس إخوانه، و رأي فيه ضـمانَ العفو عنه إذا زلّ أو أخطأ مع إخوانه يوما ما. أمّا تركُ العفو ففيه سخط اللّه تعالي أحيانا، أوّلاً.. وثانيا قد يتربّص الآخَرون به إن لم يعفُ عنهم، حتّي إذا أخطأ فيما بعد لم يعفوا عنه.

و مع الأطفال.. تترك العقوبه- خاصّةً العاجلة و القاسـيه- أثرا سـيّئا علي نفوسـهم و قلوبهم، إذا كان هنالك مجالٌ للعفو و استدراك للأمر و الاسـتغناء عن العقوبـة بالموعظـة و الإرشاد. فربّما خلّف تركُ العفو عقدةً في أنفسـهم، و لكنّ العفو في أغلب الأحيان لايخلّف إلاّ محبّةً و فرصـة ذهبيّـةً للتصـحيح و التراجع عن الخطأ.. يقول الإمام محمّـد الباقر عليه السـلام: الندامـة علي العفو أفضل و أيسـر من الندامـة علي العقوبة(1). فـإذا أخطـأ مُربٍّ مع أولاده أو طلاّبه في العفو عنهم، فإنّه يسـتطيع تـداركَ خطأه، بخلاف العقوبـة؛ فإنّ تـداركها إذا وقعَتْ خطأً صعبٌ عسير، إذن فالعفو أفضل و أسلم؛ إذ يمكن إزالة ندامته، و ربّما غالبا لا يمكن إزالة الندم علي المبادرة بالعقوبة و المعاجلة بالانتقام، و الجنوح إلي ترك العفو.

و العفو- فضلاً عن أفضليّته- يُخبر عن المحبّة الإنسانيّة و التسامح الأخويّ.. هذا في الغالب، بينما يُخبرنا تركُ العفو غالبا عن الحقد و حبِّ الانتقـام. كـذا يُخبرنـا العفو عن حبّ الخير للآـخرين كمـا يحبّه العـافي لنفسه، و عن الرحمـة بالناس كما يحبّها لنفسه، و عن التسامي عن الأحقاد و الأضغان كما يشتهي ذلك لنفسه من الناس.. يقول الشاعر:

إنّي غفرتُ لظالمي ظُلْمي***و شكرتُ ذاك علي عِلْمي

1- - أصول الكافي 2:88/ ح6- باب العفو.

و رأيتُه أسدي إليَّ يَدا***لمّا أبانَ بجهلهِ حِلْمي

رَجعتْ إساءتُه و إحساني إلي***يَ.. فعاد مُضاعَفَ الجُرْمِ

و غدوتُ ذا أجْرٍ و مَحْمدةٍ***و غدا بكسبِ الوِزْرِ و الإثمِ

مازال يظلمُني.. و أرحمُه***حتّي بَكِيتُ له مِنَ الظُّلْمِ

ص: 150

ثمار العفو

بِسْمِ اللّه ِ الرَّحْمن الرَّحيم: «فَما أُوتيتُم مِنْ شَ ي ءٍ فمَتاعُ الحياةِ الـدّنيا، و ما عِنـدَ اللّه ِ خيرٌ وأبقي لِلّـذينَ آمَنوا و علي ربِّهِم يَتوكّلون * والّـذينَ يَجتنبونَ كبـائرَ الإثمِ والفَواحِشَ و إذا ما غَضِ بوا هُم يَغْفِرون * والّـذينَ اسـتَجابوا لربِّهِم و أقاموا الصَّلاةَ و أمرُهُم شُوري بينَهم و مِمّا رزَقْناهُم يُنفِقُون * والّذينَ إذا أصابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنتصِرون * وجَزاءُ سَيِّئةٍ سيِّئةٌ مِثْلُها، فمَن عَفا و أصْلحَ فأجرُه علَي اللّه ِ إنّه لايُحِبُّ الظالمين»(1) صَدَقَ اللّه ُ العَليّ العَظيم.

إنّ العبـد باتّبـاعه لأـوامر اللّه تبـارك و تعـالي و منها الأخلاق، إنّما يسـلك إلي ربِّه جلّ و علا يطلب مرضاته و القربَ المعنويّ منه، فروحُه متوجّهة إلي رضوان الباري عزّ و جلّ، و قلبه مشـغوف بحبيبه سـبحانه، فهو لايفرّط في أمرٍ و لا نهي يصدران عن هذا الحبيب؛ لئلاّ يسـخط عليه فتنقطع بينهما رابطة الحبّ الإلهيّ، فيري العبد نفسه حينئذٍ قد خسـر كلَّ شـيء.. لذا فهو يتعامل مع الأوامر و النواهي الربانيّة باستجابةٍ قلبيّة، مندفعا إلي كلّ خصـلةٍ أخلاقيّة شريفة؛ لأنّ اللّه جلّ شأنه يحبّها و يأمر بها، و لأنّه جلّ و علا يتخلّق بها. و من هذه الخصال الشريفة: العفو، فاللّه تعالي هو «العَفُوّ»، و هو الذي يحبّ العفو و يأمر عبادَه بالعفو.

1- - الشوري 42 36 - 40.

{يـدعو الإمـام جعفر الصادق عليه السـلام في ليلـة النصف من شـعبان فيقول مخاطبا ربَّه جلّ وعلا : سـيّدي، إليك يلجأ الهارب، و منك يلتمس الطـالب، و علي كرمِك يُعوِّل المسـتقيلُ التـائب. أدّبتَ عبـادَك بـالتكرّمِ و أنت أكرمُ الأكرمين، و أمرتَ بالعفو عبادَك و أنت الغفورُ الرحيم(1). و في أسـحار شـهر رمضان يـدعو الإمام السـجّاد عليه السـلام فيقول: اللّهمّ إنك أنزلتَ في كتابك العفو، و أمَرْتَنا أن نعفوَ عمّن ظَلَمَنا، و قد ظَلَمْنا أنفسَنا، فاعفُ عنّا؛ فإنّك أَولي بذلك مِنّا(2).

والعباد مختلفون في درجات الإيمان، متفاوتون في مراقي التقوي؛ و لـذلك تختلف مقاصـدهم وحالاتهم: فمنهم مَن يقصـد في طاعة اللّه جلّ جلاله عوضَ الآخرة من النعيم الـدائم والهناء الأبـديّ في جِنان الخُلّـد، ومنهم مَن يري الفوز قبل ذلك بالنجاة مِن عذابِ جهنّم، وهو عذابٌ مقيم، و ذلك في الواقع فوزٌ إنْ نجا العبد مِن أهوال النيران.. قال تعالي: «كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموتِ و إنّما تُوَفَّونَ أُجورَكُم يومَ القيامة، فمَن زُحْزِحَ عنِ النارِ و أُدخِلَ الجنّـةَ فقد فاز، و ما الحياةُ الدنيا إلاّ متاعُ الغُرور»(3)، والزَّحْزحة هي الإبعاد، والفَوز هو الظَّفَر بالبُغْية. ولكنّ قصـد العاشقين للّه تبارك و تعالي، العارفين به، ليس الجنّةَ فحسب، ولا الخلاص من النار فحسب، إنّما هم يلبّون أوامر اللّه تبارك و تعالي حبّا له، و سـعيا لنوال رضاه، و تجنّبا و حذرا مِن سـخطه، ويسـتجيبون لكلّ نهي؛ لأنّه سـبحانه أهلٌ أن يُطاعَ فلا يعصي، لذا لايقتصرون في تلبيتهم علي نيّة الثواب ليجنوا ثماره، ولا علي نيّة تجنّب

1- - مصباح المتهجّد للشيخ الطوسيّ - عنه مفاتيح الجنان للشيخ عبّاس القمّيّ في أعمال ليلة النصف مِن شعبان.

2- - من دعاء الإمام السجّاد عليه السلام المسمّي ب دعاء أبي حمزة الثُّماليّ.

3- - آل عمران 3 185.

العقاب ليسلموا مِن آثاره، إنّما يَرَون أنّ اللّه ـ المنعم المُكرم العظيم أهلٌ أن يُطاع و يُعبَد في كلِّ ما أراد. و في تقسيم العباد بشأن ذلك قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ قوما عبدوا اللّه ـ رغبة، فتلك عبادة التجّار. و إنّ قوما عبدوا اللّه ـ رهبة، فتلك عبادةُ العبيد. و إنّ قوما عبدوه شكرا، فتلك عبادة الأحرار(1).

* وقال مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام: إنّي أكره أن أعبد اللّه ـ ولا غرضَ لي إلاّ ثوابُه! فأكونَ كالعبد الطَّمِع المُطمِع.. إن طَمِع عَمِل، و إلاّ لم يعمل.

و أكره ألاّ ـ أعبده إلاّ ـ لخوف عقابه؛ فأكون كالعبد السُّوء.. إن لم يَخَفْ لم يعمل. قيل له: فَلِمَ تعبدُه؟ قال: لما هو أهله بأياديه علَيّ و إنعامه(2).

* وجاء عن الإمام الصادق سلام اللّه عليه أنّه قال: إنّ العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا اللّه ـ عزّوجلّ خوفا؛ فتلك عبادة العبيد. وقومٌ عبدوا اللّه ـ تبارك و تعالي طلبَ الثواب؛ فتلك عبادة الأُجَراء. وقوم عبدوا اللّه ـ عزّوجلّ حبّا له؛ فتلك عبادة الأحرار.. وهي أفضل العبادة(3).

* و رُويَ عن الإمام عليّ بن موسي الرضا عليه السلام أنّه قال: لو لم يُخوِّفِ اللّه ُ الناسَ بجنّةٍ ونار، لَكان الواجب عليهم أن يُطيعوه ولا يعصوه؛ لتفضّله عليهم، و إحسانه إليهم، و ما بدأهم به من إنعامه الذي ما استحقُّوه(4).

ومهما تفاوتت المقاصد، فإنّ اللّه الكريم الحنّان يُثيب عباده عليالطاعات إن سلمت النيّات و حَسُنت المقاصد، و بذلك يتفاوت العباد في الدرجات و في طاعة اللّه عزّوجلّ فيما يحبّ.. و من الطاعة له سبحانه أن

1- - بحارالأنوار 78:69 / ح 18 - عن المناقب لابن الجوزيّ 77.

2- - تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام 152.

3- - أصول الكافي 2: 68 / ح5 - باب العبادة.

4- - عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 180 / ح 4 - الباب 44.

يَعفوَ المؤمن عن أخيه المؤمن؛ لأنّ اللّه عزّ اسمه هو الذي أمر بذلك، فاتّباع أمره طاعة، و طاعته غنيمة، و أفضلُ الغنائم مرضاته عزّوجلّ.. روي جابر بن عبداللّه الأنصاريّ قائلاً: سمع أميرالمؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قنبرا، و قد رام قنبر أن يَرُدّ عليه، فناداه أميرالمؤمنين عليه السلام: مهلاً يا قنبر ! دَعْ شاتمك مُهانا تُرضي الرحمان، و تُسخط الشيطان، و تعاقب عدوَّك، فوَالذي فَلَق الحبّة و برأ النَّسَمة، ما أرضي المؤمنُ ربَّه بمِثْل الحِلْم، ولا أسخَطَ الشيطانَ بمِثْل الصمت، و لا عُوقب الأحمقُ بمِثْل السكوتِ عنه(1).

مِن العباد مَن يصبر علي طاعة اللّه عزّوجلّ، و يصبر عن معصيته، حتّي يلقي ربَّه جلّ وعلا و هو راضٍ عنه، فيُثيبه الثوابَ الأوفي. ولكنْ مِن العباد مَن لايصبر إلاّ أن يَحظي بشيءٍ من الثواب في الدنيا، و نحن نعتقد أنّ الطاعات كلَّها تعود علي العبد بعوائد خير: دنيويّة و أُخرويّة، فالأُخرويّة هي ما وعد اللّهُ تعالي عباده من النعيم الدائم و الجِنان التي وصفَها في كتابه المجيد، و ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعت ولا خَطَر علي قلبِ بشر. أمّا العوائد الدنيويّة للطاعات فهي كثيرة: تبصرها بعض القلوب، و تعشو عنها قلوبُ الكثير مِن الناس. والعفو هو من الطاعات التي يُعطي اللّه تعالي عليها ثوابا في الدنيا و ثوابا في الآخرة. بيان ذلك فيما يلي:

أوّلاً: إنّ ممّا يُخفّف مِن آلام العبد أن يعتقد أنّ اللّه تعالي يؤجره علي الطاعة، و يخفّف بها عنه ذنوبه و يغفر له ما سلف منه من المعاصي والآثام.

والعفو يأتي بهذا كلِّه، فلو أساء إلينا أحدُ إخواننا، ثمّ لم يكن منّا مقابلةٌ بالمِثْل، بل كان منّا العفو و الإقبال عليه بالسلام و مدّ اليد بالمصافحة، فماسنحصل بهذا ؟ الجواب يكون في حديث الإمام جعفرالصادق سلام اللّه عليه:

1- - مجالس الشيخ المفيد أمالي الشيخ المفيد 77 / المجلس الرابع عشر.

أنتم في تصافحِكم في مِثْل أجور المجاهدين(1).

وقـد يعجب المرء لهـذا ويقول: أين التصافـح من الجهاد؟ و مايـدري البعض أنّ في العفو جهادا أيضا، وهو أعلي مِن جهاد اليـد، ذلك هو جهاد النفس الـذي بـدونه لا يسـتطيع المرء أن يجاهد ببدنه في سبيل اللّه عزّوجلّ. ثمّ إنّ في العفو إيثارا لرضـي اللّه جلّ وعلا علي رضـي النفس، فالنفس تميل إلي الانتقام وعقابِ المسيء إليها؛ لتشفيَ غليلها، فيميل العبد بها إلي الحلم والعفو و السماح و الصفح؛ طلبا لمرضاة ربّه عزّ شأنه واستجابةً لأمر مولاه، و مخالفةً لهوي نفسه، و في ذلك تيسيرٌ إلي سبيل الخير والرحمة و الوئام.

* قـال الإمـام زين العابـدين عليّ بن الحسـين عليهماالسـلام: إنّ اللّه عزّوجـلّ يقول: و عِزّتي و عظمتي و جلاـلي و بهـائي وعلوّي وارتفاعِ مكاني، لايُؤْثِر عبدٌ هوايَ علي هواه، إلاّ جعلتُ همَّه في آخرته، و غِناه في قلبه، و كففتُ عليه صـنيعتَه، و ضمّنتُ السماواتِ والأرضَ رِزقَه، و آتيه الدنيا و هي راغمة(2).

* * *

ثانيا: في العفو زيادة في العمر، و وقاية من سوء الأقدار، وهذا ماصـرّحت به النصوص الشـريفة، مِن ذلك قول النبيّ الأكرم صـلي الله عليه و آله: مَن كَثُر عفوُه، مُدَّ فيعُمرِه(3). و قوله صلي الله عليه و آله أيضا: تجاوزوا عن عثرات الخاطئين، يَقيكمُ اللّه ُبذلك سُوءَ الأقدار(4).

وهذه من السنن الإلهيّة، فمَن وَصَلَ رحمَه طال عمرُه، و زاد رزقُه،

1- - ثواب الأعمال وعقاب الأعمال 184.

2- - ثواب الأعمال و عقاب الأعمال 168.

3- - كنزالفوائد للكراجكيّ - عنه بحار الأنوار 75 : 359 / ح 74.

4- - تنبيه الخواطر 360.

و عَمرُ دارُه، و وُقيَ مِيتةَ السُّوء، و زِيد في عدده.. كما ورد ذلك في الأخبار الصحيحة عن أهل بيت النبوّة والعصمة صلوات اللّه عليهم، من ذلك:

* قول رسول اللّه صلي الله عليه و آله: صلة الرَّحِم تزيد في العمر، و تنفي الفقر(1). صلة الرَّحِم تُهوّن الحساب، و تقي مِيتةَ السوء(2).

* و عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنّها قالت: فرَضَ اللّه.. صلةَ الأرحام، مَنْماةً للعدد(3).

* فيما كلّم اللّه تعالي به موسي عليه السلام، قال موسي: فما جزاءُ مَن وصل رَحِمَه؟ قال: ياموسي، أُنسئ له أجَلَه، و أُهوّن عليه سكرات الموت..(4).تلك هي الآثار الوضعيّة المترتّبة علي بعض الأعمال والطاعات، و هي من العوائد الدنيويّة الطيّبة يجنيها العبد في بعض الأحيان: متّقيا كان أم فاسقا، و قد يُؤدّي بعضُها إلي خيره و حُسن عاقبته. و من هذه الطاعات التي تزيد في العمر و تقي سوء الأقدار: العفو، حيث يجني العبد بعضَ ثماره هنا في الدنيا.. «و ما عندَ اللّه ِ خيرٌ و أبقي»(5).

* * *ثالثا: من ثمار العفو في الدنيا أيضا أنّ العبد يكون به عزيزا، و كيف لا يكون كذلك و قد كان عند اللّه تعالي عزيزا؟ ! فقد قال رسول صلي الله عليه و آله: قال موسي: ياربّ، أيُّ عبادِك أعزُّ عليك؟ قال: الذي إذا قَدَر عفا(6). و كأنّ اللّه سبحانه و تعالي قد أخذ علي نفسه أن يؤيّد أهلَ العفو بالعزّة و الكرامة؛ لِما تخلّقوا به مِن أخلاقه الشريفة، و منها العفو عن المسيء والصفح عنه عند القدرة.

1- - قرب الإسناد 51.

2- - أمالي الطوسيّ 2:94.

3- - علل الشرائع 236.

4- - أمالي الصدوق 125.

5- - القصص 28 60.

6- - المحجّة البيضاء 5: 319 - فضيلة العفو.

هذه من الثوابات الدنيويّة.. يشعر بآثارها العبد إذا تحلّي بصفة العفو. قال النبيّ صلي الله عليه و آله: عليكم بالعفو؛ فإنّ العفو لا يزيد العبدَ إلاّ عِزّا، فتعافُوا يُعزّكمُ اللّه (1).

و جاء عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: ثلاثٌ لا يزيد اللّهُ بهنّ المرءَ المسلم إلاّ عِزّا: الصفحُ عمّن ظَلَمه، و إعطاءُ مَن حرَمَه، والصلةُ لمَن قَطَعه(2).فكلّ طاعةٍ للّه جلّ وعزّ تُوجب للعبد شرفا، و كلُّ عبادةٍ له سبحانه توجب للعبد عِزّا، و العفو من العبادات والطاعات، ألم يقل الإمام السجّاد عليه السلام في صحيفته المباركة:.. فإنّ الشريفَ مَن شرّفَتْه طاعتُك، والعزيزَ مَن أعزّتْه عبادتُك(3).

* * *

ويكفي في شرف العافي أنّه يتسامي عمّا يتسافل إليه المسيء، و يترفّع

عن أن ينزل إليه في مخاصمة أو مشاتَمة.. في الرواية أن المأمون العبّاسيّ قال لءلامام الرضا عليه السلام: أنشِدْني أحسنَ ما رويتَه في الحِلْم، فقال الإمام عليه السلام:

إذا كان دُوني مَن بُلِيتُ بجهلِهِ***أَبيتُ لنفسي أن تُقابِلَ بالجهلِ

وإن كان مِثْلي في محلّي مِن النُّهي***أخذتُ بحِلْمي كي أُجَلَّ عنِ المِثْلِ

وإن كنتُ أدني منه فيالفضلِ والحِجي***عَرَفْتُ له حقَّ التقدّمِ والفضلِ(4)

ونُقل عن أحد الشعراء أنّه قال :

أُصِمُّ عن الكَلِمِ المُفْضِحات***وأحلمُ.. والحُلْمُ بي أشْبهُ

وإنّي لَأترُكُ جُلَّ الكلام ***لِئلاّ أُجابَ بما أكرهُ

1- - أصول الكافي 2:88 / ح 5 - باب العفو.

2- - وسائل الشيعة 8 : 521.

3- - الصحيفة السجّاديّة المباركة: الدعاء 35.

4- - عيون أخبارالرضا عليه السلام 2:174 / ح 1 - الباب 43.

إذا ما احترزْتُ سفاهَ السفي***عَلَيّ فإنّي أنا الأسْفَهُ

فلا تَغترِرْ برواة الرجال***وما زخرفوا لك أو مَوَّهوا

فكم مِن فتيً يُعجِبُ الناظرين***له ألسنٌ وله أوجُهُ

ينام إذا حضَرَ المَكْرُمات***وعندَ الدناءاتِ يستَنْبِهُ(1)

إنّ العَفُوّ عن إخوانه عبدٌ غلَبَ هواه، و غلّبَ الصفاتِ الحسنةَ في قلبه علي الصفات السيّئة الذميمة، فمَن حُرِم مِن خُلُق العفو مالت به نفسه إلي العنف، والعنفُ غِلْظةٌ و فضاضة في الأقوال و الحركات، و هو من نتائج الغضب، وضدُّ الغضب الرِّفْق، أي اللِّين في الأقوال والحركات، والرفق مِن نتائج الحِلْم. ولاريبَ أنّ الغلظة في القول والفعل تُنفّر الطباع، و تؤدّي إلي اختلال أمر الحياة؛ ولذلك نهي اللّه ُسبحانه و تعالي نبيَّه صلَّي اللّه عليه و آلعن العنف في مقام الإرشاد، فقال جلّ و علا: «ولَو كنتَ فَظّا غَليظَ القلبِ لآنْفضُّوا مِن حَوْلِك، فاعفُ عنهم واستغفرْ لَهُم وشاوِرْهُم في الأمر..»(2). رُوي عن سلمان الفارسيّ أ نّه قال: إذا أراد اللّه ُ تعالي هلاكَ عبدٍ نزَعَ منه الحياء،فإذا نزع منه الحياء لم يَلقَه إلاّ خائنا مخوّنا، و إذا كان خائنا مخوّنا نُزِعتْ منه الأمانة، فإذا نُزِعت منه الأمانة لم يلقه إلاّ فضّا غليظا، فإذا كان فظّا غليظا نُزِعتْ منه رِبْقةُ الإيمان، فإذا نُزِعت منه ربقة الإيمان لم يَلْقَه إلاّشيطانا ملعونا !(3) ويظهر من هذا الكلام أنّ مَن كان مِن أهل الغِلظة والفضاضة – كما يقول الشيخ النراقيّ – فهو الشيطان حقيقةً، فيجب علي كلّ عاقل أن يجتنبَ ذلك كلَّ الاجتناب، ويقدّم التروّيَ علي كلِّ ما يصدر عنه من القول والفعل، ليحافظ علي نفسه من التعنّف والغلظة فيه، و يتذكّر

1– – آداب النفس 2:68.

2– – آل عمران 3 159.

3– – جامع السعادات 1: 303 – باب العنف. .

ماورد في فضيلة الرفق، و يرتكبه في حياته، ولو بالتكلّف، إلي أن يصيرَ الرفق مَلَكة، و تزولَ عن نفسه آثار العنف بالكلّيّة(1).

وهنا يُقال: إنّ المرء العافي عن إخوانه لابدّ أن يكون متساميا عن الغلظة والفضاضة والعنف، فهو إلي فضيلة «العفو» يضمّ فضيلة «الرفق»، و هو خُلقٌ محمود ممدوح علي لسان الآيات الشريفة والأحاديث المنيفة، من ذلك:

* قولُه تعالي: «فبِما رحمـةٍ مِنَ اللّه ِ لِنْتَ لَهُم..»(2)، فاللّين والرفق متأتّيانِ عن الرحمـة الإلهيّـة، وهما ينعكسان علي الإخوان رأفةً و محبّة، فيخلقان جوّا ملائما للعفو والصفح.

والرفق من شرفه.. أ نّه مِن أخلاق اللّه تبارك وتعالي و قد أمر به، وهو قرين الإيمان، و عائد علي أهله بالبركة والمحبّة والأمان.. وهذا ما حكته الأحاديث الكريمة التالية:

* قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إنّ الرفق لم يُوضَع علي شيءٍ إلاّ زانَه، و لا نُزِع مِن شيءٍ إلاّ شانه(3).

{وقال صلي الله عليه و آله أيضا: ما اصطحبَ اثنانِ إلاّ كان أعظمَها أجرا عند اللّه تعالي و أحبَّهما عند اللّه تعالي أرفقُهما بصاحبه(4).

{وقال صلي الله عليه و آله كذلك: مَن أُعطيَ حظَّه مِن الرفق، أُعطيَ حظَّه مِن خيرالدنيا والآخرة(5).

1- - باب السعادات 1 : 303 - باب العنف.

2- - آل عمران 3 159.

3- - أصول الكافي 2 : 97 ح6 - باب الرفق.

4- - نوادر الراونديّ 3، أصول الكافي 2: 98 / ح 15 - باب الرفق.

5- - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6: 339.

{وقال أميرالمؤمنين عليه السلام فيمواضع عدّة:

- الرِّفق يؤدّي إلي السِّلْم(1).

- الرفق مفتاح الصواب، و شيمةُ ذوي الألباب(2).

- الرفق يُيسِّر الصِّعاب، و يُسهِّل شديدَ الأسباب(3).

- الرفقُ لِقاحُ الصلاح، و عُنوانُ النجاح.(4)

* وعن الإمام الباقر عليه السلام: إنّ اللّه عزّوجلّ رفيق يحبّ الرفق، ويُعطي علي الرفق ما لا يُعطي عن العنف(5).

* وجاء في ثمرات الرفق قول النبيّ المصطفي صلي الله عليه و آله: إنّ في الرفق الزيادةَ والبركة، و مَن يُحرَم الرفقَ يُحرَم الخير(6).

قيـل في بيـان ذلك: (إنّ في الرفق الزيادة)، أي في الرزق أو في جميع الخيرات، (والبركـة) والثبات فيها، (و مَن يُحرم الرفق) أي مُنع منه ولم يُوفَّق له حُرِم خيراتِ الدنيا والآخرة(7).

* وجاء عن الإمام الحسـين عليه السـلام أ نّه قال: مَن أُحجِم عن الرأي، و عَيِيتبه الحِيل، كان الرفقُ مفتاحَه(8).* و رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: مَن كان رفيقا في أمره، نال ما يريد من الناس(9).

و من مقتضيات الرفق أن يعفو العبدُ المؤمن عمّن جَهِله أو أساء إليه،

1- - غرر الحكم 22.

2- - غرر الحكم 40.

3- - غرر الحكم 41.

4- - غرر الحكم 59.

5- - أصول الكافي 2:97 / ح 5 - باب الرفق.

6- - أصول الكافي 2 : 97 / ح 7 - باب الرفق.

7- - بحار الأنوار 75 : 60 - في ظلّ الحديث 26.

8- - بحار الأنوار 78 : 128 / ح 11 - عن إعلام الدين 298.

9- - أصول الكافي 2:98 / ح 16 - باب الرفق.

و في ذلك كرامةٌ لنفسه، و مَكسبةٌ لِعزِّ الدنيا و حُسن ثواب الآخرة.

والصفة السامية الأخري التي يتحلّي بها العبد العافي هي: المُداراة، وهي مُلائمة الناس و حُسن صحبتهم، و احتمال أذاهم.. و قد وردت في هذه الخصلة الحميدة أحاديثُ كثيرة، منها:

* قول رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إنّ الأنبياء إنّما فضّلهم اللّه علي خَلْقه؛ لشدّة مُداراتهم لأعداء دِين اللّه، و حُسن تقيّتهم لأجل إخوانهم في اللّه (1).

* وقوله صلي الله عليه و آله: ثلاث.. مَن لم يكن فيه لم يتمّ له عمل: ورعٌ يحجزه عن معاصي اللّه، و خُلقٌ يداري به الناس، و حِلمٌ يَردّ به جهلَ الجاهل(2).

* وقوله صلي الله عليه و آله: أمَرَني ربّي بمداراة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض(3).

* وقوله صلي الله عليه و آله كذلك: مُداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش(4).

* وقول أميرالمؤمنين عليه السلام: المداراة أحمَدُ الخلال(5).ثمرة العقل مداراة الناس(6). رأس الحكمة مداراة الناس(7).

* وفي قوله تعالي: (وقُولُوا لِلناسِ حُسْنا».. قال الإمام الصادق عليه السلام: أيْ للناس كلِّهم: مؤمِنهم ومخالفهم. أمّا المؤمنون، فيبسط لهم وجهه.. و أمّا المخالفون، فيكلّمُهُم بالمداراة؛ لاجتذابِهم إلي الإيمان، فإنّه بأيسر مِن ذلك يَكُفّ شرورَهم عن نفسه و عن إخوانه المؤمنين(8).

1- - تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام 145.

2- - أصول الكافي 2: 95 / ح 1 - باب المداراة.

3- - وسائل الشيعة 8 : 540.

4- - وسائل الشيعة 8 :540.

5- - غرر الحكم 28.

6- - غرر الحكم 159.

7- - غرر الحكم 182.

8- - تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام 540، والآية في سورة البقرة 2 83.

ومن ثمار المداراة مايبيّنه الإمام عليّ عليه السلام بقوله: دارِ الناسَ تَستَمتِعْ بإخائهم، و الْقِهِم بالبِشْر تَمُتْ أضغانُهم(1). دارِ الناسَ تأمَنْ غوائلَهم، و تَسْلَمْ مِن مكائدهم(2).

سلامة الدِّين والدنيا في مُداراة الناس.(3)

ولاريبَ أنّ المداراة تستدعي في كثيرٍ من الأحيان أن يعفو المرء عن الآخَرين، و يسامحهم عمّا يبدر منهم من الأخطاء، و يصفح عنهم ويتغاضي و يتغافل.. و في ذلك عزّةٌ لصاحب العفو و كرامة، لأنّه يتجنّب العداء والخصام وماينتج عنهما من الإهانة والتعريض؛ و ما يجرّانِ إلي الغضب والعصبيّة والحقد والانتقام.

ومَن عفا نجا ممّا يُردي كرامتَه و عزّته في أوحال الحقد والضغينة والبغضاء والعداوة والانتقام، و ما يجرُّ المرءَ إلي المقابلة بالمثل، فيعالج الخطأَ بالخطأ، كأن يقابل: الغِيبةَ بالغيبة، والفحشَ بالفحش، و البهتان بالبهتان.. وهكذا في سائر المحرَّمات. وذلك ما نُهينا عنه، قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إنِ امرؤٌ عيّرك بما فيك، فلا تُعيّره بما فيه..(4). وقال صلي الله عليه و آله: المستبّانِ شيطانانِ يتهاترانِ(5).

ومن هنا نعلم: أنّ الحقد والانتقام يجرّانِ إلي المعصية، و في المعصيةإهانة العبد لنفسه، بينما في العفو طاعة، و في الطاعة إكرام العبد لنفسه. و يكفي أن نعرف أنّ ترك العفو يؤدّي في الكثير من الأحيان إلي الحقد، وهو إضمار العداوة في القلب، فيدّخرها المرء إلي يوم يتشفّي فيه مِن

1- - غرر الحكم 177.

2- - غرر الحكم 177.

3- - غرر الحكم 192.

4- - جامع السعادات 1:299 - الانتقام.

5- - جامع السعادات.

عدوِّه، وقد قيل في الحقد أ نّه من المهلكات العظيمة، وهو مخالف للإيمان..

* قال رسول اللّه صـلي الله عليه و آله: المؤمن ليس بحقود(1). والغالب أنّ الحقـد يلزمه من الآفات الأخلاقيّة: الحسد والهجرة، والانقطاع عن المحقود، والإيذاء بالضـرب، والتكلّم بما لايحلّ من: الكذب والغِيبة والبهتان وإفشاء السرّ، وهتك الستر، و إظهار العيوب، والشماتة بما يصـيب صاحبَه من البلاء، والسـرور به والانبساط بظهور عثراته وهفواته، والمحاكاة عنه والاسـتهزاء والسخرية، والإعراض عنه استصغارا له، ومنع حقوقه.. وكلُّ ذلك محرَّمٌ يؤدّي إلي فساد الدين والدنيا(2).

وفضـلاً عن أنّ الحقـد من الأمراض المؤلمة للنفس.. فإنّه يمنع من القربِ إلي اللّه تعالي، وكذايمنعه ممّا ينبغي أن يصدر عن المرء بالنسـبة إلي أهل الإيمان: من الهشاشة والرفق والتواضع، و القيام بحوائج الآخرين، والمجالسة معهم، و الرغبة في إعانتهم و مواساتهم.. وغير ذلك. وهذا كلّه ممّا ينقص درجتَه في الدين، و يحول بينه و بين مرافقة المقرّبين(3).

ويجرّ الحقد إلي العداوة، والعداوة تكون مرّة باطنيّة.. فتُسعر القلب وتفسد الروح، و مرّة ظاهريّة.. فتبدو علي صور الضرب والفحش و اللّعن والطعن والظلم. أمّا العفو فإنّه يُـدخل علي النفس الهـدوء ؛ لأنه يزيـح العداوة، ويُدخل علي القلب السـرور؛ إذ في العفو مرضاةُ الربّ جلّ وعلا،والعِزّةُ والكرامة.. لأنّ العَفُوّ مُتسامٍ عن الرذائل، و محبوب مِن قِبل الناس.

1- - جامع السعادات 1 : 311 - الحقد.

2- - جامع السعادات1 : 299 - الحقد.

3- - جامع السعادات 1 : 312 - الحقد.

* * *رابعـا: من ثمـار العفو وثوابـاتِه الدنيويـة والأخرويّـة.. النصـر، وبقـاء المُلْـك، فأوّله: انتصارٌ علي هيجان النفس و ما يجرّها إلي الحقد والانتقام، و ثانيه: كسبٌ لمرضاة اللّه عزّوجلّ لردّ الغضب وكظم الغيظ و تجنّب الفضاضـة والغِلظة، و ثالثه: كسبُ قلوب الناس و إبعاد شـرّ البعض منهم. و بـذلك يعيش صاحب العفو حياةً هانئةً هادئةً سـعيدة.. يُحبّه الناس و ينتصـرون له، يُعينونه ولا يمسّونه بسوء. فالعفو انتصار علي الحقد، وانتصار علي الجهّال و الحمقي و أهل الشـرّ والعداوة والبغضاء، و سـبب للنصر علي أعداء اللّه عزّوجلّ.. عن أبي الحسن عليه السلام قال:

ما التقَتْ فئتانِ قطُّ إلاّ نُصِر أعظمُهما عفوا(1).

و إذا كان الحاكم أو المتولّي شؤونَ الرعيّـة عَفُوّا رحيما برعيّته، انجذبت إليه النفوس، و تألّفت حوله القلوب، و حَظِيَ بالعزّة والقدرة والمَنَعة.. وقـد مَلّـك ذو القَرنَين فَعَزّ وقوي، قيـل لراهب: أرأيتَ ذا القرنَين أكان نبيّا؟ قال: لا، و لكنّه إنّما أُعطيَ ما أُعطي بأربع خصالٍ كُنّ فيه: كان إذا قَدَر عفا، و إذا وعَدَ وفي، و إذا حَدّث صَدَق، ولا يجمع اليومَ لغد(2).

وقد ورد في كلمات رسول اللّه صلي الله عليه و آله: عفوُ المَلِك أبقي لِلمُلْك.(3)

هذا شـيء من الثوابات الدنيويّة للعفو.. يكسـبها المرء، والعاقل لايقتصـر عليها، إذِ المعوَّل علي الثوابات الأُخروية، فمَن عَمِل للدنيا كسب شيئاموقّتا، و بقي عليه أن يسـعي إلي ما يخلد من نعيم الأبد و مرضاة اللّه عزّوجلّ.. جاء في كتاب اللّه الحكيم قولُه تعالي: «فمِنَ النّاسِ مَن يقول: ربَّنا

1- - أصول الكافي 2 : 88 / ح 8 - باب العفو.

2- - المحجّة البيضاء 5:321.

3- - وسائل الشيعة 8 : 519.

آتِنا في الدَّنيا حسنةً، و ما له في الآخرةِ مِن خَلاق»(1)، ذلك ممّن يريد الدنيا، فلا يعبأ أن يكون ذِكرُه أو عمله حسَنا أو سيّئا عند اللّه تبارك و تعالي، بل مقصوده الدنيا يتمتّع فيها و يجاري منها ما يوافق هوي نفسه، وليس له بعد الدنيا نصيبٌ في الآخرة. أمّا المؤمن، فإنّه يريد ما عند ربّه جلّ و علا ممّا يرتضيه منه، فيكون له بذلك حسنةُ الدنيا وحسنة الآخرة.

ومن عوائد العفو و ثماره ما بيّنتْه الآيةُ القرآنيّة الشريفة: «ومِنْهم مَن يقولُ: ربَّنا آتِنا في الدنيا حسَنةً وفي الآخرةِ حسَنةً وقِنا عذابَ النار * أُولئك لهم نصيبٌ ممّا كَسَبوا، واللّهُ سريعُ الحساب»(2).

فمكارم الأخلاق تعود علي العبد: بثوابات دنيويّة، وثواباتٍ أُخروية. و يكفي أن نعرف أنّ المعطي هو اللّه تبارك وتعالي، و كفي به رحيما كريما، يعامل عباده باللّطف و الرأفة، يدعوهم إلي كلّ خير، و يُثيبهم علي ما أحسنوا لأنفسهم ثوابا عظيما، ويعطيهم بفضله و إحسانه لا باستحقاقهم، و يُعدّ علي الصالحات جنّاتٍ تجري مِن تحتها الأنهار.

وفي خصوص العفو – لاسيّما في حالة الغضب والانفعال – وعَدَ اللّه جلّ و علا عبادَه خيرا كثيرا، ودعاهم إلي الالتفات نحو الآخرة والحذر من تقطّع القلوب علي أمور الدنيا، فقال عزّ مِن قائل في محكم كتابه المجيد: «فما أُوتيتُم مِن شيءٍ فمَتاعُ الحياةِ الدنيا و ما عندَ اللّهِ خيرٌ و أبقي لِلّذينَ آمَنُواوعلي ربِّهِم يتوكّلون * والّذينَ يَجْتنِبُونَ كبائرَ الإثْمِ والفواحشَ وإذا ما غَضِبوا هم يَغْفِرون * والذينَ استجابوا لِربِّهم وأقامُوا الصلاةَ وأمرُهُم شُوري بينَهم و ممّا رزَقْناهُم يُنفقون * والّذينَ إذا أصابَهمُ البغيُ هُم ينتصرون * و جَزاءُ سيّئةٍ سيّئةٌ مِثْلُها، فمَن عفا و أصلحَ فأجرُه علَي اللّه، إنّه لا يُحبّ الظالمين * وَلَمَنِ

1- – البقرة 2 200.

2- – البقرة 2 201 – 202.

انتصـر بعدَ ظُلْمِه فأولئك ما عليهم مِن سبيل * إنّما السبيلُ علَي الّذينَ يَظلِمُونَ الناسَ و يَبغونَ في الأرضِ بغيرِ الحقّ، أولئك لَهُم عذابٌ أليم * ولَمَنْ صبرَ و غفرَ إنّ ذلك لَمِن عَزْمِ الأمور»(1) صدق اللّه العليّ العظيم.

فالأرزاق في الدنيا تشمل المؤمنَ والكافر، و لكنّ ما عند اللّه تعالي من الرزق الطيّب الباقي هو مختصّ بالمؤمنين، الذين وصفهم سبحانه و تعالي بصفاتٍ يُثيبُهم اللّه تعالي عليها بما عنده، وهي:

أوّلاً: أنّهم علي ربّهم يتوكّلون، و مَن توكّل علي اللّه عزّوجلّ رجا ثوابه ممّا يلقي من الظلم والإساءة، و استعدّت نفسه للعفو عن إخوانه المخطئين معه؛ لأنّه ينتظر – بعفوه عنهم – عفوَ ربّه جلّ وعلا.. الذي يقول للمؤمنين: «ولْيَعفوا ولْيَصفحوا، ألا تُحبّونَ أن يَغفرَ اللّه لكم، و اللّه غفورٌ رحيم»(2).

وثانيا: أنّهم يجتنبون كبائرَ الإثم والفواحش، و هي المعاصي الكبيرة التي لها آثارٌ سيّئة خطيرة. وقد عدّد تبارك وتعالي بعضا منها، ولا يخفي أنّ من المعاصي: الانتقام والظلم، وقد يقع فيهما العبد إذا ترك العفو، ولم يوطّنْ نفسه علي الصفح عن المؤمنين.

وثالثا: أنّهم إذا ما غَضِبوا يغفرون، وهذه هي صفة العفوّ عند الغضب، وهي مِن أخصّ صفات المؤمنين، فقد يعفو من لايتملّكه الغضب، ولكنّ المُغضِب قلّما يقوي علي كظم غيظه وإمساك نفسه عن الانتقام والمقابلة..فلا يُنتظَر منه عفو!

ثمّ قال سبحانه و تعالي معدّدا صفات المؤمنين الذين لهم ما عند اللّه تعالي ماهو خيرٌ و أبقي: «والذينَ استجابُوا لِربِّهم وأقاموا الصَّلاةَ وأمرُهم شُوري بينهم و ممّا رزَقْناهم يُنفقون».

1- – الشوري 42 36 – 43.

2- – النور 24 22.

فالصفة الرابعة: التي يتحلّي بها هؤلاء المؤمنون هي: استجابتهم لربّهم جلّ شأنه فيما يكلّفهم مِن الأعمال الصالحة. و إذا كان اللّه عزّ اسمه قد ذكَرَ الخاصَّ بعد العامّ من الأعمال الصالحة فقال: «وأقامُوا الصلاة»؛ لشرف هذا العمل الصالح، فإنّه لايخفي علي المؤمن أنّ من الصالحات أيضا: العفوَ عن المخطئ المذنب. ثمّ إنّ الصلاة الحقيقيّة هي مارديعتِ العبدَ عن الأعمال الطالحة، ودعَتْه إلي الأعمال الصالحة، والأخلاق الطيّبة.. قال تعالي: «إنّ الصَّلاةَ تَنْهي عنِ الفحشاءِ والمُنكَرِ، ولَذِكْرُ اللّهِ أكبر، واللّهُ يعلمُ ما تصنعون»(1).

ولا يشكّ أحدٌ أنّ محاسن الأخلاق، و منها العفو، هي من الصالحات، كما أنّ مساوئ الأخلاق، و منها الانتقام، هي من الطالحات والمنكَرات.

أمّا الصفة الخامسة: التي يتّصف بها المؤمنون فهي الإنفاق ممّا رُزِقوا، وقد يتساءل أحدُنا: اذا كان الغنيّ يُنفق من أمواله علي المساكين والفقراء فينال ثوابا بذلك، فماذا يُنفق مَن لا يكون في أمواله فضلة؟!

الجواب: يُنفق ممّا يستطيع التحلّي به من الأخلاق الفاضلة، فهي الأرزاق العظيمة التي ينال بها العبد خيرَ الدنيا و الآخرة.. يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: حُسْنُ الخُلُق مِن أفضل القِسَم، و أحسنِ الشِّيَم(2). و من الأخلاق الحسنة: العفو، و الصبر علي أذي الإخوان، والحِلْم عليهم، والصفح عنهم، والمغفرة لهم، لاسيّما في حالة الغضب.. قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: عليكم بمكارم الأخلاق؛ فإنّ اللّه عزّوجلّ بعثني بها، و إنّ مِن مكارم الأخلاق: أن يَعفوَ الرجلُ عمّن ظَلَمه، ويُعطيَ مَن حَرَمه، ويَصِلَ مَن قَطعَه،و أن يعودَ مَن لايعوده(3). وقال الإمام عليٌّ عليه السلام: إنّ مِن مكارم الأخلاق: أن

1- - العنكبوت 29 45.

2- - غرر الحكم 167.

3- - أمالي الطوسيّ 2 : 92.

تَصِـل مَن قَطعَك، و تُعطيَ مَن حَرَمَك، و تَعفوَ عمّن ظَلَمك(1). و عن جرّاح المـدائنيّ قال: قال لي أبو عبداللّه (الصادق) عليه السـلام: ألا أُحدّثك بمكارم الأخلاق؟ الصفح عن الناس، و مواساة الرجل أخاه في ماله، و ذِكرُ اللّه ِكثيرا(2). وجاء رجلٌ إلي الصادق جعفر بن محمد عليهماالسـلام فقـال: يـا ابنَ رسول اللّه، أخبِرْني بمكارم الأخلاق. فقال: العفوُ عمّن ظلَمَك، و صـلةُ مَن قطَعَك، و إعطاء مَن حَرَمَك، وقولُ الحقّ ولو علي نفسِك(3).

فمَن لم يُوفَّق للأرزاق المادّية، فليجدّ في كسب الأرزاق المعنويّة؛ لينفقَها في طاعة اللّه سـبحانه وتعالي، والأخلاق من الأرزاق المعنويّة.. و منها: الصبر والحِلْم والعفو، وسـلامة القلب وسـعة الصدر، قال المصطفي صلي الله عليه و آله: الصبرُ خير مركب، مارزق اللّه عبدا خيرا له ولا أوسعَ مِن الصبر(4). و جـاء عن أمير المؤمنين عليه السـلام أ نّه قال: إذا أحبَّ اللّه ُعبـدا رزَقَه قلبا سـليما، و خُلُقا قويما(5). و نقرأ في الصحيفة السجّاديّة المباركة دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام عند الشدّة والجهد: اللّهـمّ صَلِّ علي محمّدٍ و آله، و خلّصْني من الحسد، واحصُـرْني عن الذنوب، و ورّعْني عن المحارم، و لا تُجرّئْني علي المعاصي.. اللّهـمّ صَلِّ علي محمّدٍ و آله، و ارزقني التحفّظَ من الخطايا، و الاـحتراسَ مِن الزلل في الـدنيا والآخرة في حال الرضـيوالغضب، حتّي أكون بما يَرِد علَيّ منهما بمنزلـةٍ سواء، عاملاً بطاعتك، مُؤْثِرا لرضاك علي ما سواهما في الأولياء والأعداء، حتي يأمنَ عدوّي مِن ظُلمي و جوري، و ييأس وليّي مِن مَيلي وانحطاطِ هواي..(6).

1- - غرر الحكم 107.

2- - معاني الأخبار 191 / ح 2.

3- - معاني الأخبار 191 / ح1.

4- - مسكّن الفؤاد 50.

5- - غرر الحكم 141.

6- - الدعاء الثاني والعشرون من الصحيفة السجّاديّة المباركة.

إذن.. فمِمّن أعدّ اللّه تبارك و تعالي لهم ماهو خيرٌ و أبقي: المنفقون في سبيل اللّه ممّا رزقَهُم عزّوجلّ، وقد يُرزَق العبد خُلُقا رفيعا فيُنفق منه ماينال به ثوابَ الدنيا وحُسنَ ثواب الآخرة.

أمّا الصفة السادسة: مِن صفات المؤمنين النائلين لما عند اللّه عزّوجلّ ما هو خيرٌ و أبقي، فهي المشورة فيما بينهم، و هي استخراج الرأي بمراجعة البعض إلي البعض، و أهل المشورة هم أهل الرشد الذين يتحلّون بالصبر والحلم والعفو، وإلاّ فإنّ الخلاف مع الغضب و الخُرق وضيق الصدر مدعاةٌ للخصومة والعداء.. وهذه الحالة لاتترك فرصةً لحلّ المشاكل والمعضلات، و لاتُعين علي استخراج الرأي السليم والفكرة الراشدة والتوجيه المعقول، فالتشاور يحتاج إلي الصبر والتواضع، وقد ضرب النبيُّ الأكرم صلي الله عليه و آله في تعامله مع أصحابه في هذا المجال مثلاً رائعا كما أمره الباري تبارك و تعالي: «فبِما رحمةٍ مِن اللّه ِ لِنْتَ لهم ولو كنتَ فظّا غليظَ القلبِ لانْفضُّوا مِن حولِك، فاعفُ عنهم واستغفِرْ لهم وشاوِرْهُم في الأمر، فإذا عَزَمتَ فتوكّلْ علَي اللّه، إنّ اللّه َ يُحبّ المتوكّلين»(1).

وقد أثاب اللّه ُ تعالي علي الصبر والتواضع واللّين ثوابا جزيلاً.. قال الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام: مَن كَظَم غيظا و هو يَقْدر علي إمضائه، حشا اللّه ُ قلبَه أمنا و إيمانا يومَ القيامة. قال: و مَن مَلَك نفسَه: إذا رغب، و إذا رهب، و إذا غَضِب..حرّم اللّه ُ جسدَه علي النار(2).وأمّا الصفة السابعة: فهي العفو، حيث قال تعالي: «وجَزاءُ سيّئةٍ سيّئةٌ مِثْلُها، فمَن عفا و أصلحَ فأجرُه علَي اللّه، إنّه لايُحبّ الظالمين»، و قال عزّوجلّ: «ولَمَنْ صَبَرَ و غَفَر إنّ ذلك لَمِنْ عَزْمِ الأمور».

1- - آل عمران 3 159.

2- - تفسير القمّيّ 104.

ولكي لايتوهّمَ بعضُنا.. فيري أن العفو مَدْعاةٌ للتخاذل و تركٌ للحقّ، علينا أن نعلم أنّ مِن صفات المؤمنين – فضلاً عن العفو عن إخوانهم – التناصرَ فيما بينهم ؛ لمعاقبة أعدائهم البُغاة.. قال تعالي: «والّذينَ إذا أصابَهمُ البغيُ هم يَنتصِرُون»، وهذه الصفة الثامنة مِن صفاتِهم التي تُهيّئ ما عند اللّه تعالي ما هو خير و أبقي، فإذا أصابَ الظلمُ بعضَهم تناصروا واتّفقوا علي الحقّ كنَفْسٍ واحدة، وكأنّ الظلم أصابَهم جميعا، و مقاومتُهم هنا لرفع الظلم لاتُنافي المغفرةَ عن الغضب، فسَدُّ باب الظلم، والانتصار للمظلومين.. هما من الواجبات الفطرية، و قد قال تعالي: «وجَزاءُ سيّئةٍ سيّئةٌ مِثْلُها»، و سَمّي اللّهُ جلّ و علا ما يأتي به المنتصِرُ سيّئةً؛ لأنّها في مقابلة الأُولي وهي الاعتداء، نظيرَقوله تعالي: «فمَن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمِثْلِ ما اعتدي عليكم»(1).. قيل في تفسير جزاء السيّئة بالسيّئة: كلتا الفعلتين: الأُولي – وجزاؤها سيّئة؛ لأنّها تسوءُ مَن تنزل به، وفي ذلك رعاية لحقيقة معني اللّفظ، و إشارةٌ إلي أنّ مُجازاة السيّئة بمِثْلِها إنّما تُحمَد بشرط المماثلة مِن غير زيادة(2).

ثمّ قال تعالي : «فَمَن عفا و أصلَحَ فأجرُه علَي اللّه»، وهذا وعدٌ جميلعلي العفو والإصلاح. وقيل: إنّ المراد بالإصلاح إصلاحُه أمرَه فيما بينه و بين ربّه، كما قيل: المراد إصلاحه ما بينه و بين ظالمه بالعفو والإغضاء. أمّا قوله: «إنّه لا يُحبُّ الظالمين» فقيل فيه: بيانٌ أنّه عزّوجلّ لم يُرغّب المظلومَ في العفو لميله إلي الظالم أو لحبّه إيّاه؛ ولكنْ ليعرّض المظلوم بذلك لجزيل الثواب، و لأنّ اللّه تعالي يحبّ الإحسان والفضل، فالدعوة إلي

1– – البقرة 2 194.

2– – الكشّاف للزمخشريّ – في ظلّ الآية الكريمة 40 من سورة الشوري42.

الصبر والعفو ليست إبطالاً لحقّ الانتصار، و إنّما هي إرشادٌ إلي فضيلةٍ هي مِن أعظم الفضائل، فإنّ في المغفرة الصبرَ الذي هو مِن عزم الأمور، و هو الذي به ينال العبدُ كلَّ خيرٍ و أُمنيّة..

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: بالصبر تُدرَك معالي الأمور(1). بالصبر تُدرَك الرغائب.(2)

وقد يرغب العبد في ثواب الآخرة، فيسعي له بالصبر الذي يُعينه علي العفو. ولكي لايتوهّم متوهّم أنّ في العفو إلغاءً لحقّ الانتصار.. قال تعالي: «ولَمَنِ انتصرَ بعدَ ظُلْمِه فأُولئك ما عليهم مِن سبيل»، فلا سبيلَ علي المظلومين، ولا مُجوِّزَ لإبطال حقّهم في الشرع الإلهيّ.. ثمّ قال تعالي: «إنَّما السبيلُ علَي الّذينَ يظلمونَ الناسَ ويَبْغُونَ في الأرضِ بغيرِ الحقّ، أُولئك لَهُم عذابٌ أليم». فإذا اتّصف المؤمنون بهذه الصفات كان لهم ما عند اللّه سبحانه وتعالي ، وهو ما ادّخره لهم مِن ثواب - ، و قد وصفه عزّوجلّ بأنّه «خير»؛ لكونه خالصا مِن الألم والكَدَر، و أ نّه «أبقي»؛ لكونه أدومَ غيرَ منقطعِ الآخِر(3).

إنّ اللّه جلّ شأنه رتّب علي الطاعات آثارا مباركة، وكان مِن لطفه أن جعل للعبد الملبّي لأمره، المنتهي عن نهيه.. ثوباتٍ دنيويّة و أُخرويّة، فيحسن بالعبد أوّلاً أن يُحسن ظنَّه باللّه عزّ شأنه، فينتظر خيرَ الدنيا والآخرة من ربّه تعالي إذا أطاعه. {جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في ظلّ قوله عزّوجلّ: «ربَّنا آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً..»، قال: رضوانُ اللّه ِ والجنّةُ في الآخرة،

1- - غرر الحكم 147.

2- - غرر الحكم 146.

3- - بيان الآيات استفادات من: تفسير الميزان.

والسَّعةُ في الرزق والمعاش و حسنُ الخُلُق في الدنيا(1). وفي الرواية عن أميرالمؤمنين عليه السلامقال: بينما رسولُ اللّه صلي الله عليه و آله جالس إذ سأل عن رجلٍ من أصحابه، فقالوا: يارسول اللّه، إنّه قد صار في البلاء كهيئة الفرخ لا ريشَ عليه! فأتاه عليه السلام فإذا هو كهيئة الفرخ لا ريش عليه مِن شدّة البلاء، فقال له: قد كنتَ تدعو في صحّتك دعاءً؟ قال: نعم، كنتُ أقول: يارَبِّ، أيّما عقوبةٍ أنت معاقبي بها في الآخرة فاجعلْها لي في الدنيا ! فقال النبيّ صلي الله عليه و آله: ألا قلتَ: اللّهمّ آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النار؟! فقال: فكأنّما نشط مِن عُقال، وقام صحيحا، وخرج معنا(2).فَلْيَرجُ العبد – بعد الدعاء – أن ينال من اللّه تعالي خيرَ الدنيا و خير الآخرة، و أن ينجوَ – لابأعماله – بل بلطف اللّه عزّوجلّ من عذاب النار، و يفوزَ برضوان اللّه والجنّة.

ومن حُسن ظنّ العبد بربّه جلّ وعلا ، أن يمدّ يدَيه إليه ظانّا به العطاء، منتظرا منه النوال، و معتقدا أ نّه وافدٌ علي أكرم الأكرمين، علي مَن يجزي لا عن استحقاق، و يَهَب الخير لعبده إذْ هو الرحيم الوهّاب. وإذا رجا العبد من اللّه عزّ شأنه، فما باله في أجرٍ هو مِن خير الرازقين، و أكرم الأكرمين تبارك وتعالي ، و ماظنُّه في مَن لا يَنفد ما عنده و لا ينقص من خزائنه شيء، و لا يضرّه أن يعفوَ عن المذنبين الخاطئين إذا تابوا و ندموا؛ لأنّه الرؤوف الكريم، الرحمان الرحيم؟! فما أحري بالعبد أن يُحسِن ظنَّه بربّه جلّ و علا.

سأل أعرابيّ: يا رسول اللّه، مَن يحاسب الخَلْقَ يومَ القيامة؟

1- – تفسير نور الثقلين 1:199 / ح 725، والآية في سورة البقرة 2 201.

2- – تفسير نور الثقلين 1:200 / ح730 – عن الاحتجاج للطبرسيّ.

قال صلي الله عليه و آله: اللّه ُعزّ و جلّ. قال الأعرابيّ: نَجَونا و ربِّ الكعبة! سأله صلي الله عليه و آله:و كيف ذاك يا أعرابيّ؟! أجاب: لأنّ الكريمَ إذا قَدَر عفا(1).

و لكنْ.. لعفو اللّه تعالي موجِبات، و منها العفوُ عن المؤمنين، قال تعالي : «و لْيَعفوا و لْيصفحوا ألا تُحبّون أن يغفرَ اللّه لكم و اللّه ُغفورٌ رحيم»..(2) و قد جاء عن الإمام الصادق عليه السلامقوله:.. واعفُ عمّن ظلَمَك كما أنّك تحبّ أن يُعفي عنك، فاعتبرْ بعفو اللّه عنك(3).

فإذا عَفَونا عن إخواننا الذين يخطأون معنا و يسيئون إلينا، و يظلموننا أحيانا.. كنّا مؤهَّلين لأن نرجوَ عفوَ ربّنا جلّ شأنه، و ما بالُنا إذا حرَصْنا علي طاعته، و أحسنّا الظنَّ برحمته، وهوالمعطي الكريم؟! و قد قال عن نفسه علي لسان سليمان عليه السلام: «و مَن كفَرَ فإنّ ربّي غنيٌّ كريم»(4)، و قال تعالي يخاطب سيّدَ خلائقه الانسان: «يا أيُّها الإنسانُ ما غَرَّكَ بربِّكَ الكريم * الّذي خَلَقك فَسوّاكَ فَعَدلَك؟!»(5)، و الكريم إنّما يصدُر عنه الكرم.. فرزقُه كريم، و أجرُه كريم، والمَقام الذي يَهَبُه كريم، وهو القائل في محكم كتابه الكريم: «أُولئك همُ المؤمنونَ حقّا لهم درجاتٌ عند ربِّهم و مغفرةٌ و رزقٌ كريم»(6)، و هو القائل عزّ مِن قائل: «إن تَجتنبوا كبائرَ ما تُنهَونَ عنه نُكفِّرْعنكم سيّئاتِكم و نُدخِلْكُم مُدخَلاً كريما»(7)، و القائل جلّ من قائل: «مَن ذَا الّذي يُقْرِضُ اللّه َقَرْضا حسَنا فيُضاعِفَه له وله أجرٌ كريم»(8).

فإذا أحسَنَ العبدُ ظنَّه باللّه تبارك شأنه رجا، و إذا رجا غَنِم، و إذا غنم نجا.. ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله: يُوقَف عبدٌ بين يدَيِ اللّه تعالي يومَ

1- - تنبيه الخواطر 7.

2- - النور 24 22.

3- - تحف العقول 225.

4- - النمل 27 40.

5- - الانفطار 82 6 - 7.

6- - الأنفال 8 4.

7- - النساء 4 31.

8- - الحديد 57 11.

القيامـة، فيـأمر به إلي النـار، فيقول: لا و عزّتِك، ما كان هـذا ظنّي بك! فيقول: ماكان ظنُّك بي؟! فيقول: كان ظنّي بك أن تغفر لي، فيقول: قد غفرتُ لك..(1).وإذا عَلِمنـا أنّ للّه تعـالي ثوابـاتٍ دنيويّـة، و ثواباتٍ أُخرويّـة، فإنّ المؤمن العاقل يعوّل علي الثوابات الأُخرويّـة ؛ لأنّ فيها مرضاة اللّه – أوّلاً، و النعيمَالأبديَّ – ثانيا، والنجاة من النار – ثالثا.. وقد قال تعالي: «فمَن زُحْزِحَ عن النارِ و أُدخِل الجنّةَ فقد فاز، و ما الحياةُ الـدنيا إلاّ مَتاعُ الغُرور»(2). ولكن لا ينبغي أن يكون الهـدف الوحيـد من الطاعـة هو نوال الرحمـة، إنّما ينظر العبـد المؤمن إلي اللّه تعالي فيجـده وليَّ العطـاء، و يتعرّف عليه فيُحبّه، وإذا أحبّه طلب مرضـاته، و نوالُ مرضاته أعظمُ من نوال نعيمه، وهو القائل جلّ و عزّ: «وَعَـدَ اللّهُ المؤمنينَ والمؤمناتِ جنّاتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالـدينَ فيها و مساكنَ طيّبـةً في جَنّاتِ عَـدْنٍ، و رضوانٌ مِن اللّه ِ أكبرُ ، ذلك هو الفوزُ العظيم»(3).

و من دواعي الحبّ و مقتضياته: الطاعة، كما يري الشاعر ذلك قائلاً:

لو كان حبُّك صادقا لأَطَعْتَه***إنّ المُحِبَّ لِمَن يُحبّ مطيعُ

والطاعة الخالصة ما كانت حبّا و شوقا واعتقادا، لا مطمعَ فيها في نعيم، ولا خوفَ فيها مِن جحيم..

* قال الإمام الحسين عليه السلام: إنّ قوما عبدوا اللّه رغبة، فتلك عبادة التجّار، و إنّ قوما عبدوا اللّه رهبة، فتلك عبادة العبيد، و إنّ قوماعبدوا اللّه شكرا، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضلُ العبادة(4).

1- – المحاسن 25 / ح 3 – باب ثواب حسن الظنّ باللّه.

2- – آل عمران 3 185.

3- – التوبة 9 72.

4- – تحف العقول 177.

* وقال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ العبّاد ثلاثة: قومٌ عبدوا اللّه عزّوجلّ خوفا، فتلك عبادة العبيد. وقوم عبدوا اللّه-عزّوجلّ طلَبَ الثواب، فتلك عبادة الأُجراء. وقوم عبدوا اللّه عزّوجلّ حبّا له، فتلك عبادة الأحرار.. وهي أفضل العبادة(1).

* وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول في مناجاته: ما عبدتُك خوفا من نارك، و لاطمعا فيجنّتك، لكنْ وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك..(2).
و من بعدُ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: إنّ الناس يعبدون اللّه عزّوجلّ علي ثلاثة أوجه: فطبقةٌ يعبدونه رغبةً في ثوابه، فتلك عبادة الحرصاء، وهو الطمع، و آخرون يعبدونه فَرَقا من النار، فتلك عبادة العبيد، و هي رهبة. و لكنّي أعبدُه حبّا له عزّوجلّ، فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن؛ لقوله عزّوجلّ: «وهُم مِن فَزَعٍ يومئذٍ آمنون»(3)؛ ولقوله عزّوجلّ: «قُلْ إن كنتُم تُحبّونَ اللّه-فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللّه ُويَغْفِرْ لكُم ذنوبَكم»(4)، فمَن أحبَّ اللّه-أحبَّه اللّه، ومَن أحبّه اللّه عزّوجلّ كان مِن الآمنين(5).

* * *

خامسا: ومن ثمار العفو أيضا أ نّه موجب لنوال الحسنات في الدنيا، ما بها يغفر اللّه تعالي لنا و يُدخلنا في رحمته.. و ربّما قيل: كيف يحصل العبد عليحسنةٍ إذا لم ينهضْ بعمل؟ قيل: يكون ذلك بالعفو، وهو الانصراف عن المعاقبة، فعن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال:

قال عيسي ابن مريم عليهماالسلام ليحيي بن زكريّا عليه السلام: إذا قيل فيك مافيك،

1- - الكافي 2 : 68 / ح 5 - باب العبادة.
2- - بحارالأنوار 70 : 186، 234.
3- - النمل 27 89.
4- - آل عمران 3 31.
5- - أمالي الصدوق 41 / ح4 - المجلس10.

فاعلمْ أنّه ذَنْبٌ ذُكِّرتَه، فاستغفرِ اللّه منه، و إن قيل فيك ما ليس فيك، فاعلمْ أنّه حسنةٌ كُتبتْ لك لم تَتعب فيها(1).

* و رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لجابر الجُعفيّ: فكّرْ فيما قيل فيك، فإن عرفتَ مِن نفسك ما قيل فيك، فسقوطُك مِن عين اللّه عزّوجلّ عند غضبك من الحقّ أعظمُ عليك مصيبةً ممّا خِفتَ مِن سقوطك مِن أعين الناس. و إن كنتَ علي خلاف ماقيل فيك، فثوابٌ اكتسبتَه مِن غير أن يتعب بدنُك(2).

وربّما يتساءل البعض: كيف نعفو عمّن ظلَمَنا؟! أليس من العدل أن نعاقب الظالم والمسيء؟! وجواب ذلك هو: أنّ مَن استحقّ العقاب أحدُ شخصين: إمّا أن نكون مخيَّرين بين عقابه والعفو عنه، أو غيرَ مخيَّرين.. فإن كنّا مخيَّرين، فأن نختارَ العفوَ عمّن ظَلَمنا أقربُ للتقوي أوّلاً، و ثانيا أكرمُ لأنفسنا، فننال بذلك خيرَ دنيانا و آخرتنا. و إذا عفَوْنا و نحن مظلومون، كان اللّه تعالي في عوننا والدفاع عنّا، و قَبِل القليلَ من طاعتنا.

* روي الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّ رجلاً أتي النبيَّ صلي الله عليه و آله فقال: يا رسول اللّه، إنّ لي أهلاً قد كنتُ أصِلُهم وهُم يُؤذونني، و قد أردتُ رفضَهم! فقال له رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إذنْ يرفضكمُ اللّه جميعا ! قال: و كيف أصنع؟! قال: تُعطي مَن حَرَمك، و تَصِل مَن قطعك، و تعفو عمّن ظَلَمك، فإذا فعلت ذلك كان اللّه عزّوجلّ لك عليهم ظهيرا(3).وربّما جرّ العفوُ المعفوَّ عنه إلي الحياء والندم، والاعتذار و المحبّة.. ما

1- - أمالي الصدوق 414 / ح8 - المجلس 77.

2- - تحف العقول 206.

3- - بحارالأنوار 74: 100 - 101 / ح 50 - عن كتابَي الحسين بن سعيد أو كتابه النوادر.

يُدرينا ! يقول عصام بن المصطلق: دخلتُ المدينةَ فرأيتُ الحسينَ بن عليّ فأعجَبَني سَمتُه و رواؤه، و أثار من الحسد ما كان يُخفيه صدري لأبيه من البُغْض، فقلت له: أنت ابنُ أبي تراب؟! فقال: نعم. فبالغتُ في شتمه و شتم أبيه، فنظر إليَّ نظرةَ عاطفٍ رؤوف، ثمّ قال: أعوذُ باللّه من الشيطان الرجيم، بسم اللّه الرحمن الرحيم: «خُذِ العفوَ و أْمُرْ بالعُرْفِ و أعْرِضْ عنِ الجاهلين *و إمّا يَنزَغَنّك مِنَ الشيطانِ نَزْغٌ فاستعذْ باللّه ِ إنّه سميعٌ عليم * إنّ الذينَ اتّقَوا إذا مَسَّهُم طائفٌ مِنَ الشيطانِ تَذكّروا فإذا هُم مُبصِرون * و إخوانُهم يَمُدّونَهم في الغَيِّ ثمّ لايُقْصِرون»(1). ثمّ قال لي: خَفِّضْ عليك، أستغفر اللّه ـَلي ولك، إنّك لو استعَنْتَنا لَأعنّاك، ولو استرفدتَنا لَرفدناك، و لو استرشدتَنا لَرشدناك.

قال عصام: فتوسّم منّي الندم علي ما فرط منيّ، فقال: «لا تَثريبَ عليكمُ اليومَ يَغفرُ اللّه ُلكم وهُوَ أرحمُ الراحمين»(2)، أمِنْ أهل الشام أنت؟! قلت: نعم، فقال: شنشنةٌ أعرفُها مِن أخْزَم ! حيّانا اللّه ُو إيّاك، إنبسِطْ إلينا في حوائجك و مايعرض لك، تَجِدْني عند أفضل ظنّك إن شاء اللّه تعالي.

قال عصام: فضاقتْ علَيّ الأرضُ بما رَحُبت، و وددتُ لو ساخت بي! ثمّ سللتُ منه لواذا و ما علي الأرض أحبُّ إليّ منه و مِن أبيه(3).

كان الرجل الشاميّ متأثِّرا بالافتراءات الأمويّة، فتعرّف علي الحقائق من خلال العفو الحسينيّ الكريم. و من الخطورة بمكان أن يترك العبدُ عفوَه فينجرّ إلي ظُلْم ظالمه و خصمه، حيث يعاقبه بأكثرَ ممّا يستحقُّه من العقوبة، فيكون بذلك ظالما له، و متأسّيا بأخلاق ظالمه لا بأخلاق اللّه التي تدعوإلي العفو. فإذا خُيِّر المومنُ بين العقوبة والعفو، أو بين العقوبة الظالمة و العفو

1- - الأعراف 7 199 - 202.

2- - يوسف 12 92.

3- - سفينة البحار 2:116 - باب خلق، عن بعض الكتب الأخلاقيّة.

المظلـوم.. اختـار أن يكـون مظلومـا وهو عـافٍ عن ظـالمه.. وتلـك وصـيّةُ أميرالمؤمنين سـلام اللّه عليه حيث يُوصـي: و اقْدَموا علي اللّه مظلومين، ولا تَقْدَموا عليه ظالمين»(1).

ثمّ إنّ العبد – إذا كان مظلوما – و كَلَ أمرَه إلي بارئه تبارك و تعالي و فوّضَ إليه جميع شؤونه، و انتصر باللّه جلّ و علا.. قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: أوحي اللّه إلي نبيٍّ مِن أنبيائه: ابنَ آدم، اذكُرْني عند غضـبك أذكُرْك عند غضبي فلا أمحقُك فيمَن أمحق. واذا ظُلِمتَ بمظلمةٍ فارضَ بانتصاري لك؛ فإنّ انتصاري لك خيرٌ مِن انتصارك لنفسك(2).

ثمّ إنّ في ظُلْم الآخرين لنا نفعا يعود علينا، فظلمُهم يُربّي فينا مَلَكةَ الصبر و الحِلْم و خُلقَ العفو، و يزيد بذلك في ثوابنا و يكفّر عنّا سـيّئاتنا، و تلك كلمة أمير المؤمنين سـلام اللّه عليه تهتف في ضـمائرنا: مَن ظَلَمك فقد نفعك، و أضـرّ بنفسه!(3). و كلمته صـلوات اللّه عليه موصيةً لنا: لايَكبرنّ عليك ظلمُ مَن ظلَمَك؛ فإنّه يسـعي في مضرّته و نفعِك، وليس جزاءُ مَن سرَّك أن تَسُوءَه(4). و كلمته الأخري في توجيه القلوب إلي أُفق آخر: إذكرْ عند الظلم عدلَ اللّه فيك، و عند القدرة قدرةَ اللّه عليك(5).

والعفو عن الناس بعد ذلك – أيّها الإخوة – مسلك إلي عفو اللّه تعالي،و كيف لا و قد صدرت منه دعوة صريحةٌ إلي رحمته.. قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: يعفو بعضُكم عن بعض، و يصفح بعضكم عن بعض، فإذا فعلتم كانت رحمةٌ

1- – نهج البلاغة: الخطبة 151.

2- – بحار الأنوار 75 : 321 / ح 50 – عن كنز الفوائد للكراجكيّ.

3- – بحار الأنوار 75 : 320 / ح 48 – عن دعوات الراونديّ.

4- – نهج البلاغة: الكتاب 31.

5- – بحار الأنوار 75 : 322 / ح 50 – عن كنز الفوائد للكراجكيّ.

مِن اللّه لكم، يقول اللّه عزّوجلّ: «ألاَ تُحبّونَ أن يغفرَ اللّه ُلكم و اللّه ُغفورٌ رحيم»(1).

و من رحمة اللّه تعالي بنا أن يغفر اللّه ُلنا ويعفوَ عنّا، و مِن موجبات مغفرته لنا أن نغفر لإخواننا.. جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا وقعَ بين رَجُلَين منازعةٌ نزل مَلَكان.. فيقولانِ للسفيه منهما: قلتَ وقلت، وأنت أهلٌ لِما قلت، ستُجزي بما قلت. ويقولانِ للحليم منهما: صبرتَ و حَلُمت، سيغفر اللّه ُلك إن أتممتَ ذلك..(2).

وفي العفو رحمة بالذي أساء و أخطأ، وثوابٌ للذي حَلُم وصفح وعفا.. و أيُّ ثوابٍ هو ياتُري؟! يكفي ما رُوي عن أميرالمؤمنين صلوات اللّه عليه قوله: شيئانِ لا يُوزَن ثوابُهما: العفو، و العدل!(3). و إذا كان العفو معقولاً ـ و في محلِّه و مع من يستحقّه.. فإنّه لاينافي العدل، كما لايتعارض مع العقل. لكنّ العقوبة.. خاصّةً إذا استعجلها المظلوم، فإنّها قد تؤدّي إلي التضحية بالروابط الإنسانيّة والأخويّة، بل قد تجرّ إلي الظلم والحقد و الخصومة والانتقام! ولذا أوصي أمير المؤمنين سلام اللّه عليه قائلاً: لا تعاجلِ الذَّنْبَ بالعقوبة، و اترُكْ (واجعل خ ل) بينَهما للعفو موضعا، تَحْرِزْ به الأجرَ والمَثوبة(4).

كما أوصي الإمام الحسن المجتبي عليه السلام مِن بعده قائلاً: لا تعاجلِ الذَّنْبَبالعقوبة، و اجعلْ بينَهما للاعتذار طريقا(5).

وهنا قد يوسوس الشيطان.. بأنّ ترك العقوبة مُوجِب للمذلّة، و أمارةٌ

1- - تفسير نور الثقلين 3:583 / ح 68 - عن تفسير القميّ.

2- - الكافي 2:92 / ح 9 - باب الحلم.

3- - غرر الحكم 199.

4- - غرر الحكم 337، و عيون الحكم للواسطيّ 6: 479.

5- - الدرّة الباهرة 22.

علي ضـعف المظلوم وجُبنه و سكوته عن حقّه، و بذلك يخلق حالةً من الحقد و حافزا للانتقام، و ذاك دَورُه هنا، واللّه تعالي ينبّه قائلاً: «إنّما يُريدُ الشـيطانُ أن يُوقِعَ بينَكمُ العداوةَ والبغضاء..»(1)، وله إليهما وسائلُ عديـدة، واسـتفزازات متعـدّدة، منها في قلب العفو إلي ذُلّ في نظر العبـد، فينجرّ إلي مخاصـمة أخيه و معاداته، بل و إلي ظُلمه و إهانته، بدل أن يعفوَ عنه و يُعيدَ الرابطة الأخويّة إلي حياتها الأُولي و أفضل. و ليس العفو ذُلاً ـً أبـدا، لأنّنـا نحتكمُ فيه إلي الروايـة فنجـده عزّةً للعافي، وحفظا لماء وجه المعفوِّ عنه، وهو في الآخرة كرامـة من اللّه تبارك و تعالي و تكريم.. وهذه الروايات الشريفة بين أيدينا:

* قال رسول اللّه صـلي الله عليه و آله: ثلاثٌ – والذي نَفْسـي بيده – إن كنتُ حالفا لحلفتُ عليهنّ: ما نقصَتْ صدقةٌ مِن مال، فتصدَّقوا. ولا عفا رجلٌ مِن مَظْلمةٍ يبتغي بها وجهَ اللّه، إلاّ زاده اللّهُ بها عِزّا يومَ القيامة. ولا فتحَ رجلٌ علي نفسه باب مسألة، إلاّ فتحَ اللّهُ عليه بابَ فَقْر(2).

– العفو لايزيد العبدَ إلاّ عِزّا، فاعفُوا يُعِزَّكمُ اللّه (3).

– مَن عفا عن مظلمة، أبدَلَه اللّهُ بها عِزّا في الدنيا والآخرة.(4)

– عليكم بمكارم الأخلاق ؛ فإنّ اللّه عزّوجلّ بعثني بها.. و إنّ مِن مكارم الإخلاق: أن يَعفوَ الرجلُ عمّن ظلَمَه، و يُعطيَ مَن حَرَمه، و يَصِلَ مَن قطَعَه،و أن يعودَ مَن لايعودُه(5).

* و رُويَ عن أميرالمؤمنين عليه السلام أ نّه قال: العفوُ تاج المكارم(6).

1– – المائدة 5 91.

2– – جامع السعادات 1:301 – باب العفو.

3– – جامع السعادات 1:301 – باب العفو.

4– – أمالي الطوسيّ 1:185.

5– – أمالي الطوسيّ 2:92.

6– – غرر الحكم 32.

* و قد جاء رجلٌ إلي رسول اللّه صلي الله عليه و آله يشكو مَظْلمة، فأمره النبيُّ صلي الله عليه و آله أن يجلس، و أراد أن يأخذ له بمَظلمته إلاّ أ نّه سبق ذلك بأن قال: إنّ المظلومين همُ المفلحونَ يومَ القيامة. فأبي الرجل أن يأخذ بمظلمته حين سَمِع ذلك(1).

* * *

سادسا: ثم مِن ثمار العفو ما تحكيه هـذه الآيـة الشـريفة: بسم اللّه الرحمن الرحيم: «ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصالحاتِ مِن ذَكَرٍ و أُنثي و هُوَ مؤمنٌ فأولئك يَـدْخُلون الجَنّةَ ولا يُظلَمونَ نَقيرا»(2). ولاـ شكَّ أنّ خُلقَ العفو من الأعمال الصالحـة، وقـد شـرط اللّه ُ تبارك وتعالي في المجازاة بالجنّـة أن يكون العامـلُ للصالحات مؤمنا، فالجنّـةُ لمَن آمنَ و عَمِل صالحا، واتّقي اللّه ُ سـبحانَه في حركاته و سـكناته، و في أقواله و أفعاله ونيّاته، و في مشاعره وعقائده و أخلاقيّاته.. قال عزّوجلّ في محكم كتابه: «تلك الجنّةُ التّي نُورِثُ مِن عبادِنا مَن كانَ تَقيّا»(3).

* وجاء عن الرسول المصطفي الأكرم صلي الله عليه و آله قوله: أكثرُ ما تَلِجُ به أُمّتي

الجنّـة: تقوي اللّه، و حُسنُ الخُلق(4). ثلاـثٌ مَن لَقِيَ اللّه َ عزّوجـلّ بهنّ دخَلَ الجنّـةَ مِن أيِّ بابٍ شاء: مَن حَسُن خلُقُه، و خشِـيَ اللّه َ في الغَيب والمحضـر، و تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقّا(5).* وجاء عن أميرالمؤمنين عليه السـلام أ نّه قال: قال رجلٌ للنبيّ صـلي الله عليه و آله: يا رسولَ اللّه، علِّمْني عملاً لا يُحال بينَه و بين الجنّة. قال: لا تغضب، ولا تسألِ

1- - المحجّة البيضاء 5 : 319.

2- - النساء 4 124.

3- - مريم 19 63.

4- - الكافي 2: 82 / ح 6 - باب حسن الخلق.

5- - الكافي 2: 227 / ح 2 - باب المراء..

الناسَ شيئا، و ارضَ للناس ما ترضي لنفسك(1).

ولا ـ يخفي علينا – أيّها الإخوة الأحبّة – أنّ العفو مِن حُسن الخُلق، كما أنّه يتطلّب مِن صاحبه ألاّ يغضب؛ لئلاّ يعاقبَ مَن غَضِب عليه، و يتطلّب منه كذلك ألاّ يسخطَ علي الناس ممّا يرضاه هو لنفسه، فتلك حالةٌ تناقض.. أن يستنكرَ من الآخَرين ما يُبرّره لنفسه ولمَن يُحبّ.

فمَن عَلِم أنّه يُخطئ و يُسيء، ثمّ يُحبّ أن يُسامَحَ و يُعفي عنه، فلْيُحبَّ لأخيه من العفو ما يُحبّه لنفسه، و بذلك يُمسِك بأحد أسباب الدخول إلي الجنّة و هو مكرَّمٌ مشرَّف معزَّز..

* قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إذا كان يومُ القيامة نادي منادٍ يُسمِع آخِرَهم كما يُسمِع أوّلَهم.. فيقول: أين أهلُ الفضل؟ فيقوم عُنُقٌ من الناس، فتستقبلهمُ الملائكة فيقولون: ما فضلُكُم هذا الذي تردّيتم به؟!

فيقولون: كنّا يُجهَل علينا في الدنيا فنتحمّل، و يُساء إلينا فنعفو.

قال: فيُنادي منادٍ من اللّه تعالي : صدقَ عبادي، خَلُّوا سبيلهم ليدخلوا الجنّةَ بغير حساب(2).

* و عن أبي حمزة الثُّماليّ، عن عليّ بن الحسين عليهماالسلام قال: إذا كان يومُ القيامة، جمَعَ اللّه تبارك وتعالي الأوّلين والآخِرين في صعيدٍ واحد، ثمّينادي مُنادٍ: أين أهل الفضل؟ فيقوم عنُقٌ من الناس، فتلقّاهمُ الملائكة فيقولون: و ماكان فضلُكم؟ فيقولون: كنّا نَصِل مَن قَطَعَنا، و نُعطي مَن حرَمَنا، و نعفو عمّن ظلَمَنا، فيُقال لهم: صدقتُم، ادخلُوا الجنّة(3).

* وعن رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إذا عنّتْ لكم غضبة فادْرَؤوها بالعفو، إنّه ينادي

1- – أمالي الطوسيّ 2:121.

2- – أمالي الطوسيّ 1: 101.

3- – الكافي 2:88 / ح 4 – باب العفو.

منادٍ يومَ القيامة: مَن كان له علي اللّه أجرٌ فَلْيَقُم. فلا يقوم إلاّ العافون، ألم تسمعوا قولَه تعالي: «فمَن عفا و أصلحَ فأجرُه علي اللّه»؟![1].

* و رُوي عنه صلي الله عليه و آله أيضا أ نّه رُئيَ ضاحكا حتّي بدت ثناياه، فقيل له: يارسول اللّه، ممّا ضَحِكتَ؟ فقال: رجلانِ مِن أُمّتي جَثَيا بين يَدَي ربيّ، فقال أحدهما: ياربّ، خُذْ لي بمظلمتي من أخي، فقال اللّه تعالي : أعطِ أخاك مظلمتَه، فقال: ياربّ، لم يبقَ من حسناتي شيء، فقال: ياربّ، فليحملْ عنّي من أوزاري.

ثمّ فاضتْ عينا رسول اللّه صلي الله عليه و آله وقال: إنّ ذلك اليومَ لَيومٌ يحتاج الناس فيه إلي مَن يحمل عنهم مِن أوزارهم. ثمّ قال اللّه تعالي للطالب بحقِّه: ارفعْ بصرَك إلي الجنّة، فانظرْ ماذا تري؟! فرفع رأسه فرأي ما أعجَبَه من الخير والنعمة، فقال: ياربّ، لمَن هذا؟! فقال: لمَن أعطاني ثَمنَه، فقال: يا ربّ، و مَن يملك ثَمنَ ذلك؟! فقال: أنت، فقال: كيف لي بذلك؟! فقال: بعفوك عن أخيك، فقال: ياربِّ قد عفوتُ، فقال اللّه تعالي : فَخُذْ بيد أخيك فادخلا الجنّة.

ثمّ قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: فاتّقُوا اللّه و أصلِحُوا ذاتَ بينِكم[2].

وقد يقول قائل: إنّ أمام العبد لَأهوالاً و مواقفَ شديدةً يُحاسَب فيها حسابا دقيقا حتّي يعرف بعد ذلك مآله و مصيره، ففي ظلّ قوله تعالي : «و يخافون سُوءَ الحساب» قال الإمام الصادق عليه السلام: يُحسَب عليهمالسيّئات، و يُحسَب عليهم الحسنات، وهو الاستقصاء..[3].

1- - إعلام الدين 337 - من أربعين ابن ودعان الموصليّ.. والآية في سورة الشوري 42 40.

2- - إعلام الدين 337 - 338/ ح18.

3- - تفسير العيّاشيّ في ظل الآية 21 من سورة الرعد(13).

فأين نحن – أيّها الإخوة المؤمنون – من هذا؟!

أجـل، إنّ أمـامَ العبـد حسابـا، يهوّنه حسنُ الخلق؛ لقول أميرالمؤمنين عليه السـلام لنوف: يـانوف، صِلْ رَحِمَك يزيـد اللّه في عُمرك، حَسِّنْ خُلُقَك يُخفّف اللّهُ حسابَك.(1) وصـلة الرحم قد تتطلّب من المؤمن أن يعفو عن أرحامه، ليبقي معهم علي رابطة حسن القُربي. والعفو هو من الخلُقِ الحسَن الـذي يخفّف اللّهُ تعالي به حسابَ العبـد واسـتقصاءه.. قال الشـيخ الطبرسـيّ في ظلّ الآية المباركة: «فسَوفَ يُحاسَـبُ حسابا يسيرا»:

يريـد أ نّه لاـ يُنـاقَش في الحسـاب، أو يُوقَف علي ماعمـل من الحسـنات و ما له عليها من الثواب، و ما حُطّ عنه من الأوزار.. إمّا بالتوبـة أو بالعفو. وقيل: الحساب اليسير هو التجاوز عن السيّئات، والإثابة علي الحسنات، و مَن نُوقش الحسابَ عُذِّب(2).

* و في الحديث النبويّ الشـريف: ثلاث مَن كنّ فيه حاسَبَه اللّهُ حسابا يسيرا، وأدخله الجنّة برحمته: تُعطي مَن حَرَمك، و تَصِل مَن قَطَعَك، و تعفو عمّن ظَلَمك(3).

و أهل العفو هم أهل سـلامة الصدر و محبّة الناس والعطف عليهم، وهم أهلُ الغضّ عن الإساءات، و التجاوز عن التجاوزات، حتي يكونوا مؤهّلين لأـن يتجـاوزَ اللّهُ تعـالي عن سـيئاتِهم، و يخفّفَ عنهم حسابـاتِهم؛ لأـنّهم خفّفوا حسابَ إخوانهم و أدخلوا السـرورَ علي قلوبهم بالعفووالصفح.. عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إذا بعَثَ اللّه عزّوجلّ المؤمنَ مِن

1– – أمالي الصدوق 174/ ح9 – المجلس 37.

2– – مجمع البيان في تفسيرالقرآن – في ظلّ الآية 8 من سورة الانشقاق 84.

3– – تفسير نور الثقلين 5 : 537 / ح12.

قبره خرَجَ معه «مثال» يَقْدِمه أمامه، كلّما رأي المؤمنُ هَولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزَعْ ولا تحزن، و أبشِرْ بالسرور و الكرامة من اللّه عزّوجلّ.. حتّي يقفَ بين يدَي اللّه عزّوجلّ فيحاسبه حسابا يسيرا، ويأمر به إلي الجنّة والمثالُ معه، فيقول له المؤمن: رَحِمَك اللّه، نِعمَ الخارجُ خرجتَ معي من قبري، و مازلتَ تُبشّرني بالسرور والكرامة مِن ربيّ..حتّي رأيت ذلك! فيقول: مَن أنت؟! فيقول (أي المثال): أنا السرور الذي أدخلتَه علي أخيك المؤمنِ في الدنيا، خلَقَني اللّه عزّ وجلّ منه لأُبشِّرَك(1).

وأهل العفو هم أهل المحبّة والأُلفة والإخاء، ومن تكريم اللّه جلّ وعلا لهم أنّه يخفّف الحساب عليهم، بل يمنحهم درجاتٍ تُدخلهم في رحمته، و فسيح جنّته.. بغير حساب.هذا إذا تعاملوا علي حبّ اللّه، و حسن الخُلقِ الذي يحبّه اللّه، فإنّ ذلك من موجبات الرحمة الإلهيّة:

* قال النبيّ صلي الله عليه و آله: عليكم بحُسْنِ الخُلق؛ فإنّ حُسْن الخُلق في الجنّة لا محالة(2).

ومِن حُسن الخُلق: العفو، وهو مُدخِلٌ صاحبَه – بلطف اللّه – في الجنّة و بغير حساب؛ لقول رسول اللّه صلي الله عليه و آله: إذا كان يومُ القيامة نادي منادٍ: مَن كان أجرُه علي اللّه فَلْيَدخل الجنّة، فيُقال: مَن هُم؟ فيُقال: العافونَ عن الناس يدخلون الجنّة بلاحساب(3).

* و عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ثلاثٌ مَن كنّ فيه استكمل خصالالإيمان: مَن صبَرَ علي الظلم، و كظَمَ غيظَه واحتسب، و عفا وغفر.. كان

1- – الكافي 2: 152 / ح 8 – باب إدخال السرور علي المؤمنين.

2- – مجمع البيان 10: 333.

3- – جامع الأخبار 320 / ح 897 – الفصل 72 في كظم الغيظ.

ممّن يُدخله اللّه الجنّةَ بغير حساب، و يشفّعه في مِثْل ربيعةَ و مُضَر(1).

وهـذه الحالات.. يفتقر العفو إليها، فإذا تكاملت في القلب أقـدَمَ العبـد علي أخيه يغفر له إساءتَه، و يسامحه علي ما بدر منه، و يكظم غيظه حتّي يؤوب صاحبُه إلي رُشْـده، ويصبر عليه حتّي تعود المحبّـة في اللّه إلي حالها، فإذا كان التحابُ في اللّه تعالي كان الـدخولُ إلي الجنّة بغير حسـاب.. عن أبي حمزة الثُّمـاليّ قـال: قال عليُّ بن الحسـين عليهماالسـلام: إذا جمَعَ اللّه عزّوجلّ الأوّلينَ والآخرين قام منادٍ فنادي، يُسـمِع الناس، فيقول: أين المتحابّون في اللّه؟ فيقوم عنقٌ من الناس فيُقال لهم: إذهبوا إلي الجنّة بغير حساب. فتَلقّاهمُ الملائكة فيقولون: إلي أين؟ فيقولون: إلي الجنّة بغير حساب. قال: فيقولون: فأيُّ ضربٍ أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابّون في اللّه. فيقولون: وأيّ شيءٍ كانت أعمالُكم؟ قالوا: كنّا نحبّ في اللّه، و نُبغض في اللّه. قال: فيقولون: نِعمَ أجرُ العاملين(2).

وإذا كـان بـالعفو الجنّـة، فمـا أدرانـا مـا الجنّـة؟! يكفي أنّها: موضعُ رضوان اللّه تعالي، و أنّها أجرُ العاملين، و محلُّ الأمان، و موقع الرحمة الإلهيّـة، و فيها ما تَلَـذّ الأعينُ و تشـتهي الأنفس؛ جزاءً بما كان من العبـد من: الإيمان الصادق، والعمل الصالـح، و ما تحلّي به من الحِلْم والصَّفح، وكظم الغيظ، و العفو؛ طاعةً للّه جلّ وعلا، و صبرا عن معصيته، و اتّقاءً من متابعةِ الهوي.. قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: مَن كظَمَ غيظا وهو يَقْدر علي أن ينفذه، دعاه اللّه يومَ القيامة علي رؤوس الخلائق حتّي يتخيَّر مِن الحُور ماشاء(3). فهناك الأمان

1- - الخصال 104 / ح 63 - باب الثلاثة.

2- - الكافي 2: 103 / ح 8 - باب الحبّ في اللّه والبغض في اللّه.

3- - جامع الأخبار 319 / ح 895 - الفصل 72 في كظم الغيظ.

الحقيقيّ وطمأنينة القلب، والسُّكني في مساكن الشرف والرِّفعة والكرامة.. جاء عن النبيّ الأكرم صلي الله عليه و آلهأ نّه قال: رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي قصورا مستويةً مُشرِفةً علي الجنّة، فقلتُ: يا جبريل، لمَن هذا؟ فقال: للكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، واللّهُ يحبُّ المحسنين(1).

و إنّ في الجنّة ما لاعينٌ رأت، و لا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطَر علي قلب بشر، و يكفي أن يقول تعالي في كتابه العزيز بشأنها: «فلا تَعلمُ نَفْسٌ ما أُخفِيَ لَهُم مِن قُرّةِ أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون»(2)، فجاءت كلمة «نفس» هنا نكرةً في سياق النفي لتفيد العموم، أمّا إضافة «قُرّة» إلي «أعْيُن» لا إلي: أعينهِم، فتفيد أنّ فيماأُخفيَ لهم قرّة عينِ كلِّ ذي عين، والمعني: فلا تعلم نفسٌ من النفوس ما أخفاه اللّهُ لهم ممّا تَقَرّ به عينُ كلِّ ذي عين، أي هو فوقَ علمهم و تصوّرهم؛ جزاءً بما كانوا يعملون في الدنيا(3).

وفي الرواية: عن عاصم بن حميد: قال أبو عبداللّه الصادق عليه السلام: إنّ اللّه تعالي خلَقَ جَنّةً بيده، ولم تَرَها عين ولم يطّلعْ عليها مخلوق، يفتحها الربُّ كلَّ صباح، فيقول: إزدادي ريحا، إزدادي طِيبا.. وهو قول اللّه: «فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرّةِ أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون»(4).

و إنّما أُعِدّ ذلك للمؤمنين العاملين بالطاعات، المتّقين الحذرين من الوقوع في المعاصي والموبقات، المسارعين في الخيرات والباقياتالصالحات.. يقول النبيّ صلي الله عليه و آله: مَن اشتاق إلي الجنّة سارع إلي الخيرات(5). فالجنّة لمَن صحّت عقيدته و عمل خيرا و تجنّب شرّا، وسَلِم قلبا و صدرا،

1- - كنزالعمّال/ خ 7016 .

2- - السجدة 32 17.

3- - الميزان في تفسير القرآن 16 : 263.

4- - تفسير نورالثقلين 4:227 / ح 27.

5- - مكارم الأخلاق 447.

وحَسُن خلُقُه و تحلّي بالفضائل و منها: العفو عن الإخوان.. ولقد كان الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليهماالسلام يدعو ربَّه عزّ وجلّ ويطلب منه العفوَ عن الناس فيما كان منهم من الإساءة إليه، فيقول ضمن دعائه المبارك:

اللّهمّ و أيُّما عبدٍ نال منّي ما حَظَرْتَ عليه، وانتهك مني ما حجَرَتَ عليه (أي حرّمتَ عليه)، فمضي بظُلامتي ميّتا، أو حصلتْ لي قِبَلَه حيّا، فاغفرْ له ما ألَمّ به عنّي، ولا تَقِفْه علي ما ارتكب فيّ، ولا تكشفْه عمّا اكتسب بي. واجعلْ ماسمحتُ به من العفو عنهم، وتبرّعتُ به من الصدقة عليهم.. أزكي صدقاتِ المتصدّقين، و أعلي صِلاتِ المتقرّبين، و عوِّضْني مِن عَفْوي عنهم عفوَكَ، و مِن دعائي لهم رحمتَك، حتّي يَسْعَدَ كلُّ واحدٍ منّا بفضلِك، و يَنجوَ كلُّ مِنّا بمَنِّك..(1).

وكان الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لايضرب عبدا ولا أمَة، و كان إذا أذنب العبدُ أو الأمة يكتب عنده: أذْنَبَ فلان، أذنَبَتْ فلانة يومَ كذا و كذا، ولم يعاقبه، فيجتمع عليهم الأدب.. حتّي إذا كان آخِرُ ليلةٍ من شهر رمضان دعاهم و جمعهم حوله، ثمّ أظهر الكتابَ ثمّ قال: يا فلان، فعلتَ كذا و كذا ولم أؤدّبك، أتذكر ذلك؟ فيقول: بلي يا ابن رسول اللّه.. حتّي يأتيَ علي آخِرهم و يُقرّرهم جميعا، ثمّ يقوم وسطَهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا:

يا عليَّ بن الحسين، إنّ ربّك قد أحصي عليك كلَّ ما عمِلتَ كما أحصيتَ علينا كلَّ ما عَمِلْنا، ولديهِ كتابٌ ينطقُ عليك بالحقّ لايغادر صغيرةً ولا كبيرةً ممّا أتيتَ إلاّ أحصاها، وتَجِدُ كلَّ ما عملتَ لديه حاضراكما وجَدْنا كلَّ ما عَمِلْنا لديك حاضرا، فاعفُ واصفحْ كما ترجو من المليك

1- - الصحيفة السجّاديّة المباركة: الدعاء 39 - في طلب العفو والرحمة.

العفو، و كما تحبّ أن يَعفُوَ المليك عنك، فاعفُ عنّا تَجِدْه عفوّا، وبك رحيما ولك غفورا، ولا يظلمُ ربُّك أحـدا.. فاذكرْ يا عليّ بن الحسـين ذُلَّ مقامك بين يَدَي ربِّك الحَكَمِ العدل..

والإمام زينُ العابدين ينادي بذلك علي نفسه و يُلقّنُهم، وهم ينادون معه، وهو واقفٌ بينهم يبكي و ينوح ويقول: ربِّ إنّك أمَرْتَنا أن نعفوَ عمّن ظَلَمنا.. الـدعاء. ثمّ يُقْبِل عليهم ويقول: قـد عفوتُ عنكم، فهل عفوتُم عنّي و عمّا كان منيّ إليكم مِن سُوء مِلْكـة؟ فيقولون: قد عفَونا عنك يا سيّدنا، و ما أسأتَ. فيقول عليه السـلام لهم: قولوا: اللّهمّ اعفُ عن عليّ بن الحسـين كما عفا عنّا، و أعتِقْه من النار كما أعتقَ رقابَنا مِن الرِّقّ. فيقولون ذلـك، فيقول: اللّهمّ آمين يـا ربّ العالمين، إذهبوا فقـد عفوتُ عنكم، و أعتقتُ رقابَكم رجاءً للعفو عنّي و عتقِ رقبتي. فيعتقهم، فإذا كان يومُ الفطر أجازهم بجوائز تصونُهم و تُغنيهم عمّا في أيدي الناس(1).

أجل، فأولي بمَن يُحبّ العفوَ لنفسه، و يدعو به لإخوانه.. أن يعفوَ هو أوّلاً عنهم، طالبا بذلك مرضاةَ اللّه تبارك و تعالي ، و مُحْرِزا سلامةَ قلبه من الأحقـاد، و متخلِّقـا بأخلاـق اللّه جـلّ وعلاـ و منها: العفو عن العباد؛ لينال بهـذا من اللّه تعالي جميلَ العفو، فهو أهل العفو والرحمة والمغفرة، حيث نـدعوه بـدعاء الإمام المهـديّ عليه السـلام في كلّ ليلـةٍ من ليالي شـهر رمضان (وهو دعاء الافتتاح) فنخاطبه في مسـتهلّ الـدعاء: اَللّهمّ إنّي أفتتحُ الثناءَ بحمدِك، و أنت مسدِّد للصواب بمَنّك، و أيقنتُ أنّك أنت أرحمُ الراحمينَ في موضع العفوِ والرحمة..»(2)، و ندعوه جلّ وعلا بالمناجاة الشعبانيّة لأمير المؤمنين عليه السلام

1- – الصحيفة السجّاديّة الجامعة للسيّد محمّد باقر الأبطحيّ 285 – 287.

2- – كتب الأدعيّة – باب أدعية ليالي شهر رمضان، منها: مصباح المتهجّد 520.

فنخاطبه: إلهي، إن كنتُ غيرَ مستأهِلٍ لرحمتِك، فأنت أهلٌ أن تَجودَ علَيّ بفضلِ سّ عَتِك. إلهي، كأنّي بنفسي واقفةٌ بين يدَيك، و قد أظَلّها حُسنُ توكّلي عليك، فقلتَ ما أنت أهلُه و تغمدّتَني بعفوك. إلهي، إنْ عفوتَ فمَن أَولي بذلك؟!.. إلي أن يقول عليه السلام: إلهي، أنَا عبدٌ أتنصّلُ إليك ممّا كنتُ أُواجهك به مِن قلّة استحيائي مِن نَظَرِك، و أطلبُ العفوَ منك إذِ العفوُ نعتٌ لكرمِك..»(1).

* * *

سابعا: و من ثمار العفو ما تُفصح به الآياتُ الكريمة التالية:

بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم: «و مَن أحسَنُ قَولاً ممّن دعا إلَي اللّه ِ و عَمِل صالحا و قال إنّني من المسلمين * ولا تستوي الحسنةُ ولاَ السيّئةُ ادفعْ بالّتي هيَ أحسنُ فإذا الّذي بينَك وبينَه عداوةٌ كأنّه وليٌّ حميم * و ما يُلقّاها إلاّ الّذينَ صبروا و مايُلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم»(2).

فالعفو يُثمر عن إصلاح ذات البَين، وعن خلُق المودّة والإخاء والمحبّة بين الناس، و به تُزال الضغائن و الأحقاد؛ ولذا أُمِرنا به لكي نعيش متحابّين متآخين في الدنيا، ثمّ نمضي إلي ربِّنا تعالي مغفورا لنا مَرْضيّين عند بارئنا جلّ وعلا. أُمِرنا بالدفع بالتي هي أحسن، و قد يكون العفو في مواقعَ كثيرة و حالاتٍ عديدة هو الدافعَ بالتي هي أحسن مِن بين المواقف،و بالتي هي أسلم للروابط والأفضلَ عاقبةً.

والعفو سبيل من سبل الدعوة إلي اللّه تبارك وتعالي ، وهو من الحسنةالتي لاتستوي مع السيئة، ومن صالح الأعمال الذي يصدّق الادّعاءَ بالإسلام، فإذا عفا المرء عن مسيءٍ أو مقصّرٍ فإنّما يعبّر عن تساميه علي

1- - كتب الأدعية - باب أدعية شهر شعبان، منها: إقبال الأعمال 686.

2- - فُصّلت 41 33 - 35.

الحقـد و عطفه علي الخـاطئين، وامتثـاله و طـاعته لأـمر ربِّ العـالمين، فكان أهلاً للـدعوة إلي اللّه جلّ شأنه، و كان موفّقا في: التأثير علي النفوس، و خَلْق أجواء المحبّـة، ورفع حالة الحقد والعداوة والخصومة.. «فإذا الذي بينَك وبينَه عداوةٌ كأنّه وليٌّ حميم»(1)، فإذا العدوّ يصبح كأنّه وليٌّ شـفيق، فعشتَ معه رابطـةً يرتاح لها القلب وتهدأ بها النفس، ثمّ عُدتَ إلي اللّه عزّوجلّ راضـيا وممدوحا بقوله تعالي: «و ما يُلقّاها إلاّ الـذينَ صبروا و ما يُلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم».. ذو نصـيبٍ وافرٍ من كمال الإنسانيّة و خصال الخير التي يُثاب العبد عليها؛ رضوانا من اللّه جلّ جلاله، وجناتٍ و نعيما دائما.

إذن، فالعفو منّا يؤدّي إلي الإصـلاح والمودّة، بدل إفسادِ العلائق وإحلال العداوة والأحقاد.. وَفَد العُلا بن الحضـرميّ علي النبيّ صـلي الله عليه و آله فقال: يا رسول اللّه، إنّ لي أهلَ بيتٍ أُحسن إليهم فيُسـيئون، و أصِـلُهم فيقطعون.فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: «إدفَعْ بالّتي هيَ أحسَنُ فإذا الذي بَينَكَ وبَينَهُ عَداوةٌ كأنَّهُ وَليٌّ حَميمٌ * و ما يُلقّاها إلاّ الّذينَ صَبَروا و ما يُلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم»، فقال العلا

بن الحضرمي: إنّي قلت شعرا، قال: و ما قلت؟ قال:

فإنْ أظهروا خيرا فجازِ بمِثْلِه***و إن خَنَسوا عنك الحديثَ فلا تَسَلْ

فإنّ الذي يُؤذيك منك سماعُه***وإنّ الذي قالوا وراءَك لم يُقَلْ

فقال النبيّ صلي الله عليه و آله: إنّ مِن الشعر لَحِكَما، و إنّ من البيان لَسِحْرا، و إنّ شِعرَك لحَسَن، وإنّ كتاب اللّه أحسن(2).

فالأحسن يكون بالعفو، و بالعفو يُجمِّل العافي صاحبَه المعفوَّ عنه،

1- - فُصّلت 41 34.

2- - أمالي الصدوق 495/ح 6 - المجلس 90.

ويـدفع سوءَه و شـرَّه إذا كان ذا سُوءٍ و شـرّ، ويكسب قلبه إذا كان مسـتعدّا للإخاء، و يزيل عنه الحقد ويزرع مكانه الوئامَ والمحبّة، و يُصـلح الأمر ويقبر الفتنة. وفي تفسـير الآية الشـريفة قيل: لقد أدّب اللّه ُعزّوجلّ نبيَّه صلي الله عليه و آله فقال: «ولا تستوي الحسنةُ ولاالسيّئةُ ادفعْ بالّتي هيَ أحسن»، قال: ادفعْ سيّئةَ مَن أساء إليك بحسَنتِك، حتّي يكون الذي بينك وبينَه عداوةٌ كأنّه وليٌّ حميم(1).

ودفعُ السـيّئة بالحسـنة، وإبـدالُ العداوة إلي أخاء.. هما ممّا يجلب للعبد المؤمن الراحةَ في الدنيا، و حسنَ الثواب في الآخرة؛ لأنّ في ذلك طاعـةً للّه جلّ وعلا.. في كتاب (الخصال) للشـيخ الصـدوق فيما علّم أميرالمؤمنين عليه السـلام أصـحابه من الأربعمائـة بابٍ ممّا يُصـلح المسـلمَ في دينه و دنياه، قال: صافحْ عدوَّك و إنْ كرِه؛ فإنّه ممّا أمرَ اللّه ُعزّوجلّ به عبادَه، يقول: «إدفعْ بالّتي هيَ أحسنُ فإذا الذي بينَك و بينَه عـداوةٌ كـأنّه وليٌّ حميم * و ما يُلقّاها إلاّ الّـذين صبروا و ما يُلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم»، ما يكافي عـدوَّك بشـيءٍ أشـدُّ مِن أن تُطيعَ اللّه َفيه، و حَسْبُك أن تري عدوَّك يعملُ بمعاصي اللّه عزّوجلّ(2).

ودَيـدنُ العبـد المؤمن أن يطيع اللّه َعزّوجلّ، وليس قادرا علي ذلك إلاّ بتنمية التقوي في القلب، و تربية مكارم الأخلاق في النفس، والتجرّد عن مساوئ الصفات و مذامّها، لذا نري الإمام السجّاد زين العابدين عليَّ بين الحسين عليهماالسلاميدعو في صحيفته المباركة فيقول:

اَللّهمّ إنّي أعوذُ بك من: هيجانِ الحِرص، وسَورةِ الغضب، وغَلَبةِ الحسد،

1- - تفسير القمّيّ 2 : 269، في ظلّ الآية المباركة 34 من سورة فُصّلت 41.

2- - الخصال633.

وضَعفِ الصبر، وقلّةِ القناعة، وشكاسةِ الخُلق، وإلحاحِ الشهوة، ومَلَكةِ الحميّة، و متابعةِ الهوي، ومخالفةِ الهدي، وسِنةِ الغفلة، وتعاطي الكُلْفة، وإيثارِ الباطلِ علَي الحقّ، و الإصرارِ علي المأثم، و استصغار المعصية، واستكبارِ الطاعة..»(1).

ويقول سلام اللّه عليه أيضا: اللّهمّ صَلِّ علي محمّدٍ و آلِ محمّد، و أبْدِلني مِن بِغْضة أهلِ الشَّنَآنِ المحبّة، ومِن حَسَدِ أهلِ البغيِ المودّة، ومِن ظِنّةِ أهلِ الصلاحِ الثقة، و مِن عداوةِ الأدنَينَ الوَلاية، و مِن عقوق ذوي الأرحامِ المَبرّة، و مِن خِذْلانِ الأقربينَ النُّصْرة، ومِن حُبِّ المُدارِينَ تصحيحَ المِقة،

و مِن رَدِّ المُلابِسين كرَمَ العِشرة..»، ثمّ يمضي في دعائه الشريف هذا حتّي يقول صلوات اللّه عليه: اللّهمّ صَلِّ علي محمّدٍ وآله، وسَدِّدْني لِأن أُعارِضَ مَن غَشّني بالنُّصْح، و أجزيَ مَن هَجَرني بالبِرّ، و أُثيبَ مَن حَرَمني بالبَذل، وأُكافيَ مَن قطَعَني بالصِّلة، و أُخالفَ مَنِ اغتابني إلي حُسْنِ الذِّكر، و أن أشكر الحسنة و أُغْضِيَ عن السيّئة. اللّهمَّ صَلِّ علي محمّدٍ وآله، و حَلِّني بحِلْيةِ الصالحين، و ألْبِسْني زينةَ المتّقين.. في بَسطِ العدل، و كظمِ الغَيظ، و إطفاءِ النائرة، و ضمِّ أهلِ الفُرقة، و إصلاحِ ذاتِ البَين، وإفشاءِ العارفة، و سَترِ العائبة، و لِينِ العريكة، و خَفضِ الجَناح، و حُسنِ السِّيرة، و سكونِ الرِّيح، و طِيبِ المخالقة، والسَّبقِ إلي الفضيلة، وإيثارِ التفضّل..(2)

و ممّا مرّ علينا – أيُّها الإخوة الأكارم – يُوصل إلي هذه الحقيقة، وهي:أنّ العفو يأتي بالثمار الدنيويّة، وبالثمار الأُخرويّة.. إذا أصبح سببا:

1- – الصحيفة السجّاديّة المباركة: الدعاء الثامن في الاستعاذة من المكاره و سيّئ الأخلاق ومَذامّ الفعال.

2- – الصحيفة السجّاديّة المباركة: الدعاء العشرون في مكارم الأخلاق و مرضيّ الأفعال.

لإصلاح ذات البَين، و دفعِ السُّوء والشرِّ والخصومة والعداوة، وإحلال الألفة والمحبّة والمودّة. أو كان العفو سببا: لنشر خلُق خفض الجَناح، و سكونِ الغضب، و طِيب المخالقة.. فربّما عفونا عن أخٍ لنا في اللّه تعالي، ثمّ دارت الأيّام دورتها فأصلح نفسه و ترك خطأه، فإذا بنا وقد صدر منّا معه خطأٌ أو إساءة، فما يُنتظَر هنا؟ إنّ الذي يُنتَظَر هو أن يعفوَ ذلك الأخُ في اللّه عنّا، كما عفونا عنه فيما مضي.

فالعفو صفةٌ محمودة، وهو في الآخرة ثواب و مغفرة وجَنّة «و رضوانٌ مِنَ اللّه ِ أكبرُ ذلك هو الفوزُ العظيم»(1)؛ لأنّ في العفو دعوةً إلي اللّه جلّ و علا، و تخلّقا بأخلاق اللّه تعالي، و سلوكا إلي مرضاته، و تأسّيا برسوله صلي الله عليه و آله و بأهل بيته الأطهار صلوات اللّه عليهم أجمعين.

* شكا إلي رسول اللّه صلي الله عليه و آلهرجلٌ مِن خدمه، فقال صلي الله عليه و آله له: اعفُ عنهم تستصلحْ به قلوبَهم.فقال الرجل: يا رسول اللّه، إنّهم يتفاوتون في سوء الأدب، فقال صلي الله عليه و آله:اعفُ عنهم. ففعل(2).

* و رُويَ أنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله لمّا فتح مكّة.. طاف بالبيت و سعي، فصلّي ركعتين ثمّ أتي الكعبة فأخذ بِعُضادَتَي الباب فقال لأهل مكّة: ما تقولون، و ما تظنّون؟! قالوا: نقول: أخٌ و ابن عمّ، حليمٌ رحيم – قالوا ذلك ثلاثا – فقال صلي الله عليه و آله: أقول كما قال أخي يوسُف: «لا تَثريبَ عليكمُ اليومَ يَغفِرُ اللّه ُ لكُم وهو أرحمُ الراحمين».. فخرجوا كأنّما نُشِروا من القبور، فدخلوا فيالإسلام(3).

1– – التوبة 9 72.

2– – مستدرك الوسائل 2 : 87.

3– – أورد الروايةَ جلُّ المؤرّخين في قصّة فتح مكّة، يراجع: تاريخ الطبريّ، و سيرة ابن هشام، والكامل في التاريخ لابن الأثير 2:120. والآية في سورة يوسف 12 92.

فكان العفو إصلاحا لهم ولأمورهم، ودعوةً إلي الحقّ، وفسحا للطريق إلي اللّه عزّوجلّ، ولقد صدق أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام إذْ قال: الاستصلاح للأعداء بحُسنِ المقال، و جميلِ الأفعال، أهونُ مِن ملاقاتهم و مُغالبتِهم بمضيضِ القتال(1).

* ويروي أميرالمؤمنين عليه السلام فيقول: إنّ يهوديّا كان له علي رسول اللّه صلي الله عليه و آلهدنانير، فتقاضاه، فقال له: يا يهوديّ، ماعندي ما أُعطيك.فقال: فإنّي لا أُفارقك - يا محمّد - حتّي تقضيَني. فقال: إذنْ أجلسُ معك. فجلس حتّي صلّي في ذلك الموضع الظهرَ والعصر والمغرب والعشاء الآخرةَ والغداة.. و كان أصحاب رسول اللّه صلي الله عليه و آله يتهدّدونه و يتواعدونه، فنظر رسولُ اللّه إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟! فقالوا: يا رسول اللّه، يهوديٌّ يحبسك؟! فقال صلي الله عليه و آله: لم يبعثْني ربّي عزّوجلّ بأن أظلمَ معاهدا ولا غيرَه. فلمّا علا النهار قال اليهوديّ: أشهدُ أن لا إله إلاّ اللّه، و أشهد أنّ محمّدا عبدُه و رسوله، و شطرُ مالي في سبيل اللّه، أما واللّهِ ما فعلتُ بك الذي فعلتُ إلاّ لأنظر نعتَك في التوراة؛ فإنّي قرأتُ نعتَك في التوراة: محمّدُ بنُ عبداللّه مولدُه بمكّة، و مهاجرُه طَيبة، وليس بفَظٍّ ولا غليظ، ولا سَخّاب ولامُتزيّن بالفحش ولا قولِ الخَنا، و أنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّك رسول اللّه، وهذا مالي فاحكُم فيه بما أنزل اللّه (2).

فكان العفو هنا دعوةً صادقة موفّقةً للإسلام، جعلتْ من يهوديٍّ وليّا حميما للإسلام و لنبيّه وللمؤمنين، كما جعلت من قريش الحاقدة عليالدين الجديد متنعّمةً بنعمة الإسلام تتعرّف عليه عن قُرْبٍ و معايشة..

1- - غرر الحكم 49.

2- - أمالي الصدوق 376 / ح 6 - المجلس 71.

فبأخلاق النبيّ المصطفي صلي الله عليه و آله، و منها العفو، كان انتشار الإسلام، و كانت الألفة والمحبّة بينه و بين الناس، من أهله و ذويه وعشيرته، و حتّي مِن أعدائه.. يقول لورد هدلي: لقد نال محمّد نبيّ الإسلام عليه السلام حُبَّ العالَم أجمع، و حبَّ أعدائه بوجهٍ خاصّ، و ذلك عندما ضرب مثلاً في مكارم الأخلاق بإطلاق سراح عشرة آلاف أسير كانوا في يومٍ مِن الأيّام يعملون علي قتله و الفتكِ به، و إيراده و أصحابِه موارِدَ الهلاك ![(1)]

إنّ العفو إذا كان في موقعٍ يجعل العدوَّ وليّا حميما، ويبدّل مِن بعضة أهل الشنآنِ المحبّة و مِن حسدِ أهل البغي المودّة، و مِن ظنّة أهل الصلاح الثقة، و مِن عداوة الأدنَينَ الوَلاية، ومن عقوق ذوي الأرحام المبرّة، و مِن ردّ الملابسين كرمَ العشرة – كما هو في دعاء الإمام السجّاد عليه السلام في مكارم الأخلاق و مرضيّ الأفعال في صحيفته المباركة – فإنّ عفوا هكذا سيأتي بخير الدنيا و الآخرة، حيث يدفع عدوّا و يأتي بدلَه بصديق، و يجعل البال هادئا، والنفس هانئةً بالأمان و حسنِ الجوار و طِيب المعاشرة مع الآخرين.. وهو مع هذا يأتي بالثواب الجزيل ينفع يوم يتلهّف العبد إلي شيءٍ يُنجيه من عذاب اللّه جلّ وعلا، و يأتي له برضوان اللّه و النعيم المقيم. إذن، فأين نحن عن العفو؟!

هذه بين أيدينا – أيّها الإخوة الأحبّة – أمثلة جليلةٌ؛ للاقتداء والتأسّي..

* ففي سيرة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهماالسلام مواقفُ عفوٍ كثيرة.. جعلت المسيئين نادمين علي ماصدر منهم، و متراجعين عن أخطائهم وإساءاتهم، و معترفين بالحقّ مُقلعين عن الباطل، محبّين للإماممقتدين بأخلاقه. من ذلك مايُروي أ نّه عليه السلام كان خارجا فلَقِيَه رجلٌ فسبّه

1- – محمّد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب 38.

فثارتْ إليه العبيد والمَوالي، فقال عليه السلاملهم: مهلاً! ثمّ أقبل علي ذلك الرجل و قال له:

- ما سُتِر عنك مِن أمرنا أكثر، ألَكَ حاجةٌ نُعينك عليها؟

فاستحي الرجل، فألقي إليه الإمام عليه السلام خميصةً كانت عليه (وهي كساء أسود له عَلَمان)، و أمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنّك من أولاد الرسول(1).وهنا نلتفت إلي أمرين يجعلانِ البعضَ يتجرّأون علي الأولياء، و هما: الجهل، والحاجة..فقد دأب أعداء أهل البيت النبويّ أن يبثّوا الدعايات السيّئة ضدَّ هذا البيت المطهّر، ويشوّهوا سمعته في أذهان الأُمّة. هذا من جهة، و من جهةٍ أُخري كان البعض يعيش حالات الفاقة والعِوَز و نكد العيش، و يظنّ أنّ أهل البيت عليهم السلاميستأثرون بالأموال لأنفسهم، فإذا أقبل الواهمون وجدوا الأئمّة عليهم السلاماكرمَ الناس و أعطفَهم علي الناس، و في الوقت ذاته و جدوهم أزهدَ الناس، و أعبدَهم وأتقاهم للّه تعالي.

وقبل أن يفهم الواهمونَ الحقيقة، صدرت منهمُ الإساءات، فكان الأئمّة عليهم السلاملايُقابلونهم بالعقوبة بل بالعفو والصفح والرحمة، فإذا هدأت النفوس كانت الفرصةُ سانحةً للهداية والإرشاد. فكان منهم العفوُ والدعاء للمسيء بالمغفرة سببا لندم المسيئين علي الذَّنْب و وسيلةً لإبدال البُغض بالمحبّة، و دفعِ الشرِّ والعداوة واسقاط الضعينة، ولقد أرشد إلي ذلك رسولُ اللّه صلي الله عليه و آله حين قال: تَعافُوا تسقطِ الضغائنُ بينكم(2).وكان من شأن الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّهم يَجهدون في إصلاح الأمّة..

1- - صفة الصفوة لابن الجوزيّ 2:56، مطالب السَّؤول 2:487، نور الأبصار للشبلنجيّ الشافعيّ 283.

2- - كنزالعمّال / خ 7004.

و مِن سُبل الإصلاح: العفو، فكثيرٌ مِن النفوس الحاقدة لا يُصلحها إلاّ العفو عنها، ولا يُهدِّئُها إلاّ الرحمة بها، والعفوُ رحمة وعطفٌ و إحسان، وتعبيرٌ عن سلامة القلب.

والعفو قد يكون سببا: لصلة الرَّحِم، و زوال العقوق، حيث تعود الروابط الرّحِميّة بين المؤمنين، و تزول القطيعة فيما بينهم، فتكون السعادة بالصّلات في الدنيا، و يكون الثواب العظيم في الآخرة.. بعد إصلاح النفوس بالعفو، و جرِّها إلي الندم علي الإساءة، و إصلاح الآخرة بطاعة اللّه عزّوجلّ الذي أمر عباده بالعفو عن إخوانِهم ليعفوَ عنهم، حيث قال: «ولْيَعْفُوا ولْيَصفَحُوا، ألاَ تحبّون أن يغفرَ اللّه ُلكم؟!»(1).

فمع أنّ العفو مُؤدٍّ إلي إصلاح المعفيّ عنه، يكون سببا لمغفرة اللّه عزّوجلّ لنا، و مغفرتُه سبحانه و تعالي تُنجينا مِن النار و تأخذ بأيدينا إلي الجنّة، وهذا هو الفوز الحقيقيّ. قال عزّ مِن قائل: «كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموتِ، و إنّما تُوفَّونَ أُجورَكم يومَ القيامةِ، فمَن زُحْزِحَ عنِ النارِ و أُدخِلَ الجنّةَ فقد فاز»(2).

* رُويَ أنّ رجلاً كان بالمدينة يُؤذي أبا الحسن موسي بنَ جعفرٍ عليه السلام

ويسبُّه إذا رآه، و يشتم عليّا أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال له أصحابه: دَعْنا نقتلْ هذا الفاجر! فنهاهُم عن ذلك و زجرهم أشدَّ الزَّجْر، وسأل عن الرجل فأُخبر أ نّه خرج إلي زرعٍ له، فخرج إليه و دخل المزرعة بدابّته..فصاح به الرجل: لا تَطأْ زرعَنا. فتوطّاه أبوالحسن عليه السلام حتّي وصل إليه، فنزل وجلس عنده، و باسَطَه و ضاحَكَه، و قال له:

- كم غرمتَ علي زرعك هذا؟ فقال :

1- - النور 24 22.

2- - آل عمران 3 185.

– مئةَ دينار. قال عليه السلام:

– كم ترجو أن تحصل منه؟ قال الرجل: لستُ أعلم الغَيب! قال عليه السلام:

– إنّما قلت: كم ترجو أن يجيئَك فيه؟ قال الرجل:

– أرتجي فيه مِئتَي دينار.

فأخرج أبوالحسن الكاظم عليه السلام صرّةً فيها ثلاثُمائةِ دينار و قال له: هذا زرعك علي حاله، واللّه ُ يرزقك ما ترجو. فقام الرجل فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطِه، فتبسّم إليه أبوالحسن عليه السلامو انصرف..

وراح إلي المسجد، فوجدَ الرجلَ جالسا، فلمّا نظر إلي الإمام الكاظم عليه السلامقال: اللّه ُ أعلَمُ حيثُ يَجعلُ رسالتَه. فوثب أصحاب الإمام إلي الرجل وقالوا له: ماقصّتُك؟! قد كنتَ تقول غيرَ هذا ! فقال لهم: قد سمعتُم ما قلتُ الآن.. و جعل يدعو لأبي الحسن الكاظم عليه السلام، فلمّا رجع الإمام أبوالحسن عليه السلام إلي داره قال لأصحابه الذين أشاروا بقتل الرجل: كيف رأيتُم؟! أصلحتُ أمرَه، و كُفِيتُ شرَّه(1).

فبالعفو يُحقَن دمُ المسيء و يُصلَح شأ نُه ويُكفي سوؤُه، و بالعفو تكون الأُلفة والمحبّة وتُبعَد الخصومة والضغينة، وبالعفو تهدأ النفوس بالأُخوّة وتأمن الشرّ، و بالعفو تُنال الرحمة الإلهيّة وثواباتُ اللّه الدنيويّة والأخرويّة.و إذا افترضْنا أنّنا تركنا العفو، فماذا سيكون يا تُري؟! لاشكّ أنّ العلائقَ والوشائج ستتقطّع، و أنّ المحبّة ستتحوّل إلي بُغض، والمودّة إلي ضغينة، والأمان سيكون قلقا، والتوجّه إلي اللّه بالطاعات سيُصبح انشغالاً بالكلام والعداوة، وحديثا بالمعصية.. حيث ستنشب الخصومةُ بين الأخلاّءوالأصدقاء، و تتغيّر الأخلاق الفاضلة إلي مَساوئ، و ستكون التقوي جرأةً

1- – كشف الغمّة 2:228 – 229، تاريخ بغداد 13 : 29.

علي الموبقات والآثام !

وإذا كان للعفو آثارُه الطيّبة، فإنّ للخصومة آثارَها السيّئة.. فهي تُحبط الأعمال، و تُشغل القلوب، وتُورث الأحقاد. يقول الإمام الصادق عليه السلام محذِّرا: أيّاكُم والخصومة؛ فإنّها تُشغل القلب، وتُورِث النفاق، و تكسب الضغائن(1).

وإذا كان العفو يُخبِر عن سلامة الصدر و طِيب النفس و رزانة العقل، فإنّ الخصومة تفضح صاحبها إذ تسلبُ منه عقله. يقول أميرالمومنين عليه السلام: الخصومة تُبدي سَفَهَ الرجل! الخصومة تَمحق الدِّين(2).

ويجرّ الحقد إلي العداوة، والعداوة تكون: مرّةً باطنيّة.. فتُسعر القلب و تُفسد الروح، ومرّة ظاهريّة.. فتبدو علي صور الضرب والشتم والفحش و اللّعن والطعن. وعلي أيّة حال، فانّ المرء بالعفو يسلم علي كرامته و كرامة أخيه المؤمن، و يأمن به علي سعادتَيه الدنيويّة والأُخرويّة، و بالعفو يُطيع اللّه تبارك و تعالي ولا ينصرف إلي مشغلة البال بالخصومات.

* * *

ثامنا: كذلك من ثمار العفو ما يُستفاد من الآية الشريفة: بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم «و ما خَلَقْنا السماواتِ والأرضَ و ما بينَهما إلاّ بالحقِّ و إنّ الساعةَ لآتيةٌ فاصفَحِ الصفحَ الجميل»(3)، فإنّ كثيرا من الآيات الشريفة و الأحاديث المنيفة تشير إلي أنّ إصلاح الأمور، وبلوغ المراد، و دفع الأعداءوالأشرار، ونوال النصر.. يكون بالعفو في أحايينَ كثيرة و مواقع عديدة،

1- - الكافي 2: 228 / ح 8 - باب المراء والخصومة..

2- - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 20:260.

3- - الحجر 15 85.

فليس كلّ خطأٍ ينبغي أن يُقابَل بالزجر و العقوبة؛ لأنّ عقول الناس لاتُدرك أحيانا المصالح و العوائد، و لأنّ نفوسهم لا تجنح أحيانا إلي الخير أو لا تتقبّل العقوبة، إلاّ أنّ العفو قد يكون سبيلاً سهلةً من أجل الوصول إلي الهدف السامي الذي فيه: مجلبة الخير، ودفع الشرّ والسوء، و إحلال الأمان، و نوال مرضاة اللّه جلّ شأنه.

ولهذا نجد القرآن الكريم يدعونا – من خلال آياته الكريمة – إلي استخدام أُسلوب العفو بدل سلاح السيف، واستخدام هديّة الصفح بدل يد العقوبة، و عطف المغفرة بدل توبيخ الضرب والإهانة.. يقول الباري عزّوجلّ في محكم كتابه المجيد: «وعبادُ الرحمنِ الّذينَ يَمشُونَ علَي الأرضِ هَوْنا و إذا خاطبَهُمُ الجاهلونَ قالوا سلاما»(1)، فهُم يمشون مشيا هيّنا، أي بسكينة، ثمّ إنّهم إذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه قالوا: سلاما، تسلّما منهم و مُتاركةً لهم، أو قولاً يسلمون فيه من الإثم والإيذاء(2).

وقد يؤدّي العفو والصفح إلي إصلاح الخصم، فيكون العفو أيسرَ سبيلاً و أحمَدَ عاقبةً.. و لاشكّ أنّ العفو – فعلاً و مقالاً – هو مِن جميل الأفعال، و حسن المقال، فإذا صلح شأن العدوّ خفّ الوط ء، و نِيل رضي الربّ جلّ جلاله، وقَوِيتْ شوكةُ العافي و نال مراده.. قال الإمام عليّ سلام اللّه عليه: مَنِ استصلح عدوَّه، زاد في عدده(3). وقال عليه السلام أيضا: مَنِ استصلح الأضداد،بلغ المراد(4).

وقال سبحانه و تعالي في سورة التغابن: «يا أيُّها الذين آمنوا إنّ مِن أزواجِكم وأولادِكم عَدُوّا لكم فاحذَرُوهم، و إن تَعفُوا و تَصفَحُوا و تَغفروا فإنّ

1– – الفرقان 25 63.

2– – تفسير شبّر – في ظلّ الآية الشريفة.

3– – غرر الحكم 274.

4– – غرر الحكم 270 و 293.

اللّه غفورٌ رحيم»(1).

فالزوجات والأولاد قد يحملون المرءَ علي معاصي اللّه سبحانه و تعالي ، أو يَسعَون فيما يضرّ بدينه و دنياه، أو قد يتمنَّون موتَه ليرثوه، ولا يكون لهم في كثير من الأحيان إصلاحٌ ناجحٌ إلاّ بالعفو، وهنا قال تعالي : «فاحذَرُوهم» أي احذروا مِن أن يورّطوكم في دِينكم و دنياكم، ثمّ قال عزّ مِن قائل: «و إن تَعفوا» أي عنهم بترك عقابهم، «و تَصفحوا» أي تُعرِضوا عن توبيخهم، «و تغفروا» مافرط منهم، «فإنّ اللّه غفورٌ رحيم» أي يغفر لكم و يُنعم عليكم(2).

وفي العفو فرصةٌ للرجوع إلي الرشد، و إصلاحٌ للمخطئ، وثوابٌ للعافي عن أهله. وقد يتعجّب المرء كيف يكون العفو سببا للإصلاح و نحن نري أنّ مَن يُعفي عنه يتمادي في غيّه، و مَن يأمنُ العقوبة يكرّر خطأَه و إساءتَه للأدب! و رفعا لهذا الإشكال سبق أن بيّنّا أنّ هناك مواقعَ لايجوز فيها العفو، ذلك إذا ترتّب علي العفو ضَياعُ حقوق الآخرين أو هتكُ الحرمات مثلاً أو كان العفو مشجِّعا للجاني علي تكرار جناياته، لكنّ الأهل – والولد خاصّة – يحتاج إلي العفو أكثرَ من حاجته إلي العقوبة، ففي العفو فسحة من الوقت حتّي يبلغَ رُشدَه و تُروي عاطفتُه. وفي العفو إعانةٌ له علي إعادة التجربة بنجاح.. قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله: رَحِمَ اللّهُ مَن أعانَ ولدَه علي بِرِّه، وهو: أن يعفوَ عن سيّئتِه، ويَدعُوَ له في مابينَه و بين اللّه (3).يقول الشيخ محمّد مهدي النراقيّ في كتابه القيّم (جامع السعادات – باب الغَيرة): إذا بلغ (الولد) سِنَّ التمييز يُؤمَر بالطهارة و الصلاة و بالصوم

1– – التغابن 64 14.

2– – تفسير شبّر – في ظلّ الآية الكريمة.

3– – عُدّة الداعي و نجاح الساعي لابن فهد الحلّيّ 98.

في بعض الأيّام من شهر رمضان، و يُعلّم أصول العقائد و ما يحتاج إليه من حدود الشرع. و مهما ظهر منه خُلقٌ جميل أو فعلٌ محمود، فينبغي أن يُكرَم عليه و يُجازي لأجله بما يفرح به، و يُمدَح بين أظْهُر الناس. و إن ظهر منه فعلٌ قبيح مرّةً واحدة، ينبغي أن يُتغافَلَ عنه ولا يُهتَك سترُه، ولا يُظهَرَ له أن يتصوَّر أن يتجاسرَ أحدٌ علي مِثْله، لا سيّما إذا سَتَره الصبيُّ واجتهد في إخفائه، فإنّ إظهار ذلك ربّما يفيده جسارةً حتّي لايبالي بالمكاشفة بعد ذلك، فإنْ عاد ثانيا إلي مثله فينبغي أن يُعاتَبَ عليه سِرّا، و يُعظَّم الأمر فيه، ويقال له: إيّاك أن يطّلع علي فعلك هذا أحد فتفتضحَ عند الناس، و لا يُكثَر العتاب عليه حتّي يسقطَ وقعُ الكلام مِن قلبه(1).

وليس فقط مع الأولاد ينفع العفو في الإصلاح والتربية.. إنما هو وسيلة لتربية العبيد والخدم أيضا، ففي العفو فرصةٌ لا ستدراك الأمور، وللرجوع إلي مواقع الحقّ والخير والفضيلة. وفي العفو صيانة للكرامة، و جبرٌ لانكسار النفس وذلّتها وقلقها بسبب الرقّ، فاذا جُبِر كسر العبيد و بُنيت ثلمة الذلّة في أنفسهم و أحسُّوا بالكرامة، عادوا إلي سلامة شخصيّتهم، و نشأوا من جديد بلا عقدة تجعلُهم حانقين علي الناس.

وفي السفر يحتاج المرء الكيّس إلي العفو؛ فإنّه يقضي أيّاما مع أُناسٍ يختلفون عنه في الأخلاق والأمزجة والتفكير، فما لم يسامحهم ويغضَّ النظر عن كثيرٍ من أقوالهم و أفعالهم، فإنّه سيتجرّع منهم إساءاتٍ كثيرة، و قد يتعذّر عليه إكمال سفره معهم، والسفرُ عناءٌ و مشقّة، فهو يحتاج إلي الصبر. يصفُ السفرَ رسولُ اللّه صلي الله عليه و آله فيقول: السفر قطعةٌ من العذاب، وإذا قضي

1- - جامع السعادات 1:271 - فصل الغَيرة علي الدين والحريم والأولاد.

أحدُكم سفرَه فليُسرعِ الإيابَ إلي أهله(1). و يصفه الإمام عليّ عليه السلامفيقول: السفرُ أحد العذابيَن(2). السفر قطعة من العذاب، والرفيق السُّوء قطعةٌ من النار(3). وكلاهما صلوات اللّه عليهما و آلهما يدعوانِ إلي التعرّف علي المسافر قبل السفر، فيقول النبيّ صلي الله عليه و آله: الرفيق.. ثمّ السفر(4). و يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: سَلْ عن الرفيق.. قبل الطريق(5). و لكن قد لايتسنّي للمسافر اختيار الرفيق، إنّما يُفرَض عليه، فما له من حيلةٍ إلاّ الصبر، و من الصبر أن يعفوَ عن إساءات صاحبه في طريقه.

* عن محمّد بن مسلم: قال أبو جعفر (الباقر) عليه السلام: ما يعبأ مَن يسلك هذا الطريق (أي طريق الحجّ) إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي اللّه، وحِلْمٌ يملك به غضبَه، و حسنُ الصحبة لِمَن صَحِبه(6).

* و عن عمّار بن معاوية: قال أبو عبداللّه (الصادق) عليه السلام: وطِّنْ نفسَك علي حُسن الصحابة لمَن صَحِبتَه في حُسن خُلُقِك، و كُفَّ لسانك، واكظمْ غيظَك، و أقِلَّ لَغْوَك، و تفرش عفوَك، و تسخو نفسك(7).

* و عن أبي ربيع الشاميّ قال: كنّا عند أبي عبداللّه (الصادق) عليه السلاموالبيت غاصٌّ بأهله، فقال: ليس منّا مَن لم يُحسِنْ: صُحبةَ مَن صَحِبه، و مرافقةَ مَن رافَقَه، و مُمالحةَ مَن مالَحَه، و مخالقةَ مَن خالَقَه(8).

1- - المحاسن 377 / ح 147.

2- - غرر الحكم 38.

3- - شرح نهج البلاغة 20:338.

4- - مَن لايحضره الفقيه 2:278 / ح 2436 - الباب 174.

5- - نهج البلاغة: الكتاب 31.

6- - الكافي 4:286 / ح 2 - باب الوصيّة.

7- - الكافي 4 : 286 / ح 3 - 4 باب الوصيّة من كتاب الحجّ.

8- - الكافي 4 : 286 / ح 3 - 4 باب الوصيّة من كتاب الحجّ.

«العفو» في الأدب والحكمة

اشارة

ترويحا عن النفس، و جولـةً أخري في مشاعر الناس – خاصّـةً الشـعراء و الحكماء و أصـحاب الـذوق الاجتماعيّ – أحببنا أن نُورد في هـذا الفصل جملةً من الحِكَم والأشعار التي تناقلها الناس في حقلَي: الأدب والحكمة حول «العفو».

وقد أوردنا ذلك – منتخبا ومختارا – من كتاب (محاضـرات الأدباء، و محاورات الشـعراء والبلغاء) لأبي القاسم حسـين بن محمّد المعروف ب– «الراغب الإصـفهانيّ» (المتوفّي في حدود سنة 425 هجريّـة)؛ لنتعرّف علي أنّ الأذواق والعقول والمشاعر والضـمائر والأنفس.. كلّها ميّالة إلي حُسن العفو و ضرورته، وطِيب عوائده وفضائل نتائجه.

فإلي ذلك:

الحثّ علي العفو مطلقا

قال اللّه تعالي : «ولْيعفوا ولْيَصـفحوا ألاَ تُحبّون أن يَغفِرَ اللّه ُلكُم»(1)، و قال تعالي : «و أن تَعفُوا أقربُ للتقوي»(2)، و قال تعالي : «فاعفُوا واصفَحُوا حتّي

1– – النور 24 22.

2– – البقرة 2 237.

يأتيَ اللّه ُ بأمرِه»(1) و أدّب نبيَّه صـلي الله عليه و آلهفقال: «خُذِ اِلعفوَ و أْمُرْ بالعُرفِ وأَعرِضْ عنِ الجاهلين»(2)، فلما علم أن قـد قَبِل أدبَه قال: «و إنّكَ لَعلي خُلُقٍ عظيم»(3). وقال الأحنف: إيّاكم وحميّةَ الأوغاد، قيل: و ما حميّتهم؟ قال: يرَون العفوَ مَغرما، والبخلَ مغنما. وقيل لبعضـهم: هل لك في الإنصاف أو ما هو خير مِن الإنصاف؟ قال: وأيّ شيء خير من الإنصاف؟ قال: العفو، فالإنصاف ثقيل. وسُئل الجنيد عن الفتوّة فقـال: العفو؛ بدلالـة قوله تعـالي : «ولْيعفوا ولْيصـفحوا». وقيـل: العفو عن المـذنب زكاة النفس، وقيل: مِن كرم الأخلاق أن تغفر الذنب. من الموهوب، العفو عن الذنوب. الاحتمال قبر العيوب.

البحتريّ:

إذا أنتَ لم تضربْ عن الحقدِ لم تفُزْ***بشكرٍ، ولم تَسعدْ بتقريظِ مادحِ

استطابة العفو ولذّته

قيل: لذّة العفو أَطيب من لذّة التشفّي؛ لأنّ لذّة العفو يَتْبعها حمد العاقبة، ولذّة التشفّي يتبعها الندامة. وقيل للإسكندر: أيّ شيء أَنت به أَسرُّ ممّا ملكت؟ قال: مكافاة مَن أَحسن إليّ فأُكثِر من إحسانه، و عفوي عمّن أساء بعد قدرتي عليه.

الحثّ علي درء الحدّ

قال النبيّ صلي الله عليه و آله أَدرؤوا الحدودَ بالشُّبُهات.

1- - البقرة 2 109.

2- - الأعراف 7 199.

3- - سوره لقلم 68 4.

حثّ القادر علي العفو

قال أميرالمؤمنين عليّ كرّم اللّه وجهه: إذا قدرتَ علي العدوّ فاجعل العفوَ شُكرَ قدرتك.

ظفر الإسكندر ببعض الملوك فقال له: ما أصنع بك؟ قال: ما يُجمِل بالكرام أن يصنعوه إذا ظفروا ! فخلّي سبيله وردّه إلي مملكته. ولمّا ظفر أنوشروان ببزرجمهر قال: الحمد للّه الذي أظفرني بك! فقال: كافئْ مَن أعطاك ما تحبّ بما يحبّ. و قيل ليوسف عليه السلام: بعفوك عن إخوتك عندَ قدرتك رُفع قَدرُك.

ذمّ المتشفّي من الغيظ

متي تُردِ الشفاءَ لكلِّ غيظٍ***تكنْ ممّا يُغيظك في ازديادِ

متي لم تتّسعْ أخلاقُ قومٍ***يضيقُ بها الفسيحُ مِن البلادِ

مدح مَن صفح عن قدرة

شاعر: ما أعظمَ الناسَ أحلاما إذا قدروا !

وقيل: عفوُ العزيز أعزُّ له.

آخر:

ما أحسنَ العفوَ من القادرِ***لاسيّما عن غيرِ ذي ناصرِ

أشجع:

يعفو عن الذنبِ العظيمُ***وليس يُعجِزهُ انتصارُه

صفحا عن الباغي عليه***وقد أَحاط به اقتدارُه

المتنبّي:

فتيً لا تسلبُ القتلي يَداهُ***ويسلبُ عفوُه الأسري الوِثاقا

الممدوح بأنّه إن شاء صفح و إن شاء انتقم

الأعشي:

يقوم علي الرغم في قومِهِ***فيعفو إذا شاءَ أو ينتقمْ

كثير:

حليمٌ إذا ما نال عاقبَ مُجمِلاً***أشدَّ العقابِ أو عفا لم يثربِ

عليّ بن الجهم:

يعاقب تأديبا ويعفو تطوّلاً***ويَجزي علي الحسني ويُعطي فيُجزِلُ

و قال آخر :

تسطو بعدلٍ و تعفو إن عفوتَ به***فلا عدِمْناك مِن عافٍ و مُنتقمِ

الحث علي إقالة مَن سلم ظاهرُه

قال بعض الملوك: إنّما نملك الأجساد دون النيّات، و نحكم بالعدل لابالهوي، و نفحص عن الأعمال لا عن السرائر.

البحتريّ:

إذا عدوُّك لم يُظهِرْ عداوَتَه***فما يَضرُّكَ إن عاداك إسرارا ؟!

و قال آخر:

إذا دحسُوا بالكرهِ فاعفُ تكرّما***وإن حبسوا عنك الحديثَ فلا تَسَلْ فإنّ الذي يُؤذيك منه استماعُه***وإنّ الذي قالوا و راءك لم يُقَلْ

العفو عمّن سلم باطنه

قد يهفو المرء ونيّته سليمة، ويزلّ و طريقته مستقيمة.

إبراهيم بن المهديّ:

ما إن عصيتُك والغواة تمدُّني***أسبابَها إلاّ بنيّةِ طائعِ!

ابن طباطبا:

أري زلّتي كفرا فهل ليَ توبةٌ***وكم كافرٍ باللّه راجٍ لغفرانِهِ

فإن كنتُ فيالكفر الذي جئتُ مُكرَها***فما زال قلبي مطمئنّا بإيمانِهِ

الفرزدق:

فلستُ بمأخوذٍ بلَغْوٍ تقولُه***إذا لم تُعمّده عاقداتِ العزائِمِ

ذمّ مَن لا يقيل العثرة

قال النبيّ صلي الله عليه و آله: ألا أُخبركم بشراركم؟ مَن أَكل وحده، و ضرب عبدَه، و منع رِفده. ألا أخبركم بشرٍّ من ذلكم؟ مَن لا يقبل معذرة، ولا يُقيل عثرة.

شاعر:

موقحُ الوجه قليلُ الصفحِ***كلامُه مِثل عصيِّ الطَّلْحِ

عتب مَن يحفظ الذنب بعد تقادمه

البحتريّ:

تناسَ ذنوبَ قومِك إنّ حفظ الذْ***نوب إذا قَدِمَن مِن الذنوب

وقيل: الآثام، تدرسها الأيّام.

وجوب العفو عن المعترف

الاعتراف، يزول به الاقتراف. لا عتَبَ مع أقرار، ولا ذنبَ مع استغفار. المعترف بالجريرة، مستحقّ للغفيرة.

محمّد بن جابر :

إذا ما امرؤ مِن ذنبه جاء تائبا***إليك فلم تغفر له، فله الذنبُ

و قيل: التوبة، تغسل الحوبة.

الحثّ علي العفو بعد الإقرار

قـال كلثوم بن عمرو لصـديق له أنكر ذنبـا: إمّا أن تقرّ بـذنبك فيكون إقرارك حجّـة لنا إلي العفو، و إلاّ فطِبْ نفسا بالانتصار منك؛ فإنّ الشاعر يقول:

أقرِرْ بذنبك ثمّ اطلبْ تجاوزَنا***عنه، فإنّ جحود الذنبِ ذَنبانِ

قيل: يجب للحازم أن لا يتقدّم غفرانَه تعريفُ الجاني ما جني، لئلاّ ينسب عفوه إلي الغفر و كلال حدّ الفطنة.

سوء الاعتذار، دليل علي الإصرار

قال الشاعر:

لا ترجُ رجعةَ مُذنبٍ***خلطَ احتجاجا باعتذارِ

و قال آخر :

فلا أَنتَ أعتبتَ في زلّةٍ***ولا أَنتَ أغليتَ في المعذرةْ

مستعفٍ مقرّ بالذنب

ابن المعتزّ في كلام له: تجاوزْ عن مذنب لم يسلك بالإقرار طريقا؛ حتّي

اتّخذ من رجائك رفيقا. وقال الفضل بن مروان لرجل عاتبه: بلغني أنّك تبغضني! فلم ينكر الرجل وقال: أنت كما قال الشاعر :

فإنّك كالدنيا نذمُّ صروفَها***ونُوسِعُها ذمّا و نحن عبيدُها

أبو فراس:

إن لم تجافِ عن الذنو***بِ وجَدْتَها فينا كثيرةْ

لكنّ عادتك الجمي***لةَ أن تغضَّ علي الجريرةْ

شاعر:

إن للاعتذارِ حظّا من العفو***يراه المقرُّ بالإنصافِ

ولَعَمْري لقد أَجلَّك مَن جا***ءَ مُقِرّا بذلّةِ الإعترافِ

الرّفاء:

فإن تعفُ عنّي تَعفُ عن غيرِ جاحدٍ***لِما كان، والإقرارُ بالذنبِ أروحُ

و قال آخر :

صفحا فلو شُقّ قلبي عن صفيحتهِ***لظلّ يُقرأ منه الخوفُ والندمُ

و قال آخر:

فلستُ بأوّلِ عبدٍ هفا***ولستَ بأوّلِ مولىً عفا

استعفاء مَن خلط إقرارا بإنكار

ما أعرف تقصيرا فأبلغ، ولا ذنبا فأعتب، ولكنّي أقول:

هَبْني أسأتَ كما زعمتَ***فأين عاقبة الأُخوّةْ ؟!

وإذا أسأتَ كما أسأ***تُ فأين فضلُكَ والمروّةْ ؟!

ابن نوقة:

وهَبْني، وما أجرمتُ، أجرمتُ كَلَّ***–ما أَتاك به الواشي فجُدْ باحتمالِهِ

ابن باذان:

إن أسأتُ فأين إحسانُكْ***و إن أفرطتُ فأين أفضالُكْ ؟!

و قـال الشـعبيّ لابـن بسـرة وقـد كلّمه في قوم حبسـهم: إن حبسـتَهم بالباطـل فـالحقّ يُخرجهم، و إن حبسـتهم بحقٍّ فالعفوُ يَسَعهم ! فأمر بإطلاقهم.

معتذر مع إنكار

قال رجل لمعن: ما علي المذنب أكثر من الرجوع، فهل علي مَن لم يُذنب أكثر من الاعتذار؟

التنوخيّ:

إن كان إقراري بما لم أَجنِهِ***يُرضيك عنّي قلت: إنّي ظالمُ !

مستعفٍ سأل أن ينخدع له

ابن الروميّ:

فسامحْ وليَّك إنّ الكريم***قد يتخادعُ للخادعِ

و قال :

و ما بك مِن غفلة إنّما***لفرطِ الحياءِ و فرطِ الكرَمْ

و بلغني أ نّ ركن الدولـة كـان يومـا في الـدار بحيث لاـ يُري، فـدخل فرّاش فرأي طاسـا من ذهب ولم يكن بقربه أحـد، فتناوله و خرج، فرآه ركنالدولـة ولم يُعلِم به، فلمّا استقصـي عليه الخدمُ قال: دَعُوه؛ فإنّ مَن أخذه لم يأخذه علي أن يردّه، ورائيه لا يريد أن يذكره. فبعد ذلك كان الفرّاش يصبّ ماءً علي يديه و عليه ثياب فاخرة، فقال ركن الدولة: هذه الثياب

من ذلك الطاس ! و كان الفرّاش جَلِدا فقال: نِعمَ أجرُ الأمير، و غير ذلك من أثر النعم. فعفا عنه.

الحثّ علي استبقاء نعمة بإقالة عثرة

لا تطيّرْ وَسَنا عن مقلةٍ***أنتَ أَهديتَ لها حُلوَ الوَسَنْ

ابن نوقة:

أترضي بإلزام الدنيئة خادما***رجا في ذُراكم أن ينالَ المَعاليا

و قال روح بن زنباع: لاتُشمتنّ بي عدوّا أنت رقمتَه، ولاتسوءنّ بي صديقا أنت سررتَه، ولا تهد مَنّ ركنا أنت بَنيتَه.

استعفاء مَن زعم أنّ ذنبه كان خطأً أو نسيانا

قال النبيّ صـلي الله عليه و آله: رُفع عن أمّتي الخطأ والنسـيان. وقال غلام هاشميّ أراد عمُّه أن يجازيه بسهو منه: يا عمّ، إنّي قد أسأتُ وليس معي عقلي، فلا تُسئْ و معك عقلك!

أبو تمّام:

فإن يكُ سخطٌ عمَّ أو تَكُ هفوةٌ***علي خطأمنّي فعُذري علي عَمْدِ!

عليّ بن الجهم:

ألم ترَ عبدا عدا طورَه***و موليَ عفا و رشيدا هدي

ومُفسدَ أَمرٍ تلافيتَهُ***فعادَ وأَصلحَ ما أفسدا

المتنبّي:

وعين المخطئين همُ وليسوا***بأوّلِ معشرٍ خطأوا وتابوا

و ما جَهِلَتْ أياديكَ البوادي***ولكنْ ربّما جُهِل الصوابُ

المتمدّح بذلك

اعتـذر رجل إلي المنتصـر فقال: أتراني أتجاوز بك حُكَم اللّه حيث يقول: «وليس عليكم جُناحٌ فيما أخطاتُم به ولكنْ ما تَعمّدتْ قلوبُكم و كان اللّه ُغفورا رحيما»؟![(1)]

الحسن بن وهب:

و عنديَ إغضاءٌ وعفوٌ عن الذي***يَزِلُّ إذا ما لم يكن ذاكَ عن عَمْدِ

مستعفٍ سأل أن يقوم ويؤدَّب

أحمد بن أبي فنن:

أحينَ كثّرت حسّادي وساءهمُ***جميلُ فعلِك بي أَشْمتَّ حسّادي؟

فإن تكن هفوةٌ أو زلةٌ سلفتْ***فأنت أَولي بتقويمي و إرشادي!

مستعفٍ سأل العفو لفرط خوفه

عليّ بن الجهم:

فعفوُكَ عن مذنبٍ خاضعٍ***قرنتَ المقيمَ به المُقعَدا

إذا ادّرع اللّيلُ أَفضي به***إلي الصبحِ من قبلِ أَن يَرقُدا

مستعفٍ اتّكل علي سالف حرمته

قال هاشـميّ للمأمون: مَن حصل له مثل دالّتي، و لَبِس ثوب حرمتي، ومَتّ بِمِثل قرابتي، و أَسـلف مثل مودّتي، أُقيل له أعظمُ مِن عثرتي، و غُفر له فوق زلّتي، فقال: صدقت ! وعفا عنه.

1- - الأحزاب 33 5.

شاعر:

أَيذهب يومٌ واحدٌ إن أَسأتُه***بصالحِ أَيّامي وحسنِ بلائيا؟!

و كفي بالحثّ علي ذلك قولُ اللّه تعالي : «إنْ تجتنبوا كبائرَ ما تُنهَون عنه نُكفِّرْ عنكم سيّئاتِكم»(1).

الاستعفاء لمذنب من قوم محسنين

إبراهيم الصوليّ:

أساؤوا وفيهم محسنونَ، فإن تَهَبْ***لمحسنهم أهلَ الإساءة يَصلُحوا

مَن توصّل إلي العفو بحيلة

أُتي معن بن زائدة بأسري، فأمر بضرب أعناقهم، فقام غلام منهم فقال: أَنشدُك اللّه أيّها الأمير أن لا تقتلنا و نحن عطاش! فقال: اسقوهم. فلما شربوا قال: ناشدتك اللّه أن قتلتَ ضِيفانَك! قال: أحسنت! فخلّي سبيلهم.

همّ الأزارقة بقتل رجل فقال: أمهلوني لأركع! فنزع ثوبه و اتّزر ولبّي و أَظهر الإحرام، فخلَّوا سبيله، لقوله تعالي : «يا أيُّها الذين آمنوا لا تُحِلُّوا شعائرَ اللّه ِ ولاالشهرَ الحرام»(2).

ولمّا غشيَ أميرُ المؤمنين عليٌّ كرّم اللّه وجهَه عمرَو بن العاص طرح عمرو نفسه علي الدابّة وتلقّاه بعورته، فأعرض عليٌّ عنه و قال: قبّحك اللّه!

1- - النساء 4 31.

2- - المائدة 5 2.

مَن هرب خشيةَ العتاب فاعتذر لذلك

شاعر :

لئن أُخفي حذاري عنك شخصي***لِما أرسلتُ مِن كفَّيَّ خيلَكْ

ولم أهرب علي ثقةٍ وعلمٍ***بأنّي إن رميتُ أَفوت نَبلَكْ

ولكنيّ هربتُ علي يقينٍ***بأنّك مُعمِلٌ في الحُكْم فضلَكْ!

المتوصّل إلي العفو بمغالظة القول

أُتي محرّق بنساء فطلبن أن يعفوَ عنهنّ، فأبي، فقالت امرأة منهنّ: أطال اللّه سهادك، و أخمد رمادَك، فما قتلتَ إلاّ نساءً أعلاهُن ندي وأسفلُهن دِما، و ماأَدركتَ مَن قَتْلنا ثأرا، ولا محوتَ عن نفسك به عارا! فأمر بتخلية سبيلهنّ غيرَها وقال: إنّي لَأخشي أَن تلد مثلها!

المتوصّل إلي العفو بتذكّر اللّه و مناشدته

غضب رجل علي مولاه فقال: أَسألك باللّه إن علمتَ أنّي لَأطوعُ لك منك للّه، فاعفُ عنّي عفا عنك! فعفا عنه. وقال رجل لأمير غضب عليه: أَسألك بالذي أَنت أَذلّ بين يديه غدا منّي بين يديك إلاّ ماعفوتَ عني! فعفا عنه. وقال آخر لأمير يضربه: اضربْ بقدر ما تعلم أنّك تجثو عند القصاص يوم الجزاء! فعفا عنه.

من استعفي و استوهب جميعا

جني غلام للحسن بن عليّ رضي اللّه عنهما، فأمر بعقابه، فقال: يامولاي، إنّ اللّه تعالي قد مدح قوما فكنْ منهم، فإنّه يقول: «والكاظمينَ

الغَيظ»! فقال: خلّوا سبيله. قال: وقد قال: «واللّه ُيُحبُّ المحسنين!»(1)، قال: أنت حرٌّ لوجه اللّه، ولك من المال كذا.

المتنبّي:

فاغفرْ فديتُك واحْبُني مِن بعدِها***لتخصَّني بهديةٍ منها أَنا

وقال:

رددتَ مالاً ولم تمنُنْ علَيّ به***وقبلَ ماليَ قِدما قد حقنتَ دمي!

المتوصّل إلي ذلك بالتثبّت إلي حين التبيّن

قال اللّه تعالي : «إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأفتَبيّنوا أن تُصيبوا قوما بجَهالةٍ فتُصبِحوا علي فَعلتُم نادمين»(2).

وقيل لوالٍ: تأنّ؛ فإن التأنّي من الوالي صدقة.

وقال الشعبيّ لعبد الملك: إنّك علي إيقاع ما لم تُوقع أقدرُ منك علي ردِّ ما أوقعت. فأخذ هذا المعني شاعرٌ فقال :

فداويتهُ بالحلمِ والمرءُ قادرٌ***علي سهمهِ ما دام في يدِه السهمُ

التثبّت في العقوبة نصفُ العفو

المتنبّي:

ترفَّقْ أيُّها المولي عليهِم***فإنّ الرفقَ بالجاني عتابُ

نهي العافي عن التثريب

رضي بعض الملوك عن رجل ثمّ أخذ يوبّخه، فقال: إن رأيتَ أن لا

1- - آل عمران 3 134.

2- - الحجرات 49 6.

تخدش وجه رضاك بالتثريب فافعل. وقيل: ماعفا عن الذنب من قرّع به! وقيل: العفو مع العَذل، أشدُّ من الضرب علي ذي العقل، فرُبَّ قول، أنفذ من صَول، وعفوٍ أشدُّ من انتقام!

ابن نوقة:

إن كنتَ تعفو فاعفُ عفوَ مهنّئٍ***إحسانَه، إنّ الكريم وَهُوبُ

قلْ قولَ يوسُفَ حينَ قالَ لإخوةٍ***جاؤوه معتذرينَ: لا تثريبُ!

أوَ لا فعاقِبْني فليس بمنكَرٍ***مِن مثلِك التقويمُ والتأديبُ

وفيمن يعاقب ثمّ يعاتب قال شاعر :

إذا عُوقب الجاني علي قَدْر جُرمِهِ***فتَعنيفُه بعدَ العقابِ مِن الرِّبا!

معاتبة مَن صفح ثمّ نَدِم

قال ابن طباطبا: كان جري بيني و بين رجل كلام واحتملتُ عنه، ثمّ ندمتُ، فرأيت في المنام كأنّ شيخا أتاني فأنشدني:

أَنَدِمتَ حين صفحْتَ***عمّن قد أَساءَ وقد ظَلَمْ؟!

لا تندمَنّ فشرُّنا***مَن أتْبعَ الخيرَ الندَمْ

ذمُّ مَن اعتذر فأساء

قيل في المثل: عذرُه أشدُّ مِن جرمه! ربُّ إصْرار، أحسن من اعتذار!

وقال آخر: أنْسَيْتَنا باعتذارك كلَّ عثارِك!

الخبزأرزيّ:

وكم مذنبٍ لمّا أتي باعتذارِه***جني عذرُه ذَنْبا من الذَّنبِ أَعظما!

عليّ بن عبدالعزيز الجرجانيّ:

رُبَّ ذنبٍ يَنمي علي العذر حتّي***يُبصِرَ الاحتجاجُ عنهُ يَشينُه

كمقالِ الجريء يزداد قُبحا *** كلّما ازدادَ منهمُ تحسينُه

النهي عن الذنب المفضي إلي الاعتذار

قيل: إيّاك و ما يَسبق إلي القلوب إنكارُه، و إن كان عندك اعتذارُه، فما كلّ مَن يحكي عنك ينكر تطيق أن تُوسعه عذرا. وقيل: مَن وَثِق بحسن العذر وقع في الذنب.

الموسويّ:

و مَن قيّد الألفاظَ عند نزاعِها*** بقيدِ النُّهي أغنَتْه عن طلبِ العُذْرِ

صعوبة الاعتذار والحثّ علي تركه***عليّ بن الجهم :

إنّ دون السؤالِ والإعتذارِ***خطّةً صعبةً علي الأحرارِ

فارضَ للمذنبِ الخَضوعِ وللقا***رفِ ذَنْبا مَضاضةَ الإعتذارِ

الزبير:

تعالَوا نصطلحْ و تكون منّا *** معاودةٌ بلا عدٍّ الذنوبِ

فإن أَحببتمُ قلتُم وقلنا *** فإنّ القلبَ أشفي للقلوبِ

نهي من لم يذنب عن العذر

إيّاك والعذر عمّا لم تَجْنِه، فالمعتذر من غير ذنب يُوجب علي نفسهالذنب. وقيل: أحقُّ منزلةً بالاجتناب منزلة العذر؛ لأنّه يقف مواقف تهمة، وقلّما سَلِم مِن ظنّه. وقيل: الإغراق في العذر يحقّق التهمة، كما أنّ الإفراط في النصيحة يوجب الظِّنّة.

الاعتذار مِن ترك الاعتذار

قـال بعضـهم: سـكوتي عن التفسـير، لاعترافي بالتقصـير. وقال آخر: لستُ أعتـذر إليك مِن الـذنب إلاّ بإقلاعٍ عنه. و كتب كاتب: إن تركتُ الاعتذار فلِما قال الشاعر:

إذا لم يكن للعذر وجهٌ مبيَّنٌ *** فإنّ اطّراحَ العذرِ خيرٌ من العذرِ

تأسّف مَن يُعاتَب مِن غير ذنب

شاعر :

قد يُلامُ البريءُ من غيرِ ذنبٍ *** وتُغطّي من المسيء الذنوبُ

البحتريّ:

إذا محاسني اللاّتي أدلُّ بها *** كانت ذنوبي، فقل لي: كيف

أعتذرُ؟!

و في المَثَل: رُبَّ ملومٍ لا ذَنْبَ له.

شاعر :

و كم من موقفٍ حَسَنٍ أُحيلتْ *** محاسنُه فعُدَّ مِن الذنوبِ

الاستخفاف بمن لا يصلحه الإكرام

قيل: من لا يصلحه الطالي أصلحه الكاوي. مَن كان الإكرام له مفسدة،لم تكن الزيادة فيما يفسده له مصلحة. جنِّبْ كرامتك اللِّئام، فإنّك إن أحسنتَ إليهم لم يشكروا، و إن نزلَتْ بهم شدّة لم يصبروا.

آخر :

إن اللّئيمَ إذا رأي *** لِينا تزايد في حِرانِهْ

لا تكذِبنْ فصلاحُ مَن *** جهِلَ الكرامةَ في هوانِهْ

الرخصة في عقاب المجرم والحثّ عليه

قال اللّه تعالي : «ولكُم في القِصاصِ حياةٌ يا أُولي الألباب»(1). و قال:«فَمَنِ اعتدي عليكُم فاعتدوا عليه بمِثْلِ ما اعتدي عليكم»(2). و جاء أعرابيّ إلي ابن عبّاس فقال: أتخاف علَيّ جناحا إن ظلمني رجل فظلمتُه؟ فقال ابن عبّاس: «و أَن تَعفُوا أقربُ للتقوي»(3)، «وَلَمَنِ انتَصَر بعدَ ظُلمِه فأولئك ماعليهم مِن سبيل»(4).

أخذُ البريء بجرم السقيم

قال اللّه تعالي : «واتّقُوا فتنةً لا تُصيبنّ الذينَ ظَلَمُوا منكم خاصّة»(5).

الحارث بن حلزة:

عنتا باطلاً وظلما كما يعثر***عن حجرة الربيض الظِّباءُ

آخر: كالثورِ يضربُ لمّا عافتِ البقرُ(6).

1- - البقرة 2 179.

2- - البقرة 2 194.

3- - البقرة 2 237.

4- - الشوري 42 41.

5- - الأنفال 8 25.

6- - محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء للراغب الإصفهانيّ 299 - 310.

الخاتمة

و أخيرا.. و نحن عنـد آخر وقفةٍ أمام موضوع العفو، نعود مرّةً أخري إلي الآية الشـريفة، وهي قوله تعالي : «ولْيَعفُوا ولْيَصْفَحُوا، ألاَ تُحبّون أن يغفِرَ اللّه ُلكُم واللّه ُغفورٌ رحيم؟!»(1).

حيث دعانا الباري جلّ وعلا إلي العفو عن إخواننا المؤمنين، والصـفح عنهم بترك الملامـة والعتاب والتوبيخ، حتّي يُدركوا إساءتهم ويؤوبوا إلي حُسن أخلاقهم. ثمّ ذكّرنـا سـبحانه وتعالي بهـذا الأسـلوب المُنبِّه المشوِّق: «ألاَ تُحبّون أن يَغفِرَ اللّه ُلكم؟!»، فمَن منّا مَن لم يَعصِ و يُذنبْ؟ و مَن مِنّا بعد ذلك مَن لايُحبّ أن يُغفرَ له عن ذنوبه و معاصيه؟!

إذن.. لمـاذا لاـ نحبّ لإخواننـا – من العفو عنهم – مـا نحبُّه لأنفسـنا – من عفوِ ربّنـا عنّا؟! ولماذا لانعفو عنهم كي يعفوَ اللّه ُسـبحانه عنّا؟! أجـل.. لمـاذا لانرجو عفوَ اللّه جلّ وعلا بالعفو عن عباده المساكين، وهو العفوُّ الكريم، والغفورُ الرحيم، وهو الأَولي بالعفو، و أهل المغفرة والرحمة، و العفو مرجوٌّ منه.. وهو المنعوتُ به:

* جاء في المناجاة الشعبانيّة لأميرالمؤمنين عليه السلام قولُه: إلهي، أنَا عبدٌ أتنصّلُ إليك ممّا كنتُ أُواجِهُك به مِن قلّةِ استحيائي من نظرِك، و أطلب

1- - النور 24 22.

العفوَ منك إذ العفوُ نعتٌ لكَرَمِك..(1)

*وفي صحيفته السجّاديّة المباركة.. يدعو الإمام عليُّ بن الحسين عليه السلام في تضرّعه وطلب العفو مِن ربّه تبارك و تعالي فيقول :

أنت الـذي وَسِـعتَ كلَّ شـيءٍ رحمـةً و عِلْما، و أنت الذي جعلتَ لكلِّ مخلوقٍ في نعمتِك سَـهما، و أنت الذي عفوُه أعلي مِن عقابه، وأنت الذي تسـعي رحمتُه أمامَ غضـبِهِ.. أنت الذي وصفتَ نفسَك بالرحمة، فصلِّ علي محمّدٍ و آله وارحمْني، و أنت الذي سمّيتَ نفسَك بالعفو، فاعفُ عنّي..(2)

أجـل يـاربّ.. أنت دعوتَنـا إلي العفو، و أنت أهـلٌ له و أَولي به، وقـد كـان مـا كـان منّـا من الخطايـا و الآثام، و كان ما كان منك مِن العفو والغفران؛ لذا نحن ندعو بدعاء الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليهماالسلام فيخاطبُك كلُّنا بلسانه الشريف: اللّهـمَّ إنّك طالبي إنْ أنَا هربتُ، و مُـدرِكي إن أنَا فررتُ، فها أنَا ذا بين يَـديْك، خاضعٌ ذليل راغم، إنْ تُعـذِّبني فإنّي لذلك أهل، وهُو ياربِّ منك عَدْل، و إن تَعفُ عنّي فقديما شمَلَني عفوك و ألْبَسْتَني عافيتَك..(3)

يـا إلهَنـا وسـيّدَنا ومولانـا.. أنت دعوتَنـا إلي أن يعفوَ بعضُـنا عن بعض، و أنت المرجوُّ لأـن تعفوَ عنّا جميعا.. نسألك ذلك بما دعاك به زينُ العابدين و سـيّد الساجدين عليُّ بن الحسـين صـلواتك اللّه عليه حيث قال: إلهي، لو سألتَني حسـناتي لَوهَبتُها لك مع فَقري إليها و أنا عبد، فكيف لاـتَهبُ لي سـيّئاتي مع غِناك عنها وأنت ربّ! إلهي أمرتَنا أن نعفوَ عمّن ظَلَمَنا، وقـدظَلَمْنا أنفسَـنا، فاعفُ عنّا..(4) وندعوك بما دعاك سلامك عليه في أسحار

1- – إقبال الأعمال لابن طاووس 686.

2- – الصحفية السجّاديّة المباركة: الدعاء 16.

3- – الصحيفة السجّاديّة المباركة: الدعاء 50.

4- – الصحيفة السجّاديّة الخامسة: الدعاء 79.

شهر رمضـان حيث ناجـاك يقول: اللّهمّ إنّك أنزلتَ في كتابك العفو و أمَرْتَنا أن نعفوَ عمّن ظَلَمَنا، وقـد ظَلَمْنا أنفسَنا فاعفُ عنّا، فإنّك أَولي بذلك منّا، و أمَرتَنا أن لا نَرُدَّ سائلاً عن أبوابنا، و قد جئتُك سائلاً فلا تَرُدَّني إلاّ بقضاء حاجتي، و أمَرْتَنا بالإحسانِ إلي ما ملكَتْ أيمانُنا، و نحن أرقّاؤُك، فأعتِقْ رقابَنا من النار..(1).

وندعوك سيّدَنا ومولانا بما دعاك الإمام عليُّ بن الحسين عليه السلام مرّة أخري لدي كلِّ يوم سبت فقال: الحمدُ للّه الذي قَرَن رجائي بعفوِه، وفسَحَ أملي بحُسنِ تجـاوزه و صـفحِه.. اللّهمّ إنّي أسألك سؤالَ معترفٍ بـذنبه، نادمٍ علي اقترافِ تَبِعتِه، و أنت أَولي مَن اعتُمِد و عفا، و جاد بالمغفرةِ علي مَن ظَلَم و أساء، فقد أوبقَتْني الذنوبُ في مَهاوي الهلَكة، و أحاطتْ بيَ الآثام، و بَقِيتُ غيرَ مُستَقِلٍّ بها، و أنت المرتجي وعليك المُعَوَّلُ في الشـدّة والرجاء،و أنت ملجأُ الخائفِ الغريق، و أرأفُ مِن كلِّ شـفيق.. فلا تَرُدّ – سـيّدي – توجّهي بمَن توجّهت، أتخذُلُني ربّي و أنت أملي، أم تَرُدُّني صِفرا من العفو و أنت منتهي رغبتي؟!(2).

* وتلك أبياتٌ نُسِبت إلي الإمام زين العابـدين عليه السـلام قـد أنشـدها وهو متعلّق بأسـتار الكعبة، يخاطب بها ربَّه الجليل سـبحانه تبارك وتعالي:

يا من يُجيب دُعا المُضطرِّ في الظُّلَمِ***يا كاشفَ الضُّرِّ والبلوي مع السَّقَمِ

قد نامَ وفدُك حولَ البيتِ قاطبةً***وأنت وحدَك يا قيّومُ لم تَنَمِ

أدعوك ربِّ دعاءً قد أُمِرتُ بهِ***فارحمْ بكائي بحقِّ البيتِ والحَرَمِ

1- – إقبال الأعمال 76، مصباح المتهجّد 597، البلد الأمين 298 – 299، دعاء أبي حمزة الثُّماليّ من أدعية أسحار شهر رمضان للإمام السجّاد عليه السلام.

2- – البلد الأمين 96 – 97 / دعاء يوم السبت.

إن كان عفوُك لا يَرجوهُ ذو سَرَفٍ***فمَن يجودُ علي العاصينَ بالنِّعَمِ؟!(1)أجلْ يا إلهَنا و سيّدنا، فإنْ لم تعفُ عنّا ونحن العاصون، فمَن يعفو عنّا؟! و إلي أين نُيمّم وجوهنا؟! و مَن نرجو غيرَك يا سيّدنا؟! وإلي أين نذهب بخطيئاتِنا؟! وهل غيرك يا إلهنا يغفرُها و أنت الذي سميّتَ نفسَك بالعفوِّ الغفورِ الرحيم؟! و أنت الذي عفوُك أسبقُ مِن عقابك، و حلمُك أغلبُ مِن غضبِك، ورحمتُك أعلي مِن نقمتِك.. و نحن المذنبون، و لعفوك راجون، و مِن عذابِك وَجِلون، وإليك مِن سخطك لاجئون، ولمحوِ ذنوبنا بصفحك طالبون.. وكلُّنا مقرٌّ قائل بلسان الاعتراف:

أنا مذنبٌ.. أنا مخطئٌ.. أنا عاصي***هو راحمٌ.. هو غافرٌ.. هو كافي

قابلتُهنّ ثلاثةً بثلاثةٍ *** ولَتَغلِبَنْ أوصافُه أوصافي

* ولقد رُئي أبو نؤاس الحقّ(2) في المنام بعد وفاته، فقيل له: ما فعَلَ اللّه ُبك؟! فقال: غفرَ لي و تجاوزَ عنّي؛ لبيتين قلتُهما قبل موتي، و هما :

مَن أنَا عندَ اللّه ِ حتّي إذا***أذنبتُ لايغفرُ لي ذَنْبي؟!

العفوُ يُرجي مِن بني آدمٍ***فكيف لا أرجوه مِن ربّي؟!(3)

* وحدّث محمّدُ بن رافع الناسك قال: كنت صديقا لأبي نؤاس، فلمّا تُوفّي جزعتُ عليه مِن عذاب اللّه، فرأيتُه في المنام علي هيئةٍ حسنة، فقلت له: ما فعَلَ اللّه ُبك؟! فقال: غفرَ لي لأبياتٍ قلتُها، قلت: و ماهي؟ قال: هي عند أُمّي.

1- - مناقب آل أبي طالب 4 : 163 - فصل في زهده عليه السلام.

2- - هكذا عُرّف في بعض المصادر، وهو غير أبي نؤاس الشخصيّة المنسوجة لدي البعض، وقد عُرف أبو نؤاس الحقّ المؤدِّب بأ نّه كان من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام - يراجع: سفينة البحار 4:587 - 588، باب نَوَس، و بحار الأنوار 50 : 215 / ح1.

3- - كشكول الشيخ البهائيّ 3:102.

فلمّا أصبحتُ.. مضيتُ إلي أمّه فأخبرتُها بما رأيت، وسألتها عن الأبيات، فأحضرتْ كتابا مكتوبا فيه بخطّه:

ياربِّ إن عظُمتْ ذنوبي كثرةً ***فلقد علمتُ بأنّ عفوَك أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلاّ محسنٌ *** فبِمَن يلوذ ويستجيرُ المجرمُ؟!

أدعوك ربِّ – كما أمرتَ – تضرّعا *** فإذا رددتَ يدي.. فمَن ذا يَرحَمُ؟!

مالي إليك وسيلةٌ إلاّ الرَّجا***وجميلُ عفوِك ثمّ إنّي مسلمُ(1)

إلهنا، إنّما المعوّل علي رحمتك، فليس عندنا من العمل ما نستحقّ به نعمتَك، إنّما لدينا من الرجاء بك ما يُنعش الأملَ في قلوبنا، إذ عَلِمْنا أنّك أنت العفوّ، و نحن تائبون إليك، وراجون العفو منك نعوِّله عليك، و نناجيك بما ناجاك حبيبُك أمير المؤمنين عليه السلام: إلهي إنْ أخَذْتَني بجُرمي أخَذْتُك بعفوِك، و إن أخَذْتَني بذنوبي أخذتُك بمغفرتِك..(2).

ويحقّ للشاعر أن يخاطبَ اللّه جلّ وعلا فيقول له:

ولمّا قسا قلبي و ضاقت مذاهبي***جعلتُ الرَّجا منّي لعفوِك سُلَّما

تعاظَمَني ذنبي.. فلمّا قَرنْتُه***بِعفوِك ربيّ كان عفوُك أعظما

و ما أفخر ما نُسِب إلي أمير المؤمنين عليه السلام في مناجاته للّه تبارك و تعالي علي هيئة أبيات رائقة الشعر، منها :

إلهي وخلاّقي و حِرْزي و مَوئلي *** إليك لدي الإعسار واليُسْرِ أفزعُ

إلهي لئنْ جلّتْ و جمّتْ خطيئتي *** فعفوُك عن ذنبي أجلُّ و أوسعُ

1– – لعلّه هو نفسه أبو نؤاس الحقّ.. قال المامقانيّ في منتهي المقال: و أمّا الحكايات المتضمّنة لذمّه فكثيرة، لكنّها غير مستندة إلي كتابٍ يُستند إليه أو ناقلٍ يُعوَّل عليه، و كيف كان فهو مِن خُلّص المحبّين لأهل البيت عليهم السلاموالمادحين إيّاهم.

2– – إقبال الأعمال 686 – المناجاة الشعبانيّة.

إلهي لئن أعطيتُ نفسيَ سُؤْلَها***فها أنا في أرض الندامةِ أرتعُ

إلهي تري حالي و فقري وفاقتي***وأنتَ مناجاتي الخفيّةَ تسمعُ

إلهي فلا تقطع رجائي ولا تُزِغْ***فؤادي.. فلي في سَيبِ جودِك

مَطْمعُ***إلهي لئن خيّبتَني أو طردتني

فمَن ذا الذي أرجو و مَن ليَ يَشفَعُ؟!***إلهي لئن عذّبتَني ألفَ حِجّةٍ

فحبلُ رجائي منك لا يتقطّعُ***إلهي أذِقْني طعمَ عفوِك يومَ لا

بنونَ ولا مالٌ هنالك ينفعُ***إلهي إذا لم تعفُ عن غيرِ محسنٍ

فمَن لمُسيءٍ بالهوي يتمتّعُ***إلهي لئن فرّطتُ في طلب التُّقي

فها أنا إثْرَ العفوِ أقفو و أتْبعُ***إلهي لئن أخطأتُ جهلاً فطالما

رجوتُكَ حتّي قيل: هاهو يَجزَعُ!***إلهي ذنوبي جازتِ الطَّودَ واعتلَتْ

وصفحُك عن ذنبي أجلُّ و أرفعُ***إلهي أنِلْني منك رَوحا ورحمةً

فلستُ سوي أبواب فضلِك أقرعُ***إلهي لئن أقصَيتَني أو طردتَني

فما حيلتي ياربِّ أم كيف أصنعُ؟!***إلهي حليفُ الحبِّ باللّيل ساهرٌ

ينادي ويدعو.. والمغفَّل يهجعُ***وكلُّهمُ يرجو نوالَك راجيا

لرحمتك العظمي و في الخُلدِ يَطْمَعُ***إلهي يُمنّيني رجائي سلامةً

وقبحُ خطيئاتي علَيّ يُشنِّعُ***إلهي فإن تعفو فعفوُك منقذي

وإلاّ فبالذنبِ المُدَمِّرِ أُصرَعُ!***إلهي بحقّ الهاشميِّ و آلِه

وحرمةِ إبراهيمِ خليلِك أضرعُ***إلهي فأنشرْني علي دينِ أحمدٍ

تقيّا.. نقيّا.. قانتا لك أخشعُ***ولا تَحرِمَنّي يا إلهي و سيّدي

شفاعتَه الكبري.. فذاك المُشفَّعُ!***وصلِّ عليه مادعاك موحِّدٌ

وناجاك أخيارٌ ببابِك رُكَّعُ(1)

1- - من الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام - حرف العين.

ونبقي – سـيّدَنا و مولانـا، و ربَّنـا و إلهنا – نـدعوك بكلِّ دعاءٍ يطلب العفوَ منك، ولانيأس من رحمتك، ونقول ما دعاك به الصالحون أولياؤك المخلصون: إلهي، إن عفوتَ فمَن أَولي منـك بـذلك، و إن كـان قـد دنـا أجلي، ولم يُـدْنِني منك عملي، فقـد جعلتُ الإقرارَ بالـذَّنْبِ إليك وسيلتي..

إلهي كيف آيَسُ مِن حُسْن نظرِك لي بعـد مماتي، و أنت لم تُولِني إلاّ الجميل في حياتي؟.. إلهي اعتـذاري إليك اعتـذارُ مَن لم يسـتغنِ عن قَبولِ عذره، فاقبلْ عُذْرِي يا أكرمَ مَنِ اعتذر إليه المُسيئون..»(1).

«عَظُم يا سـيّدي أملي، وساءني عملي، فأعطِني مِن عفوِك بمقـدارِ أملي، ولا تُؤاخِذْني بأسوأ عملي؛ فإنّ كرمك يَجِلُّ عن مجازاة المذنبين، و حِلْمَك يَكبُرُ عن مكافاة المقصّـرين... يَحمِلُني و يُجرّئُني علي معصـيتِك حِلمُك عنّي، ويدعوني إلي قلّة الحياءِ سَترُك علَيّ، ويُسـرعُني إلي التوثّبِ علي محارمك معرفتي بسَـعةِ رحمتِك و عظيم عفوِك، يا حليمُ يا كريم، يا حيُّ يا قيّوم، يا غافرَ الذَّنْب، يا قابلَ التَّوْب، يا عظيمَ المَنّ يا قديمَ الإحسان، أين سَترُك الجميل، أين عفوُك الجليل؟!..(2).

اللّهمَّ صلِّ علي محمّدٍ و آله، و اكسـرْ شـهوتي عن كلِّ مَحْرم، وازْوِ حرصـي عن كلِّ مَأثم، و امنعني من أذي كلِّ مؤمنٍ و مؤمنة، و مسـلمٍ و مسـلمة. اللّهـمَّ و أيُّما عبدٍ نال مني ما حَظَرْتَ عليه، و انتهكَ منّي ما حَجَرْتَ عليه، فمضـي بظُلامتي ميّتا، أو حصـلَتْ لي قِبَلَه حيّا، فاغفرْ له ماألمَّ به منّي، و اعفُ له عمّا أدبرَ به عنّي، ولا تَقِفْه علي ما ارتكب فِيّ، ولا تكشِفْه عمّا اكتسبَ بي. واجعلْ ما سمحتُ به مِن العفو عنهم، و تبرّعتُ به

1- – إقبال الأعمال 686 – المناجاة الشعبانيّة لأميرالمؤمنين عليه السلام.

2- – إقبال الأعمال 68 – 69، البلد الأمين 290، مصباح المتهجّد 584 – 585.

من الصدقة عليهم، أزكي صدقاتِ المتصدّقين، و أعلي صِلاتِ المتقرّبين، و عوِّضْني عن عفوي عنهم عفوَكَ، و مِن دعائي لهم رحمتَك، حتّي يَسْعَدَ كلُّ واحدٍ منّا بفضلِك، وينجوَ كلُّ منّا بمَنِّك..».(1)

عفا اللّه عنكم وعنّا؛ بعفونا عن بعضنا، اللّهمّ اغفر لنا وارحَمْنا، و عافِنا واعفُ عنّا، برحمتِك يا أرحمَ الراحمين، و صلِّ اللّهمَّ علي محمّدٍ الصادقِ المصطفي الأمين، وعلي آله الطيّبينَ الطاهرينَ الميامين.

1- - الصحيفة السجّادية المباركة: الدعاء 39.

المصادر

- القرآن الكريم.

- آداب النفس: السيّد محمّد العيثانيّ (ق11 ه)، تحقيق: السيّد كاظم الموسويّ الميامويّ، نشر: المكتبة الرضوية - طهران 1380ه .

- الإرشاد: الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (ت413ه)، منشورات مكتبة بصيرتي - قمّ.

- إعلام الدين في صفات المؤمنين: الحسن بن أبي الحسن الديلميّ (ق8ه)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلاملإحياء التراث - قمّ 1414ه

- إعلام الوري بأعلام الهدي: الشيخ الطبرسيّ أبو عليّ الفضل بن الحسن (ق6ه)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قمّ 1417ه

- أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين العامليّ (ت 1371ه)، مطبعة ابن زيدون - دمشق ط 3 سنة 1370ه

- إقبال الأعمال: رضيّ الدين أبوالقاسم عليّ بن موسي بن جعفر بن طاووس (ت 664ه)، دارالكتب الإسلاميّة - طهران ط 2 سنة 1390ه

- أمالي الشيخ المفيد: محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (ت1413ه)، منشورات المطبعة الحيدريّة - النجف الأشرف.

- أمالي الصدوق: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ(ت381ه)، مؤسّسة الأعلميّ - بيروت 1400ه / 1980م.

- أمالي الطوسيّ: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت460ه)، مؤسّسة الوفاء - بيروت 1401ه / 1981م.

- بحارالأنوار: الشيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت1111ه)، دار إحياء التراث العربيّ - بيروت 1403ه / 1983م.

- بصائرالدرجات: أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار القمّيّ (ت290ه)، منشورات مكتبة السيّد المرعشيّ النجفيّ - قمّ المقدّسة 1404ه

- البلد الأمين: الشيخ تقيّ الدين إبراهيم بن زين الدين عليّ الحارثيّ الهمدانيّ العامليّ الكفعميّ (ت905 ه) قمّ.

- تاريخ بغداد: أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ (ت463ه)، مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، والمكتبة العربيّة ببغداد، و مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ط1سنة 1349ه / 1931م.

- تاريخ الطبريّ (تاريخ الأمم و الملوك): أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبريّ (ت310ه)، دارالتراث - بيروت.

- تحف العقول عن آل الرسول: الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّانيّ (ق4 ه)، منشورات مؤسّسة الأعلميّ - بيروت 1394ه/ 1974م.

- تفسيرالإمام العسكريّ عليه السلام: الامام الحسن بن عليّ العسكريّ (ت260ه)، تحقيق و نشر: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام - قمّ 1409ه

- تفسير شُبّر: السيّد عبداللّه شبّر (ت1242ه)، مؤسّسة دارالهجرة - قمّ

ط 2 سنة 1412ه

- تفسير العيّاشيّ: أبو النضر محمّد بن مسعود بن عيّاش السَّلَميّ السمرقنديّ (ق3ه)، تحقيق: السيّد هاشم الرسوليّ المحلاّتيّ، نشر: المكتبة العلميّة الإسلاميّة - طهران 1380ه

- تنبيه الخواطر و نزهة النواظر (مجموعة ورّام): أبو الحسين ورّام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ (ت605ه)، دار صعب و دار التعارف - بيروت.

- ثواب الأعمال و عقاب الأعمال: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ (ت381ه)، دار نشر الرضيّ - قم 1986م.

- جامع الأخبار: محمّد بن محمّد السبزواريّ (ق7ه)، تحقيق علاء آل جعفر، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم 1414ه

- جامع السعادات: محمّد مهدي النراقي (ت1209ه)، منشورات جامعة النجف الدينيّة ط3 - مطبعة النجف الأشرف 1383ه/ 1963م.

- الخرائج و الجرائح: أبو الحسين قطب الدين سعيد بن هبة اللّه الراونديّ (ت573ه)، دار نشر مصطفويّ - قمّ.

- الخصال: الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرّسين التابعة للحوزه العلميّة، بقمّ 1403ه

- الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة: أبو عبداللّه محمّد بن الشيخ جمال الدين مكّي بن محمّد العامليّ النبطيّ الجزّينيّ (الشهيد الأوّل) (786ه)، تحقيق: داود صابري، نشر: مؤسّسة طبع ونشر الآستانة الرضويّة المقدّسة - مشهد المقدّسة 1985م.

- دلائل الإمامة: أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبريّ الإماميّ (ق4ه)، طبع منشورات الشريف الرضي - قم، بالأوفسيت عن طبعة المطبعة الحيدرية - النجف الإشرف 1383ه/ 1963م.

- سفينة البحار و مدينة الحِكَم والآثار: المحدّث الشيخ عبّاس القمّيّ (ت1359ه)، تحقيق: مجمع البحوث الإسلاميّة، طبع: مؤسّسة الطبع والنشر فيالآستانة الرضويّة المقدّسة - مشهد المقدّسة، ط 1 سنة 1416ه

- سنن ابن ماجة: أبو عبداللّه محمّد بن يزيد القزوينيّ (ت275ه)، دار الفكر - بيروت.

- سنن الترمذيّ: أبو عيسي محمّد بن سَورة الترمذيّ (ت279ه)، دار الفكر - بيروت 1400ه/ 1980م.

- سِيَر أعلام النبلاء: محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت748 ه)، مؤسّسة الرسالة - بيروت ط2سنة 1402ه

- السيرة النبويّة (سيرة ابن هشام): أبو محمّد عبد الملك بن هشام الحِمْيريّ (ت213 أو 218ه)، طبع دار إحياء التراث العربيّ - بيروت 1985م.

- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزليّ، أبو حامد عبدالحميد بن هبة اللّه (ت655ه)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة - مصر ط 1سنة 1378ه/ 1959م.

- الصحيفة السجّاديّة الجامعة: الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام (ش90ه)، جمع: السيّد محمّد باقر الأبطحيّ، نشر و تحقيق: مؤسّسة الإمام المهديّ(عج) - قمّ 1411ه

- الصحيفة السجّاديّة الخامسة: الإمام السجّاد عليّ بن الحسين

عليهما السلام (ش95ه)، جمع: السيّد محسن الإمين العامليّ (ت1371ه)، منشورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة – أصفهان 1330ه

– الصحيفة السجّاديّة المباركة: الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام (ش 95ه)، دار الجيل المسلم – قمّ.

– صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن عليّ (ابن الجوزيّ) (ت597ه)، دار المعرفة – بيروت ط 4سنة 1406ه/ 1986م.

– عُدّة الداعي و نجاح الساعي: أحمد بن فهد الحلّيّ (ت841ه)، دار الكتاب الإسلاميّ – إيران ط 1 سنة 1407ه/ 1987م.

– العدد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة: الشيخ رضيّ الدين عليّ بن سديد الدين يوسف بن عليّ بن مطهَّر الحلّيّ (ق8ه)، مكتبة السيّد المرعشي – قمّ 1408ه

– علل الشرائع: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين (الشيخ الصدوق) (ت381ه)، طبع: المكتبة الحيدريّة في النجف الأشرف.

– عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، طبع المكتبة الحيدريّة، في النجف الأشرف 1390ه/ 1970م.

– غرر الحِكَم و درر الكَلم: جمع: عبدالواحد محمّد التميميّ الآمديّ (ت510ه)، مكتب الإعلام الإسلاميّ في الحوزة العلميّة – قمّ 1988م.

– الفروق اللّغويّة: أبو هلال العسكريّ (ق4 ه)، مكتبة القدسيّ – القاهرة 1353ه

– قرب الإسناد: أبو العبّاس عبداللّه بن جعفر الحِميريّ القمّيّ (من أصحاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام)، إصدار: مكتبة نينوي

الحديثة – طهران.

– الكافي: أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكلينيّ الرازيّ (ت329ه)، منشورات المكتبة الإسلاميّة – طهران 1388ه

– الكامل في التاريخ: ابن الأثير عزّ الدين عليّ بن أبي الكرم الشيبانيّ، طبعة دار صادر ودار بيروت – لبنان 1385ه/ 1965م.

– كتاب المؤمن: الحسين بن سعيد الكوفيّ الأهوازيّ (من أصحاب: الرضا والجواد والهادي عليهم السلام)، تحقيق و نشر: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام – قم المقدّسة 1404ه

– كشكول الشيخ البهائيّ: الشيخ بهاء الدين محمّد بن الحسين المعروف ب (الشيخ البهائيّ) (ت 1030ه)، مطبعة الحكمة – قمّ 1377ه

– كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: أبوالحسن عليّ بن عيسي بن أبي الفتح الإربليّ (ت693ه)، نشر: مكتبة بني هاشم – تبريز (إيران) 1381ه

– كنزالعمّال في شتّي الأقوال والأفعال: علاءالدين المتّقي بن حسام الدين الهنديّ (ت975 ه)، مؤسّسة الرسالة – بيروت ط 5 سنة 1405ه/1985م.

– كنزالفوائد: أبوالفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ الطرابلسيّ (ت449ه)، دارالأضواء – بيروت 1405ه/ 1985م.

– مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت548ه)، منشورات مكتبة السيّد المرعشيّ – قمّ 1403ه

– المحاسن: أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ (ت274ه)، دار الكتب الإسلاميّة – قمّ 1371ه

– محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم حسين

بن محمّد (الراغب الأصفهانيّ) (ت حدود 425ه) انتشارات مكتبة الحيدريّة - قمّ ط 1 سنة 1416ه

- محمّد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب و مشاهير علمائه و كتّابه: محمّد فهمي عبدالوهّاب، دارالاعتصام، دار العلوام للطباعة - القاهرة ط 2 سنة 1399ه/ 1979م.

- المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء: محمّد بن المرتضي الموعوّ بالمولي محسن الكاشانيّ (ت1091ه)، جماعه المدرّسين في الحوزة العلميّة - قمّ ط 2 سنة 1383ه

- مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل: الميرزا حسين النوريّ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام - قمّ 1407ه

- مسكّن الفؤاد: الشهيد الثاني زين الدين عليّ بن أحمد الجبعيّ العامليّ (965ه)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قمّ ط 1 سنة 1407ه

- مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ (ت241ه)، دار إحياء التراث العربيّ - بيروت 1412ه/ 1991م.

- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: أبو الفضل عليّ الطبرسي (ت ق 7 ه)، منشورات المكتبة الحيدريّة - النجف الأشرف ط 2 سنة 1385ه/ 1965م.

- مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ش 148ه)، مؤسّسة الأعلميّ - بيروت 1400ه

- مصباح المتهجّد و سلاح المتعبّد: الشيخ الطوسيّ محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت460ه)، مؤسّسة فقه الشيعة - بيروت ط 1 سنة 1411ه/

1991م.

- مطالب السَّؤول في مناقب آل الرسول: كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعيّ (654ه)، الطبعة الحجريّة - طهران.

- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين - قم 1379ه

- مكارم الأخلاق: الشيخ رضيّ الدين أبو النصر الحسن بن الفضل الطبرسيّ (ق 6ه)، مؤسّسة الأعلميّ - بيروت ط 6 سنة 1392 ه/ 1972م.

- مَن لايحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ط 5 لدار الكتب الإسلامية - طهران 1390ه، بتحقيق و تعليق السيّد حسن الموسويّ الخرسان.

- مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندرانيّ (ت 588ه)، دار الإضواء - بيروت ط 2 سنة 1412ه/ 1991م.

- الميزان في تفسير القرآن: السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ، (ت1402ه)، مؤسّسة إسماعيليان - قمّ 1393ه/ 1973م.

- النصّ والاجتهاد: السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسويّ (ت 1377ه)، قسم الدرسات الإسلاميّة - طهران ط 2 سنة 1408ه

- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم الشيبانيّ (ت 630ه)، منشورات إسماعيليان - قمّ ط 4 سنة 1986م.

- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجيّ (ق13ه)، منشورات الشريف الرضيّ - قمّ.

- نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضيّ (ت 404ه) من كلام

أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ش40ه)، ضبط: صبحي الصالح، دار

الكتاب اللبنانيّ - بيروت 1387ه

- نوادر الراوندي: السيّد أبو الرضا فضل اللّه بن عليّ بن هبة اللّه الروانديّ الحسينيّ (ت547ه)، منشورات المطبعة الحيدريّة - النجف الإشرف ط 1 سنة 1370ه/ 1951م.

- وسائل الشيعة إلي تحصيل الشريعة: الشيخ الحرّ العامليّ محمّد بن الحسن (ت1104ه)، طبع و تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام- قمّ 1416ه

ص: 239

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹